عقيدة التوحيد

كتبه

أبو علي المرضي



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي، خالد علي
عقيدة التوحيد./ خالد علي الغامدي.- جده، ١٤٣٦هـ.
٤٤٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ١ - ٧٧٩٨ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- التوحيد ٢- العقيد الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٣٩٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٩٣٧
ردمك: ١ - ٧٧٩٨ - ٠١ -٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف: ٤٢٦٦١٠٤ - ٤٢٦٦٩٦٣ فاكس: ٤٢٥٧٩٠٦
www.facebook.com/DARATLAS
twitter: @ dar-atlas
dar-atlas@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . والصلاة والسلام على إمام الموحدين، خليل رب العالمين، نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين. وبعد :

فهذا كتاب جامع في حقائق أبواب التوحيد وكيفية تحقيق عقيدته القائمة على (لا إله إلا الله) ، وهو في الأصل منتزع من الكتاب الكبير والموسوعة الجامعة للعقيدة الإسلامية والإيمان بالله العظيم وما يضادها من الكفر والشرك ونواقض الإسلام والردة عنه والمخالفين فيها وكشف الشبهات حولها.

وأصل الكتاب مكون من أربعة أقسام :

العقيدة / النواقض / الشبهات / الفرق الضالة القديمة والمعاصرة .

وقد أفردت أجزاء منه بكتب مستقلة لأهميتها وكلها ذو شأن وهي :

شرح شروط لا إله إلا الله ، وقواعد الولاء والبراء في مجلد، والكفر بالطاغوت ، وحقيقة الشرك ، وشرح نواقض الإسلام ، وكشف الشبهات ، وعقيدة التوحيد وهو كتابنا هذا .

وأجزاء أخرى في القضاء والقدر ، والأسماء والصفات والرد على الفرق المخالفة فيه ، ومسائل التكفير وحقيقة الإيمان ، والأسماء والأحكام، وأحكام الردة والنفاق، وأبواب الإمامة ، والنبوات ، واليوم الآخر ، والغيبيات .

ثم اعلم أنه لابد لمن أراد معرفة التوحيد من ضبط المصطلحات الشرعية مثل: الشهادتين الألوهية الربوبية العبادة المتابعة الإيمان الإسلام الكفر بالطاغوت .

لأجل ذلك عقدت مصنفي هذا على ثمانية فصول :

الفصل الأول : حقيقة التوحيد ومعه مبحث أدلة التوحيد .

الفصل الثاني : توحيد الربوبية . الفصل الثالث : توحيد الألوهية .

مبحث العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية .

الفصل الرابع : الشهادتين شهادة التوحيد : لا إله إلا الله.

الفصل الخامس : شهادة أن محمداً رسول الله توحيد المتابعة ومبحث النبوات.

الفصل السادس : الكفر بالطاغوت ومعه مبحث الولاء والبراء.

الفصل السابع : العبادة . الفصل الثامن : الإسلام .

وقد كتبت في ذلك بحوثاً نفيسة كأنها الكواكب الدرية في تجلية حقيقة الألوهية والربوبية وما بينهما من العلاقة القوية وبيان مفارقاتها العلمية وما تضمنتها من الأسرار الخفية.

ويأتي هذا الكتاب بفضل الواحد المنان موضحاً لحقائق عقيدة التوحيد ومبيناً لحقيقة الألوهية والربوبية، في هذا الزمان الذي ظهرت فيه معالم الشرك وكثرت القوادح فيه وتجددت الصور المعاصرة للشرك ، حتى أضحى الجهل بالتوحيد ومحاربته سمة في هذا الزمان . وتنوعت أساليب الطغاة في صد الناس عنه وتغييب كثير من حقائقه . وما عظمت المخالفات بهذه الطريقة إلا بسبب الجهل بحقيقة التوحيد والإعراض عن تعلمه والعمل به . وصارت المخالفات فيه تتلون بتلون الناس وتتنوع بشكل لا يفطن له إلا من أنار الله بصيرته بنور التوحيد المحرق لظلمات الشرك والشبهات . وهذا كله مما يوجب على الجميع تعلم التوحيد وتعليمه.

تمهيد حول حقيقة التوحيد وبيان أهميته ومكانته وحال الناس فيه :

اعلم أن كل مسلم مخاطب بالتزام التوحيد بأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ : (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) وهذا الفلاح مرجعه العمل بالتوحيد .

والعمل بالتوحيد ليس مجرد شعار، وإنما الحياة كلها بل والممات لأجله وفيه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦.

إما الحياة لله أو الشرك ، والله ﷻ أغنى الشركاء عن الشرك ، إما محبة الله أو محبة الأنداد ، إما حكم الله أو حكم الطاغوت الجاهلي ، إما الولاء لله أو الولاء لعدوه الشيطان رمز الطاغوت ، إما عبادة الله ويكون النسك له أو للشيطان والطاغوت ، إما القتال في سبيل الله أو سبيل الطاغوت .

فما ثَم إلا التوحيد أو الشرك ، إما اتخاذ الله ولياً ومعبوداً وحاكماً أو اتخاذ الأنداد من الآلهة والحكام والأحبار والرهبان والشيطان وبقية رموز الطغيان .

فاختر لنفسك إحدى الطريقتين، وأصدق الملتين، الملة الإبراهيمية، والشريعة المحمدية، والطريقة السنية، والديانة الإسلامية . وإما دين المشركين، وملة السفهاء، وطريق المغضوب عليهم والضالين، من اليهود والنصارى والمشركين وأوليائهم من المنافقين والمرتدين . وعلى الله قصد السبيل .

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي عن كلمة التوحيد: (هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة لهم في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر والنار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من تعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء).

وقال أيضاً : (وروح هذه الكلمة وسرها إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة ، فلا يحب سواه وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلا عليه ولا يرغب إلا إليه ولا يرهب إلا منه ولا يحلف إلا باسمه ولا ينذر إلا له ولا يتاب إلا إليه ولا يطاع إلا أمره ولا يستغاث في الشدائد إلا به ولا يلتجأ إلا إليه ولا يسجد إلا له ولا يذبح إلا له، ويجتمع ذلك في حرف واحد وهو أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله) الجواب الكافي ٢٣٣.

اعلم أن المقصود الأول والأخير بالتوحيد هو نفي كل إله معبود والكفر بكل طاغوت موجود عبد من دون الله ﷻ، فلا تنبغي العبادة لأحد سوى الله، ويجب أن تكون عبادة المخلوق لربه، ويجب أن يكفر بعبادة كل ما سوى الله ويكفّر من يعبده، وهذا هو حقيقة الكفر بالطاغوت وهذا الذي اشتملت عليها ملة إبراهيم .

وهذا الأصل لا يدخل المرء الإسلام إلا به، ولا تقبل كلمة (لا إله إلا الله) إلا بالإتيان به، وهو أول واجب على المسلم، ولا يصح أن يؤخر، ولا يبدأ المسلم إلا به ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾.

وكم من الناس ممن يدعي الإسلام ويعبد الله ولا يعبد غيره لكن تجده لا ينفي العبادة عن غير الله ولا يكفر بعبادة الطاغوت ولا يتبرأ منها .

وكم جاهل يجهل هذا الأصل من مشركي زماننا من عباد القبور وممن يوالي الكافرين ويركن إليهم ويرتمي في أحضانهم ولا يعاديهم ولا يتبرأ منهم، كذا من يشرّع القوانين ويحكم بغير ما أنزل الله أو يتحاكم إلى المحاكم الوثنية التي تحكم بالقوانين الوضعية المصادمة لأحكام الشريعة وتكفر بحكم الله ثم لا يكفر بها، وكم هم أولئك الذين لا يتبرؤون من هؤلاء الطواغيت .

ومع هؤلاء الجهال كثُر شَغَب المشاغبين حول هذا الأصل من مرجئة هذا الزمان وأذناب عباد الأوثان ومن المستغربين والمعجبين بالطرق الكافرة والفتنة المغربية، والعجيب أن كثيراً منهم يدعي السلفية والتوحيد، كما سنبينه .

واعلم أنه نشأت في زماننا أجيال رضعوا المبادئ المنحرفة والأفكار الضالة ، حتى جهلوا بحقائق التوحيد ومن جهل الشيء كيف سيلتزمه ويعمل به .

هذا وقد كثُرت المفاهيم الخاطئة في فهم التوحيد وإليك بعضها :

فظنت طوائف مشركة أن التوحيد فقط في الربوبية والاعتقاد الجازم بها، فإذا اعتقدوا أنه لا رب ولا خالق غير الله صاروا بذلك موحدين ومن أهل لا إله إلا الله، ولو عبدوا القبور واستغاثوا بالأموات فإن هذا ليس بشرك وهذه ليست عبادات يجب أن تصرف لله وحده ، ونسي هؤلاء الجهلة أن كفار العرب الذين بعث فيهم سيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ كانوا يقرون بأن الله وحده هو الخالق المالك وهو الذي بيده كل شيء وهو وحده النافع الضار كما أخبر الله ﷻ عنهم بقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ الزخرف: ٨٧ ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ المؤمنون: ٨٤ - ٨٩ .

وأخبر الله ﷻ أن شركهم كان في طلب الواسطة والشفاعة من الأولياء : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ الزمر: ٣ .

وطائفة مشركة أخرى جعلت التوحيد متعلق بالدعاء والصلاة وأن الشرك خاص بالقبور والأصنام ، وقصروا العبادة والشرك فيها على هذا فقط ، وأخرجوا من العبادة أهم جوانبها وبالأخص عبادة الحكم وعبادة الموالاة والمعاداة.

فأخرجوا عبادة اتباع الأمر والنهي والحكم والتحاكم والطاعة والتشريع والتحليل والتحريم وسن الدين والأحكام فلم يحكموا بحكم الله في الحكّام بغير ما

أنزل الله والمشرعين ، ولم يجعلوا الحكم عبادة وأنكروا أن يكون فيها شرك وزعموا أن هذه الأفعال لا تعارض التوحيد، وخالفوا صريح القرآن في مثل قوله ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٣١ ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ آل عمران ٦٤ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ النساء: ٦٠ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ .

كما أخرجوا عبادة الولاء والبراء : فظنوا أنه يمكن أن يبقى مع الشخص توحيداً وإسلاماً مع موالاته للكفار ومعاداته للموحدين . وخالفوا صريح القرآن كقوله ﷻ : ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ .

وطوائف عطلت الرب ﷻ من صفاته ومثلته بخلقه وجعلت ذلك من التوحيد .

وطوائف إرجائية عبثت بأركان التوحيد وشروطه ونواقضه فجعلوا كل ذلك من قبيل الاعتقاد وليس هناك شروط للتوحيد عملية ولا نواقض للتوحيد والإسلام عملية ، فمرد الجميع لمعتقد القلب .

وهذه المخالفات نشأت مع مرور الأزمان وتداعي حملات التضليل بحقيقة الدين، التي تقوم بها العلمانية وأمثالها من طوائف الردة والنفاق بأساليبهم الماكرة، ومن جهة أخرى الصوفية والمتكلمة والمرجئة ، فأكثروا من إيجاد الصوارف عن التوحيد وتحسين وسائل الشرك ، مما أدى إلى تشويه الدين وانحسار كثير من مفاهيمه الشرعية عن مدلولها الصحيح، ومنها العبادة، حيث حصروه في دائرة أداء المناسك والشعائر التعبدية التي ساحتها المساجد والمعابد وحسب.

ولم تغرب هذه المفاهيم الضالة حتى خرج علينا من أدعياء التوحيد من يظن أن التوحيد يتحقق بمجرد دراسة التوحيد ومعرفة أقسامه ونواقضه معرفة نظرية وبتحضير رسائل الدكتوراه في تحقيق التوحيد أو شروح كتاب التوحيد نظرياً دون الخروج إلى الواقع العملي . فالتوحيد ليس مجرد شعار لا يقارنه عمل يؤكده.

ولهؤلاء نقول: لو أن التوحيد بهذه المثابة قول بلا عمل لما حوربت الرسل. ولما امتنع كفار العرب من الاتيان به، لكن لما فهموا حقيقته رفضوا الانقياد له . فأفٍ وتفٍ لمن كان مشركي الجاهلية أعلم منه بلا إله إلا الله التي يدّعي الانتساب لها .

هذا وقد بيّن النبي ﷺ لأصحابه مثل هذه الأخطاء وصوّب المفاهيم كما فعل مع عدي في شرك الطاعة ولبعضهم تعليق الأنواط ولبعضهم الذبح في أماكن الشرك ودار الطاغوت . ويجب علينا البيان للعهد المأخوذ علينا وكما عليه قدوتنا ﷺ .

حال أدعياء التوحيد الذين هم خصومه في الحقيقة :

أهل التوحيد الحق يدينون بلا إله إلا الله قولاً وعملاً ، وأهل الشرك يشمئزون من التوحيد ويحبون الشرك، ودعواهم لمحبة الله وتوحيده وعبادته دعوى مزعومة كاذبة ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥. صدق الله العظيم ومن أصدق من الله قيلا. والله من تأمل حال مشركي زمانه في كل زمان ومكان وجد هذه الصفة المطردة تجمعهم ، فكم من عباد القبور من يزهدون في المساجد وتضيق صدورهم فيها ويستبشرون بالمشاهد والقبور، وكم من الممجدين للطواغيت ومحاكم الكفر والشرك ويعدون ذلك من الحضارة بينما تضيق صدورهم بأحكام الشريعة،وكم هم أولئك الموالين للكفار يفرحون بهم ويخلصون في مصادقتهم والتودد لهم وإذا رأوا الموحدين قامت قيامتهم وظهرت عليهم آيات الكفر بهم وسلقوهم وصرحوا بعداوتهم .

وكم من أرباب الإرجاء من يعتذر للشرك وأهله ويلمز أهل التوحيد، حتى صاروا أعزة على الموحدين أذلة على المشركين، خوارج مكفرون لأهل التوحيد مرجئة مع المرتدين. وقد جعلوا من يكفّر عباد القبور والمشرعين للقوانين والحاكمين بها والمظاهرين للكفار من الخوارج الذين تستباحُ دمائهم ويجب تكفيرهم، فقلبوا وجه المجن وانقلبوا على أهل التوحيد فبدل أن يكفّروا المرتدين كفّروا الموحدين .

وقد شكا ابن القيم رحمه الله منهم وبيّن حالهم في نونيته بأبيات قال فيها :

من لِيّ بمثل خوارج قد كفرّوا ... بالذنب تأويلاً بلا إحسان

وخصومنا قد كفرونا بالذي ... هو غاية التوحيد والإيمان

فهؤلاء رحمك الله خصوم التوحيد وأهله، وقد أجمعوا على صد الناس عن التوحيد ومحاربة الدعاة إليه في كل زمان، وما أعداء محمد بن عبدالوهاب ورميه من أرباب الرفض والتصوف بأنه خارجي تكفيري وقبله ابن تيمية وابن القيم ، عن مرجئة زماننا عنهم ومنهم ببعيد. والحمد لله الذي أرانا نفاقهم وميز الخبيث من الطيب وعرّفنا كفرهم في لحن أقوالهم، وإنّا على هذه النعمة لربنا ومعبودنا من الشاكرين ولفضلها من الموقنين والحمد لله رب العالمين.

غربة التوحيد وأهله في زماننا :

ما أشد غربة التوحيد في زماننا وما أقل أهله أرباب الجهاد لأجله بالسنان واللسان والبيان، وما أعظم الكثرة المخالفة له .

فيا لله كم من وثنٍ يعبد ، وقبرٍ ومشهدٍ يعظم وله يسجد ، وكم من مخلوقٍ ضعيف يدعى من دون الله وإليه يصمد ، وكم من طاغوتٍ يتحاكم إليه وبقانونه وتشريعه الكفري يحمد ، وكم من مشركٍ يوالى ويظاهر ويقصد ، وكم من موحدٍ مجاهد يحارب ويعان عليه ويعضد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، اللهم اجعلنا من أهل التوحيد واجنبنا وذرياتنا الشرك إلى الأبد .

كتبه / أبو علي المرضي

بديار غامد من أرض الحجاز

بتاريخ غرة المحرم من سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ

الفصل الأول

التعريف بالتوحيد وأقسامه وحقيقته

المسألة الأولى: تعريف التوحيد في اللغة :

التوحيد مصدر وحّد يوحد توحيداً، ومعناه الإفراد والتمييز والاختصاص وما لا ثاني له ولا مثيل .

والوحدة الانفراد، تقول رأيته وحده أي منفردا ليس معه أحد.قاله الجوهري.

والواحد ضد الشريك والتثنية والجمع .

فالواحد هو الذي لا يقبل الانقسام ولا يثنى ، فليس له ثاني ولا شريك له ولا مثيل ولا نظير .والشرك ضد التوحيد .

والتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على مصطلح يقوم على النفـي والإثبـات ومثله الإفراد والوتر وأسلوب الحصر .

فالتوحيد له ركنان هما الإثبات والنفي، فلا يسمى الشيء مفـرداً أو إفـراداً أو توحيداً أو تجريدا أو إخلاصا إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

التوحيد على وزن تفعيل وهي صيغة تستعمل للنسبة لا للجعل :

أي نسبة الوحدانية واستحقاق العبادة والربوبية لله الواحـد الأحـد ، وجعـل المعبود واحدا ولا تجعل نداً مع الله وتنسب الشريك له .

بمعنى أنك تجعل العبادة لله وحده لا أنك جعلـت الله مـستحق للتوحيـد لأن الله الذي جعل لنفسه ذلك وهذا من لوازم ذاته وخصائص صفاته.

ومثله التصديق والتكذيب فهو نسبة الصدق والكذب للمتكلم ممن سمعه .

فائدة : نسبة التوحيد تكون بالاعتقاد والعمل ، وذلك بجعل المعبـود واحـداً اعتقاداً وعملاً، وضده الشرك يكون بالاعتقاد والعمل وذلك بإشراك آلهة مع الله.

انتقد بعض أهل العلم كالسفاريني في لوامع الأنوار عبارة أئمة اللغة في تعريف التوحيد بأنه : جعل الشيء واحداً ، وجعل المعبود واحدا .لأن الله ﷻ وحدانيته من لوازم ذاته وصفة من صفاته القائمة به وليس بجعل جاعل .

وهذا الانتقاد ليس في محله، لأن الكلام ليس عن الوحدانية التي هي صفة لله، وإنما عن التوحيد الذي هو صفة للعبد وهي نسبة الوحدانية وجعلها لله وحده ، والشرك ضد ذلك بجعل شريك مع الله ونسبة استحقاق العبادة لأكثر من واحد . والجعل هنا أثبتته النصوص للعبد كما ورد في التوحيد قوله : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ وفي الشرك حديث (أن تجعل لله نداً) .

فيتبين بذلك أن مقصودهم بعبارة جعل الشيء واحداً، فعل المكلف الذي يوحد الله لا يشرك به، ففلان قام بتوحيد الله وجعل العبادة لله وحده، وفلان قام بالشرك أي نسبة الشريك مع الله وجعل ندا لله يُعبد معه وأثبت له استحقاق العبادة.

كما يقال ذلك في تصديق الله تعالى ورسوله أو تكذيبه فإن ربنا ﷻ صادق والصدق من لوازم ذاته وكذا رسوله ﷺ فهو صادق بلا شك فالصدق صفة لهما، أما التصديق والتكذيب فإنها صفة المتلقي والسامع المؤمن وهو المصدق بهم والكافر وهو المكذب .فهذا معنى النسبة فأنت المفعِّل الذي تنسب وتصف وقد توافق الحقيقة والصفة الذاتية وقد تخالفها وتخطأ فيها ، فالنسبة صفة راجعة للطرف المقابل وليست راجعة لذات الشيء فتصديق الرسول ليس صفة للرسول وإنما التصديق صفة للمرسل إليه، أما صفة الرسول فهي الصدق، ومثل ذلك يقال في التكذيب فمسيلمة كذّاب والتكذيب صفة لمن يكذبه ويسمع به .

المسألة الثانية : تعريف التوحيد الاصطلاحي :

التوحيد شرعا : هو إفراد الله ﷻ بكل ما يستحقه وما يخصه .

والذي يستحقه ﷻ ويجب أن يوحد فيه ، ويعتبر من حقه الذي يختص به، ويجب علينا أن نفرده به ، ثلاثة أمور :

الأول : العبادة من التعظيم والمحبة والذل له والخضوع والطاعة والالتجاء.

الثاني : الربوبية والأفعال الخاصة به كالخلق والرزق والتدبير والإماتة.

الثالث : إثبات الصفات الحسنى التي مرجعها للكمال والجلال والجمال الذي تفرد به، وتنزيهه عن النقص الذي اشترك فيه جميع الخلق .

فالتوحيد : إفراد الله بالألوهية وبالربوبية والأسماء والصفات .

وهذا التعريف يشمل جميع أنواع التوحيد :

توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة ، وهي المتعلقة بأفعال العباد .

توحيد الربوبية والأسماء والصفات،وهما إفراد الله بأفعاله وصفاته الخاصة به.

المسألة الثالثة: أساس التوحيد :

التوحيد العلمي (الربوبية) : أساسه قائم على إثبات الكمال لله .

التوحيد العملي (الألوهية) : أساسه قائم على تعظيم الله والذل له وحبه والخوف منه ورجائه والتوكل عليه والتوجه لله وتجريد القصد والطلب والتعلق لله وحده ، وتعبيد القلب والجوارح لخالقها.

المسألة الرابعة: حقيقة التوحيد :

قال المقريزي في تجريد التوحيد : (التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى، رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا المقام يثمر التوكل وترك الشكاية والرضا عن الله والتسليم له) .

قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : (التوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله) .

وهذا حقيقة توحيد الألوهية وهو حقيقة الإسلام القائم التعلق بالله وعبادة الله وحده وطاعته وامتثال أمره وشرعه ، والكفر بكل المعبودات غيره .

مسألة : حقيقة توحيد الأسماء والصفات والربوبية مبني على أصلين :

الأول : تنزيه الله ﷻ عن مشابهة الخلق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

الثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه من الكمال ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

وهذين الأصلين بيّنها الله ﷻ وجمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ .

المسألة الخامسة: مرادفات لفظ التوحيد :

من الألفاظ المرادفة للتوحيد : الإخلاص والتجريد والإفراد .فهي بمعنى متقارب . لأن كل منها قائم على أسلوب الحصر ، الذي يجمع الإثبات والنفي .

وقد جاء في النصوص تفسير الإسلام بالإيمان وبالتوحيد . كما فسر الإيمان بالإسلام وبالتوحيد .كما فسر التوحيد بالشهادتين والعبادة والإخلاص والإيمان والإسلام . كما سمى الله التوحيد والعبادة إيماناً وإسلاماً. كما سيأتي .

المسألة السادسة: المصطلحات المفسرة والمرادفة للتوحيد .

الشهادتين :

الشهادتان لا إله إلا الله محمداً رسول الله : مدلولها هو عين مدلول التوحيد، لأن لا إله إلا الله نفي وإثبات، وهذا هو المراد بالتوحيد ، ولذلك سميت الشهادة بكلمة التوحيد ، كما أن أنواع التوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات والمتابعة دلت عليها الشهادتين بالمطابقة والتضمن والملازمة .

الإيمان :

الإيمان الصحيح بالله ﷻ هو ما تضمن الإيمان بوجوده وبربوبيته وبأسمائه وصفاته وبألوهيته وتوحيده في كل ذلك وعدم الإيمان بالشرك معه، بل يكفر بكل شريك جعل مع الله ومعبود باطل . فإذا خالط الإيمان شركا فإنه لا يقبل، كما سيأتي .

والتوحيد هو الإيمان بالله وحده كما في بعض النصوص والكفر بالطاغوت .

الإسلام :

كل منهما يستلزم الآخر . فالتوحيد يستلزم الإسلام ويتضمنه.

والإسلام يستلزم التوحيد و هو من ومقتضياته ، لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك.

العبادة : العبادة أعم من التوحيد فكل موحد عابد وليس كل عابد موحد .

والتوحيد والشرك متعلق بالعبادة ومن صفاتها . وسيأتي الكلام عنها .

الكفر بالطاغوت : أحد ركني التوحيد كما سيأتي .

الإخلاص : وهو مرادف للتوحيد .

المسألة السابعة: تفسير النبي ﷺ لشهادة التوحيد :

جاء تفسير التوحيد في كلام النبي ﷺ كما في حديث (بُني الإسلام) وحديث جبريل، وحديث وفد عبد القيس ، وحديث معاذ في الدعوة للتوحيد وغيرها :

الأول : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان) البخاري .

وفي رواية قال النبي ﷺ: (بني الإسلام على خمس : على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج) رواه مسلم .

وفي رواية أخرى : قال ﷺ : (بني الإسلام على خمس: على أن يُعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) رواه مسلم .

فجاءت روايات بمصطلحات أخرى بدل عبارة (أن يوحد الله) :

الأولى: التعبير بالعبادة والكفر بما سواه : (أن يعبد الله ويكفر بما دونه) .

الثانية: التعبير بالشهادتين: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) .

الثالثة: التعبير بالإيمان : (إيمان بالله ورسوله) .

فتأمل كيف استبدل ﷺ شهادة التوحيد بعبارة (على أن يوحد الله) الذي يعني (لا إله إلا الله). والتوحيد المراد به في هذا النص من مقتضياته إفراد الله بالعبادة والكفر بكل مألوه ومعبود سواه. كما أوضحه عبارة (أن يُعبد الله ويكفر بما دونه) .

فانظر كيف فسر النبي ﷺ شهادة التوحيد الواردة في النص المشكل على أهل الإرجاء، بأن يوحد الله تعالى، ثم بأن يعبد الله وحده ويكفر بالطاغوت .

الثاني: حديث إرسال النبي ﷺ معاذا لليمن لدعوتهم للإسلام :

وفيه : (فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله). رواه البخاري .

وقد جاءت روايتان بمصطلحين آخرين بدل عبارة (أن يوحدوا الله) :

الأولى: التعبير بمصطلح العبادة : (عبادة الله) .

الثانية: التعبير بـالشهادتين: (يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) .

فالتوحيد هو العبادة وهو معنى الشهادتين .

الثالث: حديث جبريل: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت) رواه مسلم .

وفي رواية عنده: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان). وفي أخرى : (الإسلام لاتشرك بالله شيئا).

فجاءت رواية بمصطلح آخر بدل عبارة الشهادتين (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله). وهي التعبير بمصطلح العبادة وعدم الشرك : (أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا) .

الرابع : حديث ابن عباس في خبر وفد عبد القيس:(فأمرهم بأربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده) ثم فسرها ﷺ لهم وقال: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده) قالوا الله ورسوله أعلم قال ﷺ : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) رواه مسلم .

الخامس : حديث : (من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لايشرك به شيئا فارقها والله عنه راض) رواه ابن جرير .

فجاء تفسير التوحيد بالشهادتين وعبادة الله وحده وترك الشرك والكفر بالطاغوت والإخلاص والإيمان والإسلام .

وقد سمى الله التوحيد والعبادة إيماناً وإسلاماً.

كما فسر الإسلام والإيمان بالتوحيد والشهادتين والإخلاص وعبادة الله وحده وترك الشرك والكفر بالطاغوت .

ففسر الإسلام بالإيمان وبالتوحيد .

وفسر الإيمان بالإسلام وبالتوحيد .

وجاء تفسير التوحيد وحقيقة معنى لا إله إلا الله في الأحاديث معبرا عنه بعدة ألفاظ وأكثر من صيغة كل واحدة تفسر الأخرى وتحمل نفس معنى الأخرى .

الألفاظ الواردة في الأحاديث :

(فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله). وفي رواية (عبادة الله) .

وفي رواية : (شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) البخاري .

وفي رواية (فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعرفوا الله ... فإذا عرفوا الله) .

(الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله) . حديث عند البخاري .

(الإيمان بالله وحده: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) مسلم.

(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) .

(الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا).

(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله) مسلم .

(الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئا).

(إيمان بالله ورسوله) البخاري.

(بني الإسلام على خمس : على أن يوحد الله) رواه مسلم .

وفي روايه :(على أن يُعبد الله ويكفر بما دونه) .

وفي رواية البخاري (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله).

وفي رواية : (بني الإسلام على خمس : كلمة الإخلاص) .

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾

فتأمل ماورد في النصوص، فإنه عبر عن النفي (لا إله) والإثبات (إلا الله) في كلمة التوحيد بعدة صيغ تحمل نفس المعنى، والأمران بمجموعهما يمثلان التوحيد:

١- لا إله / إلا الله .

٢- تعبد الله / ولا تشرك به شيئا .

٣- الإخلاص لله وحده وعبادته / لا يشرك به شيئا .

٤- يؤمن بالله / يكفر بالطاغوت .

٥- لا إله إلا الله / وكفر بما يعبد من دون الله.

٦- يوحدوا الله .

٧- عبادة الله .

٨- إيمان بالله .

٩- يخلصوا لله .

١٠- شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله .

١١- إيمان بالله ورسوله.

وهذه الأحاديث من أعظم ما تفسر به كلمة لا إله إلا الله، وتوضح مصطلح التوحيد، وأن المقصود بالتوحيد : توحيد العبادة بأن يعبد الله وحده والكفر بعبادة غيره، وأن الشرك هوعبادة غير الله . وهذا أمر مستقر في الكتاب والسنة كما بيّنه الصحابة . وكل هذه حجج لأهل التوحيد على المتكلمين والصوفية والقبورية الجهلة بمدلول كلمة التوحيد .

قال ابن عباس ﷺ في آية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال: يوحدون .

وقال: (كل أمر بالعبادة ورد في القرآن فمعناه التوحيد) تفسير البغوي .

عليه فإننا نقول : من شهد أن لا إله إلا الله على الوجه الذي فسره النبي ﷺ، وهو إفراد الله بالعبادة والكفر بكل ما يعبد دونه، فإنه قد أتى بالمطلوب ونفعته شهادته بهذه الصورة، وما سوى ذلك فهو مردود على قائله .

المسألة الثامنة: ورود التوحيد في النصوص:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص: ١ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ البقرة: ١٦٣ ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ النساء: ١٧١ ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ المائدة: ٧٣ ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾ الصافات٤ ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ص ٥ ﴿ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ غافر: ١٢ ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ يوسف: ٣٩ ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ الأعراف ٧٠ ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ غافر: ٨٤ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥ ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ النساء: ١٧١ ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩.

وجاء التصريح بلفظ التوحيد في السنة من ذلك:

١- قول الرسول ﷺ لعمرو ﷺ: (أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك) رواه أحمد وصححه الألباني .

٢- قال جابر ﷺ عن سورة الإخلاص حين قرأها الرسول ﷺ خلف المقام : (وقرأ فيهما بالتوحيد وبـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾) رواه أبو داود .

فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تسمى سورة الإخلاص وسورة التوحيد .

٣- حديث جابر ﷺ في صفة حجة الوداع وفيه : (فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك) رواه مسلم .

٤- عن ابن عمر قال: قال ﷺ: (بني الإسلام على خمس على أن يوحد الله وإقام الصلاة) رواه البخاري ومسلم .

٥- قول الرسول ﷺ لمعاذ ﷺ حين بعثه لليمن: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى) رواه البخاري .

٦- قال ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ **قال يوحدون .**

وقال: (كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد) تفسير البغوي .

وقال في قوله ويكون الدين كله لله : (يخلص له التوحيد) زادا المسير.

وسمى (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد .

٧- عن سعد بن أبي الوقاص ﷺ قال مر عليّ رسول الله ﷺ وأنا ادعوا بأصبعي فقال ﷺ: (أحِّد أحِّد) وأشار بالسبابة .

وروي من طريق أبي هريرة ﷺ. رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي .

والمراد بالحديث: أن سعد ﷺ رفع أصبعين، والأصبعان هما سبابة اليد اليمنى وسبابة اليد اليسرى، والدعاء كان في التشهد في الصلاة ويحتمل أن يكون خارجها، فقال له النبي ﷺ أحِّد، أي أشر بأصبع واحدة دلالة على التوحيد، وأشار بأصبعه الكريمة من يده اليمنى تعليما وتوجيها له.

ومن فقه الحديث: أن التوحيد يكون بالقول والعمل، فانظر كيف علم النبي ﷺ سعدا التوحيد بالقول حين قال له أحِّد، وبالعمل حين أشار بالسبابة فعين الأصبع بالفعل .

هذه الأدلة وغيرها تثبت أن مصطلح التوحيد مصطلح سلفي وعبارة شرعية وليست خلفية بدعية لا وجود لها في النصوص وكلام الصحابة والسلف كما يزعمه البعض .

المسألة التاسعة: استخدام السلف مصطلح التوحيد .

قال قتادة : (ذرية بعضها من بعض في التوحيد، والرسل أرسلت بالإخلاص والتوحيد).

وصنف الإمام ابن خزيمة كتاباً في الصفات وأسماه التوحيد .

ومثله ابن سريج وابن مندة .

وقبلهم البخاري في صحيحه عقد كتابا أسماه كتاب التوحيد .

المسألة العاشرة: الواحد والأحد من أسماء الله ﷻ :

من أسماء الله تعالى الواحد الفرد الأحد.

ومعناه أنه هو وحده ﷻ إله واحد لا ثاني له ، ولا شريك، ولا مثيل .

وهذه الأسماء دالة على التوحيد بدلالة المطابقة .

والإله يدل على التوحيد بدلالة التضمن .

وصفة هذين الاسمين هي الوحدانية له وحده لا شريك له .

فالله ﷻ واحد في ذاته وواحد في ربوبيته وواحد في أسمائه وصفاته وأفعاله وواحد أحد في ألوهيته، فهو المتوحد بالجلال والكمال والجمال واستحقاق العبودية لله وحده لا شريك له .

وقد ورد اسم الواحد في اثنين وعشرين موضعا في القرآن .

وورد الأحد مرة واحدة في سورة الإخلاص .

وذلك حين قال المشركون للرسول ﷺ انسب لنا ربك : فأمر الله ﷻ رسوله أن يقول لهم ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أي واحد لا والد له ولا ولد، واحد في الصمود إليه فيصمد كل الخلق إليه لا غنى لهم عنه، لا في دينهم وسؤالهم ولا في دنياهم وحوائج أبدانهم وعافيتهم ولا في أرزاقهم وأقواتهم ولا في غيرها وهو غني عن كل ما خلق وليس له مثيل ولا كفؤ.

وتأله العباد لله أحوج منهم لها من حاجتهم لربوبيته لهم ، فألوهيته عليهم مثل ربوبيته عليهم فالله إله على الخلق وإله لهم كما أنه رب عليهم .

فائدة: الفرق بين اسم الواحد والأحد .

ذكر البعض فروقا بينهما منها : أن الواحد المنفرد بالذات والأحد المنفرد بالمعنى، والحق أن الفرق بينهما لم يظهر والله أعلم بذاته وأسمائه وصفاته ، مع يقيننا بأن لكل اسم تسمى الله به فأن فيه زيادة معنى ينفرد عن غيره .

وأما تفريق أهل اللغة الأزهري وغيره :

بأن الأحد بُني لنفي ما يذكر معه من العدد، تقول ما جاء أحد .

والواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول جاء واحد ولا تقول جاء أحد .

فليس هذا مقصودنا ولا يفي بالغرض المعنوي والسر اللغوي الذي استحق ربنا ﷻ أن يختص بهما، كما جمع لنفسه بين أسماء متقاربة في المعنى واشتقاقها واحد مثل الرحمن الرحيم، والعلي الأعلى والقادر المقتدر القدير .

فائدة: ورد فيما اتصف الله ﷻ به الوتر كما في حديث (إن الله وتر يحب الوتر).

وليس الوتر من أسماء الله ﷻ وإنما هو من صفاته وهو بمعنى الوحدانية .

المسألة الحادية عشرة: أسماء علم التوحيد عند السلف ﷺ وألحقنا بهم:

التوحيد ، ومثاله كتاب التوحيد لابن خزيمة .

السنة ، ومثاله كتاب السنة للخلال.

الشريعة ، ومثاله كتاب الشريعة للآجري .

الإيمان ، ومثاله كتاب الإيمان لابن منده .

أصول الدين .

العقيدة ، وعلم الاعتقاد ، ومثاله كتاب الاعتقاد للالكائي .

الفقه الأكبر ، ومثاله كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة وفي نسبته إليه خلاف .

وابتدع المتكلمون لهذا العلم أسماء لا تليق به ولا تصلح له ولا تدل عليه منها: علم الكلام ، علم التصوف ، علم الإلهيات ، علم الغيبيات ، علم العقائد ، علم الملل والنحل ، والتصور ، والفكر الإسلامي .

الفرق بين العقيدة والتوحيد :

أن التوحيد جزء من العقيدة فالعقيدة تشمل التوحيد الذي هو الإيمان بالله وتشمل الإيمان بالملائكة والرسل والكتب والبعث وكل أمر غيبي .

فالتوحيد متعلق بالشهادتين والإيمان بالله وتوحيد الربوبية والعبادة ، بل صار في عرف أهل العلم متعلق بتوحيد الألوهية من أقسام التوحيد فقط .

أن العقيدة تشمل ما يتعلق بمسائل الإيمان والإسلام .

أن العقيدة تُعنى بالردود على الفرق المبتدعة والمخالفين في المسائل الاعتقادية المتعلقة بالقدر والصفات والنبوات والإيمان وغيرها ونقض حججهم الكلامية والمنطقية وشبههم العقلية .

ميزات عقيدة التوحيد وخصائصها :

الوسطية ، والشمولية ، وأنها توقيفية ، وغيبية .

كما أجمعت عليها شرائع الأنبياء فلا يدخلها النسخ .

كما أنها تطمئن القلب وتريحه وتعبده لله.

ومصادرها الوحيين ولا مجال للنظر والاجتهاد فيها .

الثانية عشر: الفرق بين الربوبية وتوحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الألوهية :

الربوبية صفة من صفات الله، والتوحيد والشرك صفة العبد .

فالناس أقسام فيها :

١- منهم من لا يثبت الربوبية لله أصلا وهم الكفار.

٢- ومنهم من يثبت الربوبية لله ولكن لا يوحده فيها وهم المشركون.

٣- ومنهم من يوحد الله فيها .

ومثل ذلك في الألوهية .

ولا ينفع العبد أن يثبت الألوهية والربوبية لله تعالى ما لم يوحده بها ، فيجب أن لا يثبت أي ربوبية ولا أي ألوهية لأحد سواه ﷻ.

إذاً التوحيد هو فعل العبد وقوله واعتقاده في ربه وإلهه ، وتوحيده بالقلب يكون بإقرار العبد واعتقاده أن الله واحد في ربوبيته وألوهيته لا رب سواء ولا إله غيره فيوحد الله باعتقاده أنه لا يستحق العبادة غيره ولا رب نافع وضار وحاكم وآمر غيره تعالى، ثم يوحده بقوله بلسانه ويشهد الشهادة الحقة لله ، ثم يوحده بعمل قلبه بتعظيمه وخوفه ومحبته، ثم يوحده بجوارحه فلا يعبد غير الله ولا يقصد غيره .

هذا هو التوحيد وهو فعل العبد أما الربوبية والألوهية فصفة الله والتي لا تنبغي لغيره وإثباتها لغيره أمر واقع وهو من الشرك الذي لا يغفره الله.

الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة :

العبادة هي القربة والطاعة وفعل العبادة سواءً صرفت لمستحقها وهو الله وحده أولا . والتوحيد أن لا تصرف هذه القربة والعبادة لغير الله ﷻ.

مسألة: فائدة لغوية:

هل يصح أن يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية والشرك في توحيد الألوهية، أو يقال الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية ؟ .

العبارة الصحيحة : أن يقال الشرك في الألوهية والشرك في الربوبية، ولا يقال الشرك في التوحيد والشرك في توحيد الربوبية والشرك في توحيد الألوهية .

وعلة ذلك : أن التوحيد يقابل الشرك ولا يجتمعان، فالتوحيد لا يتعلق به الشرك وإنما يتعلق بالعبادة والألوهية والربوبية، أما من وحد وأتى بالتوحيد فلا يقال أشرك في توحيده وإنما أشرك في عبادته .

ويصح أن يقال الكفر بالتوحيد كما تقدم .

مسألة : تعديات لفظ الألوهية والربوبية :

الإله : الله إله على خلقه وإله لهم ، فألوهيته عليهم ولهم .

والرب : الله رب على خلقه ورب لهم ، وربوبيته عليهم ولهم .

المسألة الثالثة عشر : دخول التوحيد في أركان الإسلام وأركان الإيمان :

يدخل التوحيد في أركان الإسلام وأركان الإيمان وجه ذلك :

أن الشهادتين اللتين هما أول أركان الإسلام هما حقيقة التوحيد وهما بمعنى واحد إثبات الإيمان بالألوهية والربوبية لله ونفيها عما سواه .

كذلك الإيمان بالله لا يقبل إلا إذا كان مقترناً بالتوحيد ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ ﴾، والإيمان بالله قائماً على الإيمان بوجود الله والإيمان بتوحيده في ربوبيته وصفاته وألوهيته والإيمان بالله هو الركن الأول من أركان الإيمان .

كما أن بقية أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة تدخل في التوحيد من طريق دلالة اللزوم .

فالتوحيد يستلزم أن يؤمن العبد الموحد بكل ما أخبر الله ورسوله به من أركان الإيمان ، ويعمل بكل ما أمر به من أركان الإسلام .

فالتوحيد إيمان وتصديق وتسليم وعمل وانقياد .

وكذلك العبادة لا تقبل إلا بالتوحيد فمتى وجدت عبادة الله ومعها شيء من الشرك ردت على صاحبها وحبط عمله .

وفسر ابن عباس آية: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ قال: يوحدون.

المسألة الرابعة عشر: فضل التوحيد ومكانته وأهميته وثمراته :

فضل العلم وشرفه من شرف المعلوم، والتوحيد هو العلم الذي يعرف الإنسان بربه وإلهه ومعبوده فيوحده لكونه المستحق وحده لذلك ويعلم السبب في كونه المستحق للعبادة وحده .

التوحيد أعظم ما أمر الله تعالى به، ويكفي لمعرفة مكانته أن العبد لا يدخل الإسلام إلا به ولا يعصم الدم والمال إلا هو ولا يدخل أحد الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه ولا تقبل العبادات إلا به .

ولم يخلق الله الخلق إلا ليوحدوه في العبادة .

وقد شهد الله بذلك وأرسل الرسل وأنزل الكتب وأخذ العهد لأجله وبه تحصل الأخوة الإسلامية ولأجله أوجب الجهاد وجردت السيوف واستبيحت الدماء والأموال والحريم .

ولا تحصل السعادة والأمن إلا به .

ومن حقق التوحيد دخل الجنة، ومن أخل به استحق العقاب، ومن نقضه خُلّد في النار، ولا يخلد في النار من قام به توحيد صحيح، ولا يدخل الجنة من قام به الشرك الصريح .

ومن فوائد التوحيد وفضائله أنه السبب الوحيد لتحصيل رضا الله وثوابه وجنته ورحمته والسعادة في الدارين والأمن فيهما .

كما أنه يقوي القلب ويشرحه ويسعده ويربيه على محبة الله وفعل الخير وكره الشر والبعد عنه والتقرب إلى الله والصبر على الأقدار والتحلي بمكارم الأخلاق من الكرم والشجاعة والصدق .

قال ابن القيم رحمه الله في الداء والدواء عن كلمة التوحيد: (هي الكلمة التي قامت بها الأرض السماوات وفطر عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد وهي الكلمة العاصمة لهم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر والنار وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من تعلق بسببه وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء).

وقال في طريق الهجرتين : (اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها، فليس لهذه الحاجة نظير تقاس به فلا صلاح للعبد إلا بإلهه ولا تطمئن الدنيا والقلوب إلا بذكره..) .

تنبيه : جمع ابن عبدالهادي في رسالته التي في فضائل كلمة التوحيد أكثر من مائتي فائدة للتوحيد.

وأفرد الإمام محمد بن عبدالوهاب لفضل التوحيد باباً في كتاب التوحيد.

والقرآن جاء كله دعوة إلى التوحيد وتقريراً لتحقيقه .

قال ابن القيم في مدارج السالكين : (إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه ، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله

وهو التوحيد العلمي الخبري ، وأما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلق كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد المرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فهي حقوق التوحيد ومكملاته .

وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم) .

المسألة الخامسة عشر: وجوب تعلم مسائل التوحيد وحقيقة الشرك وأسبابه :

يجب على كل مسلم أن يعرف التوحيد الذي أمرنا الله به، ويعرف الشرك الذي ينقضه ويسعى حثيثا في تعلم كل ذلك، وهذا حصن للمؤمن فإذا علم بالشرك اجتنبه، ألا ترى أن بعض الصحابة ﷺ حين خفي عليهم حقيقة الشرك والتوحيد وكانوا حديثي عهد بكفر طلبوا التعلق بالأنواط والتبرك بالأشجار لعدم معرفتهم ببعض صور الشرك، فأنكر عليهم النبي ﷺ، ولذلك ينبغي للمسلم معرفة الشر ليحذره.

هذا وقد كثر في المعاصرين الجهل بحقيقة الشرك، فلم يفهموا ما هو الشرك الذي حرمه الله تعالى والذي لا يغفره، وكثرت عندهم الشبه حول الشرك وحقيقته والسبب في عدم مغفرة الله تعالى لصاحبه .

السادسة عشر: أركان التوحيد :

التوحيد قائم على ركنين النفي والإثبات : وهما ركنا شهادة أن لا إله إلا الله .

الركن الأول : النفي :

النفي والإنكار: وهو الموجود في : (لا إله) وهو نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله ﷻ والكفر بعبادة من دونه،والخلوص من الشرك والبراءة من أهله، وخلع الأنداد والمعبودات والآلهة .

وأيضا نفي الربوبية والكمال والربوبية والألوهية والتعظيم عن كل مخلوق .

الركن الثاني الإثبات : وهو الموجود في : (إلا الله) .

إثبات العبادة والدين والألوهية والربوبية والكمال لله وحده دونما سواه.

وليعلم أن ذلك مشتق من أصل اللغة فالتوحيد في أصل اللغة لا يطلق إلا على مصطلح يقوم على النفي والإثبات ومثله الإفراد والوتر وأسلوب الحصر .

فالتوحيد له ركنان هما الإثبات والنفي ، فلا يسمى الشيء مفرداً وإفراداً وتوحيداً وتجريدا وإخلاصاً إلا إذا قام على ركنين هما الإثبات مع النفي .

المسألة السابعة عشر: أركان التوحيد من حيث محله وآلته:

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بالإقرار بوحدانية الله ﷻ وإفراده بجميع أنواع العبادات القلبية محبته ومهابته والذل له والخضوع له وتعظيمه .

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد وذكر الله وسؤاله .

الركن الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام له ﷻ بالتوحيد بالبدن .

المسألة الثامنة عشر : أقسام التوحيد :

ينقسم التوحيد إلى أقسام باعتبارات : ومثله الشرك الذي هو ضد التوحيد .

التقسيم الأول : ينقسم باعتبار آلاته وأركانه إلى عملي واعتقادي وقولي .

١- التوحيد القولي اللساني :

قول لاإله إلا الله ودعاء الله وتسبيحه والحلف به والإقرار بتوحيد الربوبية له.

٢- التوحيد الاعتقادي الباطني القلبي : (قولي وعملي)

الاعتقادي القولي المتعلق بقول القلب: التصديق والمعرفة بالله واليقين بالله .

الاعتقادي العملي المتعلق بعمل القلب: كالمحبة والخوف والتوكل والتعظيم.

٣- التوحيد العملي الظاهر المتعلق بالجوارح: كالقيام والسجود والذبح .

ويلاحظ أن هذا التقسيم راجع لأفعال العباد .

التقسيم الثاني: أقسامه باعتبار نوعه وجنسه :

توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

والبعض يسمي الثاني والثالث بالتوحيد العلمي الخبري أو المعرفة والإثبات .

والبعض يضيف على الأنواع الثلاثة توحيد المتابعة وتوحيد الحاكمية.

التقسيم الثالث : أقسامه باعتبار من يقوم به ويتعلق به .

توحيد متعلق بالله وهو الخاص بصفاته تعالى وأفعاله ووحدانيته القائمة به .

توحيد متعلق بأفعال المخلوق وهو أن يعبد الله وحده .

فلا يقوم في قلبه وجوارحه تعظيم وذل وخضوع لغير مولاه المنعم عليه وربه المتفضل عليه والمحسن إليه والقادر على نفعه وضره والقائم على مصالحه .

التقسيم الرابع : وينقسم باعتبار من يتصف به :

١- توحيد المرسِل:وهو الله ﷻ ، وتوحيده يكون في ألوهيته وذلك بعبادته وحده، وفي ربوبيته وأفعاله وأسمائه وصفاته،وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

٢- توحيد المرسَل وهو الرسول ﷺ : ويسمى توحيد المتابعة .

وذلك بإتباع الرسول ﷺ وطاعته وتحكيمه وتقديم أمره وتصديقه ومحبته، وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله .

التقسيم الخامس: ينقسم باعتبار أهميته إلى توحيد كمال لا يكفر تاركه ومخالفه، وتوحيد أصل يكفر تاركه وناقضه.

المسألة التاسعة عشر: اصطلاحات وطرق أهل العلم في أنواع التوحيد :

لأهل السنة عدة طرق في تقسيم التوحيد من دون تعارض بينها :

الطريق الأول : من يقسم التوحيد إلى قسمين :

الأول: توحيد علمي خبري أو توحيد المعرفة والإثبات :

ويقصد بالعلمي الخبري ، المتعلق بالعلم والخبر وبالمعرفة معرفة الرب ﷻ وبالإثبات إثبات أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله .

وهذا القسم يحتوي على نوعين :

١- توحيد الربوبية والأفعال .

فهو وحده الذي يخلق ويحيي ويميت وينفع ويضر .

٢- توحيد الأسماء والصفات أي أسماء الله ﷻ وصفاته .

فهو الخالق المدبر المحيي الملك الرحمن السلام العزيز الحكم .

فأدخل البعض بهذا التقسيم توحيد الأسماء والصفات في توحيد الربوبية ، لأن الأسماء والصفات راجعة للربوبية المتعلقة بالرب، والربوبية حقيقتها أفعال الرب التي مردها لأسمائه وصفاته .

وجعْل هذين النوعين من التوحيد في قسم واحد أضبط وأظهر .

الثاني : التوحيد العملي أو توحيد الإرادة والطلب والقصد :

ويقصد بالعمل العمل التعبدي القائم على الإرادة والقصد والطلب والتوجه والخضوع والذلة . والإرادة والقصد هي إرادة العبد وقصده وطلبه فلا يريد أحداً غير الله ولا يتوجه لغير خالقه ولا يطلب من المخلوقين فلا يقصد ولا يطلب إلا الله.

ويسمى هذا القسم بتوحيد الألوهية وتوحيد العبادة وتوحيد العباد لأنه متعلق بأفعال العباد المكلفين بالعبادة المأمورين بالطاعة كما سيأتي .

الطريق الثاني : وهو الذي عليه الأكثر وهو تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .

الأول : توحيد الألوهية .

الثاني : توحيد الربوبية

الثالثة : توحيد الأسماء والصفات .

والفرق بين هذا التقسيم والسابق أن التوحيد الثاني والثالث يجعلان في قسم واحد وجعل التوحيدين توحيد واحد ونوع واحد لأن أفعال الربوبية داخلة في صفات الله وصفات الله وأسمائه من ربوبيته، ولا مشاحة في الاصطلاح .

الطريق الثالث: من يضيف على الأنواع الثلاثة نوعا رابعا وهو توحيد المتابعة:

وهذا التوحيد يسمى بتوحيد الرسول أو المرسل وبتوحيد الاتباع والمتابعة، وهذا التوحيد هو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله ، وخلاصته أن لا نعبد الله إلا بما شرع لنا رسوله ﷺ وعن طريق إتباع رسوله، وله أدلة كثيرة منها قوله تعالى :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ النور: ٦٣﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٦٤﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ المائدة: ٩٢﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ النساء: ١١٥.

وهذا التوحيد خارج عن التوحيد الخاص بالله تعالى المكون من ثلاثة أنواع .

إلا أنه لازم له، فتوحيد الألوهية والربوبية يستلزم توحيد الرسول بالمتابعة .

الطريق الرابع : من يضيف على الأربعة نوعاً خامساً وهو توحيد الحاكمية:

توحيد الحاكمية وهو توحيد الحكم والشرع والدين والأمر ، وهو المتعلق بحكم الله وشرعه ودينه وهدي رسوله وهو في الحقيقة ليس قسماً مستقلا لا يدخل في أنواع التوحيد السابقة وإنما هو داخل فيها، وسبب التنصيص عليه وتخصيصه وإفراده بنوع مستقل يرجع لأسباب عدة منها :

١- أنه داخل في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وليس كغيره كتوحيد الدعاء والخوف وتوحيد الخالقية داخل في قسم واحد من التوحيد فقط بل هو داخل فيهما جميعاً فهو توحيد ذا شعب .

فأما وجه دخوله في توحيد الأسماء والصفات :

فلأن من أسماء الله ﷻ الحكم والحكيم والحاكم ومن صفاته الحكم .

وأما دخوله في توحيد الربوبية :

فلأن الحكم وسن الدين والتشريع والتحليل والتحريم والأمر من أفعال ربوبيته ﷻ وأخص صفاته ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤.

وقد سمى ﷻ الحاكم والمشرع والمحلل رباً كما في قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٦٤ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

وأما دخوله في الألوهية :

فلأن التحاكم إلى أمره ﷻ وشرعه وحكمه عبادة يحبها الله ويأمر بها ويجب أن يوحده العبد فيها فيتحاكم إلى الله ﷻ ولا يتحاكم إلى الطاغوت .

ومن الأدلة على ذلك : أن الله تعالى سمى الحكم عبادة وأن الحكم لله وحده ولا يشاركه أحد فيه وكفّر المتحاكم إلى غيره : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠ ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ المائدة: ٤٧ .

كذلك من يطيع الحاكم بغير ما أنزل والمشرّع هو مشرك في الألوهية المتعلقة بأفعال العباد ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١.

٢- أن إفراده لا يعني إنكار أنواع التوحيد الأخرى ولا تجاهلها .

٣- كثرة الشرك فيه ، ومن منهج أهل السنة أنهم يفردون بعض الأنواع والأفعال ببيان مستقل إذا كثُر الشرك فيه ، مثل إفرادهم شرك الدعوة لما كثر شرك الدعاء وكذا شرك الطاعة والإرادة والمحبة ، ولا يعني أنه لا يوجد غيرها ولكن لكثرة المخالفة فيها أفردت بالبيان ، ومن ذلك إطلاق ابن تيمية وغيره توحيد السؤال والطلب والتوكل وتوحيد الخالقية والمالكية ، فعلى هذا يصح أن يقال توحيد الحكم وشرك الحكم.

٤- أن توحيد الحاكمية مثل لو قلنا توحيد الخالقية والمالكية والقادرية لله تعالى وكذا توحيد الدعاء والمحبة والخوف والإرادة والسجود والذبح لله وحده .

وهو من جنس ذكر الخاص بعد العام الداخل فيه كما في قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ البقرة: ٢٣٨ . ومعلوم أن الصلاة الوسطى من الصلوات ولكن أفردت لأهميتها .

ومثل ذلك يقال في توحيد الحاكمية وتوحيد الدعاء .

وأعظم شرك في زماننا يرجع لهذين شرك الدعاء وشرك الحكم .

وبهذا البيان يظهر خطأ من أعترض على تخصيص هذا النوع والنوع السابق توحيد الحكم وتوحيد المتابعة .

وإذا كان العلماء وضعوا شرك الدعوة مستقلاً وهو خاص بالألوهية فالحكم أولى بأن يستقل بالنوعية ولا يعني أنا جعلنا توحيد الحاكمية قسماً مستقلاً فلا يدخل في الألوهية والربوبية بل هو داخل في الألوهية والربوبية .

ومع ذلك فلا مشاحة في الاصطلاح ما دام المعتقد والمقصود والمعنى واحد .

والعلماء لم يغفلوه بل ذكروه، فلا هم تناسوه ولا نحن ابتدعناه أو غالينا فيه كما يظن البعض، وإنما نصّينا عليه لبيان أهميته لا أنه قسم منفصل عن بقية أقسام التوحيد فتنبه . عليه فمن بدع إطلاق هذه اللفظة وغالى في إنكارها فقد أخطأ.

وقد طرقنا هذا الموضوع في شرح النواقض بالناقض الرابع شرك الحكم.

المسألة العشرون : وجه انحصار التوحيد في ثلاثة أنواع :

أن ما يختص به الله وحده ويعتبر حق له لا يشاركه أحد فيه وصفة لازمة له ، لا يخرج عن ثلاثة أمور :

الأول : تفرده بالربوبية فلا رب للعالمين إلا هو ولا خالق ولا مالك ولا مدبر للكون ولا محي ولا مميت ولا باعث ولا رازق غيره ﷻ وهذا أحد الأمور التي استحق أن يوحد سبحانه فيها .

الثاني : تفرده بالألوهية وكونه وحده المستحق للعبادة دونما سواه، فلا يشاركه أحد في هذا الحق، فلا يوجد من يستحق أن يعبد، لأن استحقاق العبادة لا تكون إلا لمن هو كامل في ذاته وفي صفاته غني عن كل شيء قادر يملك النفع والضر وليست هذه الصفة لأحد غير الخالق سبحانه فمن خلق وملك كل شيء وجب أن يُعبد، وكان استحقاق العبادة صفة لازمة له لكمالة وتفرده بذلك .

الثالث : تفرده بصفات الحسن والكمال والجمال والجلال، فله وحده الأسماء الحسنى الدالة على الصفات العلى، لا يشاركه أحد في ذلك فهو الخالق وحده وغيره مخلوق ضعيف فقير محتاج للغنى الحميد العزيز العلي العظيم .

المسألة الحادية والعشرون: تقسيم التوحيد أمر استقرائي دلت عليه النصوص:

كما قررنا سابقاً أن لفظ التوحيد مصطلح شرعي جاء في السنة و عبارات الصحابة فكذلك أقسامه هي الأخرى شرعية سلفية ليست بدعية خلفية، كما يقول المبتدعة المتكلمون والأشعرية والصوفية الضالون، كما أنه ليس من مخترعات ابن تيمية كما يزعمون بل وردت هذه الأقسام في لسان السلف في القرون المفضلة كما سنأتي على كلامهم .

وقد دل على أصل هذا التقسيم القرآن والسنة .

ومن الآيات الجامعة لأنواع التوحيد والدالة على التقسيم :

الأولى: سورة الفاتحة فيها تقرير لأقسام التوحيد قال تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

الثانية:قوله في سورة الناس:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾.

الثالثة:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم .

الجملة الأولى: دلّت على توحيد الربوبية وهي التي وردت في:

قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ وقوله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾.

الجملة الثانية: دلّت على توحيد الألوهية والعبادة وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾.

الجملة الثالثة دلّت على توحيد الأسماء والصفات وهي الواردة في قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾.

الثانية والعشرون : ورود تقسيم التوحيد في كلام السلف وأهل العلم:

كما أنه قد وردت لغة تقسيم التوحيد على لسان السلف وكلامهم ومن ذلك .

قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأبسط : (والله يُدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء) .

وروى ابن مندة في كتابة التوحيد عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة قوله :(إنما دل الله ﷻ خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه).

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ت ٣١١ في عقيدته :(نقول في توحيد الله : إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره) .

وهذه أنواع التوحيد الثلاثة الأسماء والصفات والربوبية والألوهية .

قال الإمام ابن بطه العكبري المتوفى سنة ٣٩٧هـ في كتابة الإبانة :(وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها : أن يعتقد ربانيته، ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً .

ثانياً : أن يعتقد وحدانيته ليكون، مباينا لمذهب أهل الشرك الذين آمنوا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره .

ثالثا: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها).

وهذا نص صريح من الإمام ابن بطه وهو من العلماء المتقدمين في تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، وكتابه ذاع وانتشر

ولم يرد عليه أحد من أهل السنة من مشايخه وأقرانه في زمانه ولا بعده مما يدل على أن هذا التقسيم سني سلفي وليس بمبتدع .

وقال ابن حبان صاحب الصحيح في مقدمة روضة العقلاء : (الحمد لله المنفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية).

وقال المقريزي الشافعي في كتابه التوحيد : (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل اقروا به ..وإنما أنكروا توحيد الألوهية).

وقال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية : (التوحيد أول الأمر وآخره أعني توحيد الألوهية، فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها الصفات، والثاني توحيد الربوبية، والثالث توحيد الألوهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لاشريك له).

وقال الإمام الصنعاني في تطهير الاعتقاد : (الحمد لله الذي لا يقبل توحيد الربوبية من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد).

قال الباقلاني في الإنصاف : (التوحيد له هو الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شيء) .

وقد قرر ابن تيمية وابن القيم أقسام التوحيد في مصنفاتهم بعبارات متنوعة وكثيرة يصعب حصرها .

فهذه بعض النقولات من علماء الأمة من القرون المفضلة ومن بعدهم من جميع المذاهب وفي هذا رد على من شكك في تقسيمنا للتوحيد وزعم ابتداعنا له .

إلا أنه قد يقال أن عدم إكثار السلف من بيان توحيد الألوهية لعدم وجود من خالف فيه في زمانهم من المنتسبين للإسلام.

ثم يقال تنزلاً على فرض التسليم أن تقسيم التوحيد لم يعرف عن السلف ، فإنه يقال التقسيم وإن كان كذلك فمعناه صحيح وأقسامه دل عليها الشرع، وليس بأقل أهمية من بقية العلوم الاستقرائية والأقسام الاصطلاحية الواردة في العلوم، فهذا الفقه وتقسيمه إلى عبادات ومعاملات ومباحات، وهذه البيوع لها شروط وأركان ومثلها النكاح والديات والحدود بل والصلاة والصيام والحج والزكاة شروطها وأركانها، وقل مثل ذلك في الحديث وأقسامه إلى صحيح وحسن وضعيف وموضوع وموقوف ومرسل، والسنة إلى قولية وعملية وتقريرية وشمائل محمدية وكذلك مصطلحات الأسانيد وعلم الرجال ومثل ذلك في أصول الفقه وأقسامة إلى أربعة أبواب أدلة ودلالات وأحكام ومستدل، وأقسام الأحكام إلى تكليفية خمسة ووضعية أحد عشر والأدلة إلى ثلاثة عشر دليلاً الكتاب والسنة والإجماع والقياس وقول الصحابي والاستصلاح والاستحسان وسد الذرائع وقول الصحابي والعرف ورفع الحرج والمشقة واعتبار الضرورة ونفي الضرر وعموم البلوى، وأركان القياس وأقسامه وتنوع الدلالات إلى خاص وعام ومجمل ومبين ومقيد ومطلق وناسخ ومنسوخ وراجح ومرجوع وظاهر وخفي ومفسر ومفصل ولفظي ومعنوي ومنطوق ومفهوم وغير ذلك .

ومثل ذلك في القواعد الفقهية والنحو والبلاغة والبيان والسيرة مما يعلمه أهل العلم ويقرروه في كلامهم ومصنفاتهم.

المسألة الثالثة والعشرون: التوحيد أصل وكمال :

أصل التوحيد ومطلق التوحيد . المصحح للإيمان والإسلام:

وهذا المعتبر بدخول الجنة والمنجي من النار والفاصل بين المسلم والكافر المشرك وهو مقتضى الشهادتين والإيمان بالله .

كمال التوحيد المطلق :

وهذا يتفاضل الناس فيه ويزيد وينقص في قلب كل مؤمن وتاركه يعتبر موحداً ولا يعتبر كافراً وهو على درجات منه الواجب الذي يعاقب مخالِفُه مع بقاء أصل التوحيد ووصف الإسلام، ومنه المستحب الذي يثاب فاعله ولا يعاقب المقصر فيه، ومن هذا النوع ترك سؤال الناس مطلقاً كما كان عليه بعض الصحابة .

المسألة الرابعة والعشرون: زيادة التوحيد ونقصانه :

ويدل على زيادة التوحيد قول إمام الموحدين ﷺ : (والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له) وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥ ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ البقرة: ٢٦٠ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ الأنفال: ٢ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات: ١٣ .

فخشية الله ومحبته والتوكل عليه وسؤاله ومعرفته وتعظيمه والذل له، الناس فيه مختلفون وليسوا على درجة واحدة، ومعلوم أن هذه صفات أهل كمال الإيمان .

والقاعدة : أن القول في الإيمان من حيث الزيادة والنقصان والأصل والكمال والباطن والظاهر يجري كذلك على التوحيد .

مسألة : الإيمان في التوحيد ينقسم إلى إيمان مجمل ومفصل .

المسألة الخامسة والعشرون: قوادح التوحيد ونواقضه :

القسم الأول : ما ينقض التوحيد من أصلة ويزيله بالكلية .

وهو الشرك الأكبر والكفر الأكبر .

القسم الثاني : ما ينقص التوحيد ويقدح في كماله إلا أنه لا يزيله ولا يبطله.

وهو الشرك الأصغر وجميع المعاصي والبدع .

والقاعدة :

أن الشرك الأصغر لا ينافي أصل التوحيد ولا ينقضه وإنما ينقص كماله .

والشرك الأكبر لا يجتمع وجوده مع وجود الإيمان الشرعي وأصل التوحيد.

المسألة السادسة والعشرون : ما يضاد التوحيد :

الشرك هو ضد الإفراد والتوحيد، ويكون بإحدى طريقين : إما بنفي ما أثبته الله تعالى ، أو بإثبات ما نفاه الله لنفسه. وفي اللغة الشرك من الجمع والتثنية والتشريك والخلط والضم ضد الإفراد وضد التوحيد .

الشرك ضد التوحيد وليس التشبيه ووجه ذلك أن التشبيه داخل في الشرك والشرك قسمان التعطيل والتشبيه ، بتعطيل الله من ربوبيته وألوهيته، أو إثباتها لغيره، وكليهما يناقضان التوحيد .

والشرك لا يحصيه إلا الله كما قال ابن القيم، فله صور متعددة وألوان مختلفة ونوازل معاصرة كلها تصب في الكفر بالله ﷻ . وأعظمه انتشاراً عبادة غير الله ودعاء الأموات ، والحكم بغير ما أنزل الله .

المسألة السابعة والعشرون: درجات الشرك ومخالفات التوحيد :

١- إنكار وجود الله سبحانه بالكلية كما هو مذهب الشيوعية والدهرية وفرعون منكر وجود الله ومدعي الربوبية.

٢- إنكار ربوبية الله ﷻ مع الإيمان بوجود ومن غير إنكار وجوده وهذا مذهب الفلاسفة الذين يقولون الله علة المعلول لا يصدر عنه شيء ولا يفعل ولا يخلق ولا يتصف بفعل أو صفة وإنما الخلق كله قديم حدث بحدوث الله فهو وجد بالعلة الأولى والعقل والفلك الأول .

٣- الإيمان بربوبية الله لكن من دون توحيده ﷻ فيها، وهؤلاء لا يوحدون الله في الربوبية وإن كانوا يثبتونها له، فيقولون الله خالق رازق مدبر مالك، ولكن يوجد غيره من المخلوقين ممن له صفة الربوبية فيخلق ويدبر، وهذا مذهب المجوس القائلين للعالم خالقان وكذا القدرية الذين يقولون العبد يخلق فعله وكذا الصوفية الغلاة القائلين أن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الخلق ويدبرون الكون ويملكون الجنة والنار وكذا النصارى أصحاب التثليث وكذا حال النمرود الذي ادعى الربوبية لنفسه وجعل من نفسه ندا لله يخلق ويحيي ويميت مع الله.

٤- من يؤمن بتوحيد الربوبية لله ولكن يقع في الشرك في بعض أفرادها كالشرك في التشريع والحكم أو يحصل منه ما يقدح فيها أو ينقص كمالها، ومن ذلك الشرك الأصغر في الربوبية بتعليق التمائم والرقى والتبرك الممنوع بل كل من عصى الله من أهل التوحيد فقد قدح في كمال الربوبية ولم يعظم الله ولم يقدره حق قدره كذلك من يعطل الله من صفات كماله أو يمثله أو يقع في الشرك في الألوهية .

٥- من يثبت توحيد الربوبية لله ﷻ ويؤمن به لكن ينكر الألوهية فلا يعبده فيعرض عن الطاعة ويمتنع عن العمل، أو يقول: الله لا يعبد وليس في حاجة للعبادة ولا فائدة من عبادته والله لم يأمر بها ، وهذا قول طوائف من الفلاسفة والملاحدة .

٦- من يثبت الألوهية لله ولكن لا يوحد الله فيها فيشرك غيره مع الله وهذا دين معظم المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى .

٧- من يؤمن بتوحيد الألوهية ويثبته لله وحده لكن يقع فيما يقدح في كماله أو يخالف في بعض أفراده ومن هؤلاء أصحاب الشرك الأصغر .

المسألة الثامنة والعشرون : اجتماع التوحيد والإيمان مع الشرك :

توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف:١٠٦ .

الإيمان والشرك هنا لهما معنيان ، والآية فيها تأويلان للسلف :

الأول : الإيمان بالربوبية والشرك في الألوهية .

المراد بالإيمان هنا توحيد الربوبية والإيمان بكون الله خالق وحده ، والشرك هو الشرك في الألوهية فلا يقبل هذا الإيمان ولا يعتبر به ولا يصح ولا يسمى إيمانا من حيث الإطلاق الشرعي وهو الإيمان المعتبر والمدخل للجنة ، وذلك لعدم وجود التوحيد فيه واقتران الشرك به .

الثاني : الإيمان هنا هو الأصلي والشرك المقصود به الأصغر الذي لا يزيل أصل الإيمان والإسلام .

فيكون المراد بالإيمان في الآية هو الإيمان الشرعي المقبول والمنجي من النار والمقترن بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويكون الشرك المقصود به في الآية الشرك الأصغر كالحلف بغير الله وكيسير الرياء وشكر الناس على ما أنعم الله به عليهم وعدم الرضا بالقدر المتعلق بالمصائب ونحو ذلك .

المسألة التاسعة والعشرون : تعلقات التوحيد والشرك :

١- يتعلق التوحيد بالله .فيقال توحيد الله والشرك بالله .

٢- ويتعلق بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

فيقال توحيد الألوهية وشرك الألوهية ومثله الربوبية .

٣- ويتعلق بالعبادة ، فيقال توحيد العبادة لله والشرك في العبادة .

٤- ويتعلق بالإسلام ، فيقال توحيد الإسلام لله .

وجاء الأمر بالتوحيد في الإسلام في قوله: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ .

٥- ويتعلق بالدين ، فيقال توحيد الدين لله ﴿ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ .

٦- ويتعلق بالشريعة ويأتي الشرك في التشريع ﴿ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ ﴾.

٧- ويتعلق بالرسول ، فيقال توحيد الرسول بالمتابعة كما سيأتي في فصله.

٨- ويتعلق بالإيمان ، فيقال توحيد الإيمان بالله ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾.

٩- ويتعلق التوحيد والشرك بالانقياد والطاعة .

ويتعلق التوحيد بالحكم والمحبة والدعاء والخلق والأمر والتدبير وبقية أفعال الله وإفراد الألوهية والربوبية والصفات .

المسألة الثلاثون: دخول التوحيد والشرك في الدين :

أخبرنا الله ﷻ أن الدين له وحده وأمرنا بتوحيد الدين لله وأن نجعله خالصا له فلا ندين لغيره ولا نمتثل ونلتزم بأي دين غير دين الإسلام :

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ البينة: ٥ ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ الزمر: ١٤ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

وأمر ﷻ بالقتال حتى يكون الدين لله ولا يكون فيه شركا : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩ والفتنة هنا الشرك .

قال الطبري: ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ : (حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله) .

وأنكر ﷻ على من جعل لله شريكا يشرع الأحكام ويسن الدين ويحلل ويحرم: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٧ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠.

وذكر ﷻ الأديان الكفرية الشركية في قوله ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ﴾ آل عمران: ٢.

فائدة: الدين يضاف إلى الله وإلى العبد : والدليل قوله ﷻ فيهما :

﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦ . ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣ .

قال ابن تيمية:(الدين مصدر والمصدر يضاف للفاعل والمفعول،يقال دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه، كما يقال دانه إذا أذله، فالعبد يدين لله أي يعبده ويطيعه، فإذا أضيف للعبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع). ١٥٨/١٥.

الحادية والثلاثون : توحيد الإيمان والشرك فيه والإيمان بالتوحيد وبالشرك:

لا بد من الإيمان بتوحيد الله ، وأن يكون الإيمان ذاته قائم بالتوحيد ، فلا يشرك في إيمانه ، فكما أن التوحيد يكون بالإيمان ، فكذلك العكس الإيمان يكون بالتوحيد ، وهذا هو الإيمان بالتوحيد والتوحيد بالإيمان .

فكما يجب الإيمان بالتوحيد لابد من التوحيد في الإيمان .

ودليل دخول التوحيد في الإيمان وأن الإيمان يكون بالتوحيد :

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ ﴾ ﴿ حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾.

ودليل حصول الإيمان بالشرك: ﴿ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ ﴾ ﴿ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ وهو الكفر والشرك .

وهذه الآيات تثبت الحالتين :

الشرك في الإيمـان والإيمـان بالشرك . والكفر بالإيمان والإيمان بالكفر.

والتوحيد في الإيمـان والإيمـان بالتوحيد.

فالإيمان يدخله التوحيد والشرك كالعبادة .

والإيمان يكون مشروعا ويكون ممنوعا كما أن الكفر يكون ممنوعا ومشروعا.

فالإيمان المشروع هو الإيمان بالله وحده وبرسوله وبما أمر وباليوم الآخر.

والإيمان الممنوع هو الإيمان بالكفر والشرك وبالطاغوت والمعبودات الباطلة:

﴿ يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ ﴾ ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ ﴿ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾.

والكفر الممنوع يتعلق بالله ورسوله ودينه:

الكفر بالله وبرسوله: ﴿ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ﴿ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ .

والكفر بالإيمان وبالتوحيد: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ ﴿ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ﴾.

والكفر المشروع يتعلق بالشرك وبالطاغوت :

﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ ﴿ يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ .

وفي قوله تعـالى: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ . دلالة على إثبات الإيمان بالتوحيد والكفر بالشرك .

وقوله ﷻ: ﴿ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

تدل هذه الآيات على عكس الأولى إثبات الإيمان بالشرك والكفر بالتوحيد .

فائدة : الإيمان والدين يتعلق بالله وهو ما أمر به .

ويتعلق بالعبد فيكون منه :

المشروع وهو ما كان عن الله .

وباطل مذموم وهو ما كان من العبد وخالف به الحق،وبين ذلك الآيات مثل:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ ﴾ .

فالإيمان الصحيح ما كان عن الله وكان بالله وحده وكان مستصحباً العمل.

المسألة الثانية والثلاثون: تعريف المخالفين للتوحيد:

الفرق الضالة تفسر التوحيد بما تعتقده من باطل .

التوحيد عند الاتحادية والحلولية وأصحاب الوحدة :

أن يكون الله عين كل موجود وليس بمتعدد ومنفصل .

التوحيد عند المعطلة الجهمية بفرقها من معتزلة وأشاعرة وماتريدية :

إنكار صفات الله ﷻ وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وبقية صفاته الذاتية والفعلية، وأن إثبات ذلك عندهم يستلزم الشرك لأنه في إثبات اليد والوجه والعين تبعيض وانقسام وجسمية وكذا الاستواء والنزول والمجيء وإثبات الرضا والغضب والفرح والكره حيث يزعمون أن في إثباتها حصول التغيير لله ومشابهة للمخلوق وهذا عندهم عين الشرك ، فالواحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتركب ، ويعنون بذلك كله الصفات التي أثبتها الله لنفسه .

والتوحيد عند القدرية :

إنكار قدر الله وخلق أفعال العباد لما في ذلك من الظلم عندهم .

والتوحيد عند الجبرية :

إنكار أن يكون للمخلوق تأثير فنفوا حقيقة أفعال العباد والأسباب والحكمة.

التوحيد عند المرجئة : مجرد ما في القلب من اعتقاد الربوبية في الله .

التوحيد عند الصوفية والقبورية والرافضة : هو اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق المؤثر . والشرك عندهم في اعتقاد أن يكون المخلوق خالقاً رازقاً مدبراً مؤثراً له التأثير والاستقلال من دون الله .

وحقيقة التوحيد عندهم: عبادة الأئمة والأولياء لأن ذلك تعظيم لهم وفي هذا تعظيم لخالقهم الذي أمر بمحبتهم وتعظيمهم وأكرمهم بالولاية .

فجعلوا التوحيد شركاً والشرك توحيداً .

وهذا تعريف التوحيد وحقيقته عند أهل الضلال فالشرك عندهم توحيد والتوحيد شرك وقد بينا ذلك في مقدمة شرح النواقض ولابن القيم كلام حوله في مدارج السالكين والنونية .

قال ابن سريج الشافعي : (التوحيد عند أهل العلم وجماعة المسلمين : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وتوحيد أهل الباطل : الخوض في الأعراض والأجسام) . نقله عنه الهروي في ذم الكلام .

قال المزني : سمعت الشافعي يقول : (سئل مالك عن التوحيد . فقال مالك: محال أن يظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد . فالتوحيد ما قاله النبي ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) أخرجه عنهم الهروي في ذم الكلام والسلمي في ذم الكلام .

تنبيه : مما أجمعت عليه الطوائف الصد عن التوحيد وحرب أهله ومعاداتهم .

الثالثة والثلاثون: موقف الصوفية والقبورية والمرجئة من التوحيد والشرك:

أخطأت القبورية والصوفية والمرجئة والمتكلمة في حقيقة الشرك من جانبين:

أولاً: جانب التوحيد:

ذهبت فيه الصوفية بجميع طوائفها، والقبورية – عباد القبور – وجميع الفرق الكلامية من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وغيرهم إلى أن التوحيد هو توحيد الربوبية، وفسروا توحيد الألوهية بأنه القدرة على الاختراع، لأن الإله عندهم اسم فاعل بمعنى خالق قادر، مشتق من الآلة أي القادر على الاختراع ومنه سميت الآلات بذلك، وقالوا لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله، ولذلك ليس عندهم شرك في العبادة فعبادة غير الله وطلب الشفاعة من الصالحين والاستغاثة بالأموات والأولياء عندهم ليست شركاً إنما توسلا.

وهذا الذي ذكروه خالفوا فيه دين الله تعالى وما بعثت به جميع الرسل القائلة لقومها ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، بل وإن وما قالوه خالفوا فيه حتى العقل واللغة، وذلك أن العرب أهل اللغة والمعرفة كانوا يعلمون أن معنى لا إله إلا الله نفي العبادة عما سوى الله ﷻ، ولم يكونوا يقصدون أن معنى لا إله إلا الله نفي الخالقية والمالكية والرازقية والتدبير عن غير الله تعالى، فلقد كان أبو جهل وأبو لهب وجميع الكفار والمشركون مقرين بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، وإنما لم يسلموا للرسول ﷺ أن يتركوا عبادة غير الله من دعاء ونذر وخوف ومحبة ورجاء، واستنكروا ترك الاستغاثة بالصالحين وطلب الشفاعة منهم، كعيسى عليه السلام، والملائكة واللات وكان رجل صالحاً يتصدق على الناس ويطعم الحجاج.

وقالوا: كيف تجعل الآلهة التي ندعوها ونستغيث بها ونتوسط بها وتقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده إلهاً واحداً، فندعوا الله وحده، والدليل على إقرارهم بربوبية الله وأنه النافع الضار وحده قوله وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقمان: ٢٥ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف: ٩ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ الزخرف: ٨٧ .

والدليل على أن عبادتهم كانت فقط في طلب الشفاعة من الأولياء والصالحين ودعائهم وهذا القدر يجعلها آلهة لهم ومعبودات مع الله قوله ﷻ عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ يونس: ١٨ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ الزمر: ٣ .

فهذا الجانب الذي عطله المتكلمون والصوفية والقبورية وهو جانب التوحيد بل وبدعوا من يفرق بين الألوهية والربوبية، حتى زعم الدجوي الأزهري: أن هذا من بدع ابن تيمية ، والحق أن تقسيم التوحيد إلى توحيد ألوهية وربوبية وأسماء وصفات مستقرأ من النصوص ومأخوذ من الأدلة، هذا هو الجانب الأول .

ثانياً : جانب الإيمان :

خالف المتكلمون والصوفية في باب الإيمان، لأن هؤلاء الصوفية والمتكلمة معظمهم من المرجئة، والمرجئة في باب الإيمان هم الذين يخرجون الأعمال الظاهرة والباطنة من الإيمان، وأن الإيمان مجرد التصديق أو المعرفة أو قول لا إله إلا الله فقط

مع التصديق المجرد عن عمل القلب، كما أن الكفر فقط كفر القلب وليس للجوارح كفر مستقل بذاته، فعندهم أي شرك يحصل ظاهراً ليس بكفر إذا لم يقارن ذلك الكفر كفر القلب والباطن .

فمثلاً : الحكم بغير ما أنزل الله يشترطون فيه الاستحلال .

ودعاء غير الله ﷻ يشترطون أن يعتقد الكفر بقلبه ويستحله ، وأن يعتقد في هذا الذي يدعوه من دون الله بعض خصائص الربوبية ، أما مجرد دعائه ظاهراً فليس بشرك عندهم .

على ذلك فعبادة غير الله بالذبح للمخلوقين والاستغاثة بالأموات ودعائهم ليس من الشرك في دين هؤلاء المشركين المعاصرين لأنه افتقد شرطين عندهم :

الشرط الأول : أنه خارج عن توحيد الربوبية .

الشرط الثاني : أنه خارج عن الأعمال الباطنة .

والرد عليهم بأن يقال : بأنه يلزمهم أن مشركي العرب وكفار مكة وغيرهم كانوا على الدين وعلى الإسلام لأنهم مقرون بالربوبية ويعلمون صدق محمد ﷺ ويعلمون أنه على الحق، وأنهم لا يكذبونه ولكن يجحدون ظاهرا.

واعلم أنه إذا اجتمع هذين الجانبين، مخالفتهم في التوحيد بإنكار توحيد الألوهية والعبادة، ومخالفتهم في الإيمان بإنكار كفر الظاهر، حصل منهم تدنيس للدين وإذلال لأهله وانتشاراً للكفر شعروا بذلك أم لا ، لأن كل كفر ظاهر يرونه لا يكفرون صاحبه ولا يقيمون حد الردة عليه، لأنه لم يستحل ومن جهة أخرى أن الكفر في الربوبية فقط، يسبب تجويز له وتأييد لأهله.

خلاصة موقف الصوفية والمتكلمين من توحيد الألوهية لرب العالمين :

أنهم أنكروه وأخرجوه من الإيمان، لأن الألوهية عمل والعمل عندهم خارج عن الإيمان وليس من الإيمان .

إضافة على أنهم فسروا الألوهية بالربوبية .

تنبيه : عقدت فصلاً موسعاً في كتاب نقض عقائد الأشاعرة عن موقف الصوفية والمتكلمين والأشاعرة من توحيد العبادة والشرك فيه .

المسألة الرابعة والثلاثون: أقسام التوحيد عند المخالفين :

المخالفون لأهل السنة لا ذكر لتوحيد الألوهية عندهم .

فأقسام التوحيد عند المتكلمين من أشاعرة وغيرهم:

توحيد في الذات ووجود الله فلا ينقسم ولا يتركب ولا يتبعض .

وتوحيد في الصفات فلا شبيه له .

وتوحيد أفعاله وربوبيته فلا شريك له .

وينكرون بعد ذلك توحيد العبادة والألوهية ولا يقرون به .

وأما غلاة الصوفية فالتوحيد عندهم :

توحيد العامة وهو توحيد الألوهية .

وتوحيد الخاصة وهو توحيد الربوبية وما يثبت بالمكاشفات .

وتوحيد خاصة الخاصة وهو ما يسمونه بالفناء وهو مفضي لعقيدة الحلول والاتحاد وهو الكفر البواح .

المسألة الخامسة والثلاثون: مخالفات المبتدعة المتكلمين في باب التوحيد:

١- إنكارهم توحيد الألوهية وعدم إقرارهم به، وإذا ذكروه فسروه بالربوبية ولا يفسرونه بالعبادة، وجعلوا توحيد الربوبية هو الغاية وأعظم ما أمر الله به .

٢- أن التوحيد عندهم لا يحصل إلا بإنكار صفات الله .

٣- جعلوا أول واجب على العبد هو معرفة الله والنظر في الأدلة الدالة على وجوده وخالفوا بذلك أهل التوحيد والسنة في كون أول واجب هو الشهادتين .

٤- جهلهم بالاستدلال الصحيح على وجود الله وتوحيده .

٥- ضلالهم في حقيقة الشرك من جانب التوحيد ومن جانب الإيمان .

٦- جعلوا توحيد الألوهية هو نفس توحيد الربوبية والإله هو الرب الخالق . وسيأتي معنى الألوهية عندهم، ولا يفرقون بين الرب والإله ولا الربوبية والألوهية.

٧- جوز كثير منهم الشرك ودافع عنه وصنف في الدعوة إليه .

المسألة السادسة والثلاثون: تغيير الأسماء لا يغير الحقائق والمسمى والحكم :

هذه القاعدة نقصد بها مشركي زماننا الذين يقعون في الشرك الصريح ويسمونه بغير اسمه ، فيدعون غير الله ﷻ ويستشفعون بالمخلوقين ويدعونهم أو يتحاكمون إليهم ولا يسمون هذا شركاً .

فيسمون دعاء الأموات والاستغاثة بالآلهة الباطلة توسلاً أو ندبة أو نداءاً ويسمون الإله المعبود المدعو سيداً ووليّاً فهذه الأسماء الباطلة لا تغير الحقائق .

وطائفة من مشركي عصرنا تسمي شرك التشريع والتحليل والتحريم والحكم بغير ما أنزل الله نظاماً أو تنظيم إداري ونحو ذلك .

وكل ذلك لا يغير الحقيقة التي وضع الحكم لأجلها فتسمى هذه المعبودات آلهة ويسمى الفعل شركاً ويكفر صاحبه .

قال ابن تيمية : (ولهذا كان من أتباع المتكلمين من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها كما يدعوا الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرب إليها، ثم يقول إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، أما إذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا) درء التعارض ١/ ٢٢٧ .

قال ابن القيم : (ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ ، فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجيب أنهم يقولون ليس هذا بسجود وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراما وتواضعا) المدارج ١/ ٣٤٤ .

السابعة والثلاثون: الأصل هو التوحيد والشرك طارئ في الخليقة :

خلق الله ﷻ الخلق على عبادته وطاعته وتوحيده فكان الناس أمة واحدة على التوحيد قبل أن يختلفوا ويدخلهم الشرك ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ﴾ يونس: ١٩ ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣ .

وفي الحديث القدسي قال الله ﷻ : (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) . رواه مسلم.

وقد بقي الناس بعد آدم على التوحيد زمناً حتى انتكست الفطر ودخلهم الشرك بعد مرور عشرة قرون من ذرية آدم .

ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) رواه الحاكم والطبري.

الثامنة والثلاثون: الحنيف هو من أتى بالتوحيد و ترك الشرك عن قصدٍ وعلم:

مجرد ترك الشرك من غير قصد وتعمد تركه لا يكفي بمفرده في الدخول في الإسلام، فلا بد من ترك الشرك قصدا ومن الكفر به والبراءة منه ومعاداة أهله.

قال ابن كثير في تفسير ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ : (الحنيف هو المائل عن الشرك قصدا ، أي تاركاً له عن بصيرة) . وقال(المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد) .(ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده راد) .

فمن ترك الشرك وفاقاً وعادة من غير قصد لا يصدق عليه أنه اتبع ملة إبراهيم الذي صرح بالكفر بالطاغوت وصدع بتكفير أهله .

تنبيه : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها :

قال الشيخ سليمان في التيسير شرح التوحيد : (ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق بشهادة أن لا إله إلاَّ الله محمداً رسول الله، ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول ، وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذاك إلاَّ أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيء من الشرك ، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه).

وقال أيضا فيه: (أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع . فتباً لمن كان أبو جهل وغيره أعلم منه بلا إله إلاَّ الله) .

عظة وعبرة :

ومن اللطائف أني كنت حاضراً مناقشة أحد الطلاب مع أحد الصوفية بالمدينة النبوية ، في باب الاستغاثة بالنبي ﷺ . فقال الطالب له دعاؤك الرسول ﷺ : هل يضرك لو تركته ويخرجك من الملة ؟ فقال الصوفي: لا ، قال له الطالب : اتركه لأن فعله كفر عندنا وتركه ليس كفر عندك فاتركه خروجاً من الخلاف .

فقلت حينها : وهل تظن أنه لو ترك الشرك دون أن يكفر به ويكفّر فاعله ينفعه ذلك ؟! اعلم أنه لابد من ترك الشرك امتثالا وقصدا وتعمداً ، ولا يكفي هذا حتى يكفّر من فعله . وسقت كلام ابن كثير المتقدم .

وهذا الموقف أوردته لتعلم مدى جهل أكثر الناس بالتوحيد والكفر بالطاغوت .

فمن ترك الشرك مثل عبادة الرسول ﷺ ودعاء الأموات لكن لم يكفر بها وكان تركه لها تركاً مجرداً لم يعتبر بذلك من أهل الإسلام، أو لو أن شخصاً حكم بما أنزل الله ولكن لم يكفر بحكم ما سواه وترك التحاكم للقوانين الوضعية الشركية الطاغوتية لكن لم يكفر بكفر الطاغوت قصدا كما أمر الله ﷻ فإن فهذا لا يعتبر من أهل التوحيد ولا آمن بالله وحده بل هو مشرك، فتنبه إن كان للتوحيد شأن عندك .

مبحث: الأدلة على التوحيد وقبح الشرك

دل على التوحيد وقبح الشرك أدلة من الوحي وأدلة عقلية ودليل الفطرة.

أولا: الأدلة العامة:

١ - ضرب الأمثال: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ إبراهيم: ٢٥ ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ الروم: ٥٨ ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٣.

ومن الأمثلة المضروبة في القرآن المبينة لحال الشرك وأهله:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤١. ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فصلت: ٣٩. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ إبراهيم: ٢٤. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣. ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٧١. ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى

ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ الرعد: ١٤. ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ إبراهيم: ١٨ . ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ النور: ٣٩ . ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ الحج: ٣١.

ومن الأمثلة تمثيل الآلهة بالعبيد :

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٢٩. فهذا المثل في المشرك بعبد للشخص وعبد آخر لأشخاص مختلفين في الرأي ، كل يأمره بنقيض أمر الآخر.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ النحل: ٧٥ - ٧٦. ضرب الله المثل الأول لنفسه وللأصنام التي تعبد من سوى بينها كمن سوى بين الحر مالك التصرف وعبد مملوك عاجز . والمثل الثاني في التسوية بين الأبكم الكل الذي لا يأتي بخير مع العاقل البليغ الآمر بالخير .

﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ النحل٧١.

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ ﴾ الروم: ٢٨ فإذا كنتم لا ترضون مشاركة عبيدكم وتأنفون فكيف تشركون الله عبيده في الألوهية .

٢- قياس الأولى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ النحل: ٦٠ فالله أولى بالكمال وأن يعبد .

٣- نفي الدليل والافتقار للحجة :﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ النمل: ٦٤ .وقال تعالى في الأحقاف ومثلها في فاطر﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ﴾ غافر: ٣٥ ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٣ ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف ٤٠ ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾الزخرف ٢٠.

٤- السبر والتقسيم :﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ الطور: ٣٥-٣٦ .

٥- دلالة الأثر على المؤثر والخلق على الخالق والفعل على الفاعل والافتقار إليه ونقص وعجز الخلق وسيأتي أدلتها .

٦- الجدال والحجة وكشف الشبهات .

٧- إفحام المشركين بالأسئلة التقريرية الإلزامية والاستنكار عليهم .

٨- دلالة معجزات الأنبياء .

٩- دلالة الفطرة .﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إبراهيم: ١٠

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ الروم ٣٠، أي لا تبديل لدينه وفطرة الله توحيده ودينه الإسلام. والناس فطروا على معرفة الله وعلوه وكونه الخالق وعلى عبادته.

١٠- دليل الميثاق : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ الأعراف: ١٧٢ .

وعلة أخذ هذا الميثاق كان للإقرار لله بالربوبية وعلى أنفسنا بالعبودية .

ثانياً : الأدلة الفرعية على توحيد الله أو الربوبية بالخصوص:

١- دلالة الخلق :

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ الطور: ٣٥ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم ﴾ الحج: ٥ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ الانفطار: ٦ - ٧ ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الزمر: ٦ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣ ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١ ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٥ ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ ق: ٦ . ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ يس: ٣٦ .

فأخبر تعالى أنه سيري خلقه آياته، وأمرهم بأن ينظروا في السماوات وخلق السماء ورفعها وبنائها وإمساكها وتزيينها بالكواكب والشمس والقمر والليل والنهار والظل والأرض تهيئتها وجعل السبل فيها والماء والنبات والريح والسحاب والمطر والدواب وتسخيرها يقلب الليل والنهار .

٢- دلالة العناية :

عناية الرب بخلقة وأنـه خلـق كـل شيء ليوافقـه والتـدبير والأدلـة الكونيـة والريح والكواكب والمطر الأرض مهادا وجعل لهم فيها منافع وأنه أعطى كـل شيء خلقه ثم هدى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ النبأ: ٦.

٣- دلالة الإتقان والتسوية وإحسان الخلق وعدم الخلل في نظام الكون:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ السجدة: ٧ .

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ النمل٨٨.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة: ١١٧.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ الملك: ٣ .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ الذاريات: ٧.

٤- دلالة التقدير :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ .

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢ .

٥- دلالة التسخير والتدبير :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ يونس: ٣ .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١ .

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ الرعد: ٢ .

﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الشورى: ١٢ . ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ النحل: ١٢ .

٦- دلالة الهداية :

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ الأعلى: ٢ - ٣ .

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه: ٥٠ .

٧- دلالة التخصيص والقدرة على غيره :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ الفرقان: ٤٥ .

﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ المعارج: ٤٠ - ٤١ .

٨- دليل التمانع : وهذا دليل على توحيد الربوبية والألوهية معا .

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩١ .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء ٢٢ .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٢ .

قيل سبيل لمغالبته ومنازعته وتكون بمعنى ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

وقيل سبيل للتقرب والزلفى فتكون مثل قوله ﷻ: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧.

٩- دلالة الانفراد بالكمال :

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ مريم٦٥.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الحشر: ٢٣.

١٠- دليل افتقار كل الخلق إليه وصمودهم له وحاجتهم إليه وغناه عنهم وأن النفع والضر بيده وحده.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ الإخلاص: ١-٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ فاطر: ١٥.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ محمد: ٣٨.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ الأنعام: ١٣٣.

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الحج ٦٤.

فكل هذه الأدلة الدالة على وحدانية الله دلالات قطعيه وحجج وبراهين على توحيد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته أيضا .

ثالثا : أدلة توحيد الألوهية : إضافة على الأدلة السابقة :

١- إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية وأنه وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير والنفع والضر.

٢- دليل الإخلاص حال الخوف .

٣- تفرد الله بالكمال والخلق والتدبير والملك .

٤- مطالبة المشركين بالدليل على فعلهم وحجة لشركهم .

٥- تبيين حال الآلهة المعبودة وظهور عجز المعبودات ونفي القدرة عنها وتجريدها من الربوبية .

٦- إثبات العجز لكل الآلهة الباطلة والنقص لها ومن ذلك :

- نفي الخلق عنهم .
- نفي الملك عنهم والشراكة مع الله وأنهم لا يملكون شيئا .
- نفي الشفاعة عن المعبودات وبيان أن الشفاعة ملك لله وحده .
- نفي السمع والكلام والحركة عن آلهتهم من أصنام وأولياء أموات.
- إخباره عن حاجتها لغيرها وللطعام .
- بيان أنها ميتة غير حية ، وبيان أفولها وغيابها .
- أنها لا تنصر نفسها ولا تدافع عن عابديها ولا تحمي أحدا.
- نفي الرزق وأنها لا تسطيع أن ترزق أحدا . نفي قدرتها على النصرة.
- نفي النفع ودفع الضر. نفي الهداية .
- إخباره أنها ترد النار .

٧- تمثيل الآلهة بالعبيد :

٨- وقوع العداوة بين العابد ومعبوده في الآخرة وانقطاع أسباب المودة بينهما.

٩- أمره تعالى بعبادة الله حده وترك عبادة غيره والكفر بالشرك .

١٠- بيانه لمفاسد الشرك وخطره وأضراره وقبحه وضلال أصحابه .

١١- حكمه ﷻ بتكفير المشرك وتوعده بالنار والعقوبة والهلاك .

١٢- أنه إذا كان تسمية هذه المعبودات الباطلة بأسماء الرب الحق باطل فإعطائها المسمى أشد بطلانا وهذا من باب الإلزام، ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ الرعد: ٣٣ أي بالحي القيوم الخالق المميت. ابن تيمية فتاوى ١٥/ ١٩٦ .

١٣- دليل ضرب الأمثال لبيان عجز الآلهة الباطلة كالعبد والشجرة الطيبة والخبيثة والخلق وسلب الذباب وضعف المعبودات واحتياجها وخوفها.

رابعاً: القياسات في التوحيد والعقيدة وما يصح منها في حق الله ﷻ:

١- قياس الأولى : ومثاله أن يقال أي كمال فالله ﷻ أولى به .ومن أدلته قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ النحل: ٦٠ ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ يس: ٨١ فإذا قدر الله ﷻ على خلق السموات فغيرها من الخلق أولى .﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ ﴾ الروم: ٢٨ وإذا كان الخلق يأنفون أن يشاركهم عبيدهم في رزقهم فالله ﷻ أولى بهذه الأنفة

٢- قياس العلة : وهو ما حذف منه إحدى المقدمات لدلالة المقام عليها. ومن أمثلته: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩ فإذا جاز خلق آدم من غير أب فكذا عيسى فكليهما مخلوقين ولا تصح عبادتهما .

٣- قياس الدلالة (التمثيلي) : وهو ما جمع بين أصل وفرع بعلة جامعة . ومن أدلته :قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فصلت: ٣٩.

والله ﷻ يستخدم في حقه قياس الأولى ولا يستخدم قياس الشمول الذي تستوي أفراده ولا قياس التمثيل فإن الله لا مثيل له ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ النحل: ٧٤

٤- قياس الشبه : وأكثر ما ورد في القرآن مذموماً . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ الأعراف: ١٩٤.

٥- قياس الخلف : وهو إثبات الأمر ببطلان نقيضه. ومن أمثلته: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢.

٦- قياس الشاهد على الغائب : وهو قياس ما هو غيب بالمشاهد المحسوس . كقياس البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ الحج: ٥ - ٧.

٧- الأقيسة الباطلة الشركية . كقياس الشفاعة عند الله بملوك الدنيا .

٨- السبر والتقسيم ومثاله ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ سبأ: ٢٢ - ٢٣.

الفصل الثاني

تــوحــيــد الــربــوبــيــة

المسألة الأولى: تعريف الربوبية :

الربوبية: أصلها مأخوذ من اسم الرب .

وهي مشتقة من الفعل رَبَّ يرب . والياء والتاء في الربوبية للنسبة .

والمراد بالربوبية: الاتصاف بصفات الخلق والملك والتدبير، وقيام أفعال الرب التي لا تنبغي لغير الله ﷻ. ولا تصلح لمربوب مخلوق مملوك مدبَر .

المسألة الثانية: معنى توحيد الربوبية والصفات:

إثبات الربوبية لله وحده الخالق . ونفي الربوبية وأفعالها عن الخلق .

فيعتقد الموحد بالربوبية أنه لا خالق غير الله ولا رازق ولا مدبر ولا مالك إلا هو ولا يملك النفع والضر أحد سواه .

ومعنى توحيد الأسماء والصفات :

إثبات أسماء الله وصفاته لله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله .

ونفي ما نفاه الله عن نفسه . وعدم إثبات شيء من صفات الكمال للخلق .

المسألة الثالثة: ورود لفظة رب في الآيات :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ البقرة٢١ ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٩٢ ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا ﴾ الأنعام١٦٤ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ الأنعام١٠٢ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٦٤ ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًا ﴾ آل عمران: ٨٠ ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ يوسف: ٣٩.

المسألة الرابعة : معنى الرب :

الرب إما أن يكون مصدر أو صفة مشبهة مشتقة من ربّ يربّ وربه إذا رباه.

قال الأزهري في تهذيبه: قال ابن الأنباري : الرب يطلق على ثلاثة معاني :

(١- المالك . ٢- والسيد المطاع . ٣- والمصلح).

قال ابن فارس في معجم المقاييس : الرب يدل على أصول :

١- إصلاح الشيء والقيام عليه وحفظه وتربيته ورعايته ، فالرب المالك والخالق والصاحب والمصلح والقائم على خلقه المدبر لهم والمصلح أمورهم .

٢- لزوم الشيء والإقامة عليه والدوام وهو مناسب لما قبله .

٣- ضم الشيء للشيء والجمع وهو مناسب لما قبله .

فأضاف ابن فارس معنيين: اللزوم والجمع ، واستقل الأنباري بمعنى الطاعة.

وما ذكره الأنباري اضبط وأدق وجامع لكل معاني الرب . لأن معنى الضم والجمع ومعنى اللزوم والدوام يرجعان إلى الإصلاح والتدبير ، كما قرره ابن فارس.

قال الراغب: (الرب في الأصل التربية وإنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى التمام).

قال الطبري في تفسيره : (وقد يتصرف معنى الرب في وجوه غير ذلك غير أنها تعود لبعض هذه الوجوه الثلاثة) .

فتكون الربوبية بذلك لا تخرج عن أحد المعاني الثلاثة التي ذكرها الأنباري .

فمن المعنى الأول (المالك) الله رب العزة أي صاحبها ومالكها، وفي الحديث أنت الصاحب في السفر . ومنه قولهم فلان رب الدار ورب الإبل أي مالكها .

ومن معنى (السيد المطاع) قولهم : لأن يربني فلان خير من فلان، أي يتسيد علي ويسوسني وأطيعه ، ومنه حديث: (أن تلد الأمة ربتها) .

ومن معنى (المصلح) قولهم المرأة ربة البيت أي مصلحته وربان السفينة أي القائم عليها ومصلحها .

ومن معنى (الضم والجمع) قولهم: فلان مرب يربْ الناس أي مجمعهم ويجمعهم ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ أي جماعات، ومن ذلك تسميتهم الماء الكثير الربب، والعهد ربابة لأنه يضم الناس ويجمعهم .

ومن معنى (اللزوم والدوام والإقامة) قولهم أربت السحابة هنا إذا دامت.

ورب تطلق للتقليل بخلاف كم تستخدم للتكثير.

وعلى ما تقدم فالربوبية لا تخرج عن ثلاثة معاني :

الأول : المالك .

الثاني : السيد المطاع والآمر والحاكم والمشرع وسان الدين والمحلل والمحرم.

الثالث : المصلح المربّـي الراعي المدبر الخالق القائم على غيره والمتصرف فيه .

عليه فمدار الربوبية على ثلاثة أفعال: الملك، التدبير والخلق ، الأمر والحكم والشرع.

المسألة الخامسة: علاقة أسماء الله وصفاته وأفعاله بربوبيته :

أسماء الله وصفاته وأفعاله من الربوبية فكل اسم لله وصفة تمثل ربوبية الله.

كما أن الربوبية وأفعالها من صفات الله ﷻ . فالخلق والرزق من صفات الله .

مسألة: الفرق بين أسماء الله وصفاته وأفعاله وربوبيته :

١- أسماء الله هي أعلام له مثل الإله الرب والرحمن والرزاق والقدير والملك.

٢- الصفات هي ما يوصف الله بها كالألوهية الربوبية الرحمة الرزق القدرة.

٣- أفعال الله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة والرحمة والنزول فهو يخلق ويرزق ويرحم فهذه كلها أفعال لله تعالى ، وتسمى الصفات الفعلية .

٤- الربوبية تشمل أربعة أمور: وجود الله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

والقاعدة أن كل اسم لله له صفة وليس كل صفة لها اسم مثل الاستواء والكلام فليس من أسماء الله المستوي والمتكلم .

وكل فعل له صفة وليس كل صفة لها فعل مثل صفة الوجه واليدين والجمال وغير ذلك ، فهي من الصفات الذاتية وليست من الفعلية.

فائدة : الفرق بين الصفة والفعل :

ذهب بعض أهل العلم أن كل فعل له صفة والعكس .

وذهب بعضهم إلى وجود أفعال لا يوصف الله بها مثل الاستهزاء والمكر والتردد ونحوها وكذلك وجود صفات لا أفعال لها، وهذا الخلاف ناشئ على الخلاف اللغوي، هل الأصل الصفة أو الفعل .

والصحيح أن الصفات على قسمين :

١- صفات فعلية : فكل فعل يعتبر صفة، فالاستهزاء فعل وهو صفة والحلف فعل وهو صفة، وأفعال الله منها المتعدية إلى مفعول كالخلق والرزق والكلام ، ومنها اللازمة كالاستواء والنزول والمجيء .

٢- صفات ذاتية خبرية ليست فعلية: كصفة اليدين والعين والوجه والجمال.

ويلحق بذلك الحياة والعظمة والغنى والعزة وكذلك العلو والأولية .

المسألة السادسة:حقيقة توحيد الأسماء والصفات والربوبية مبني على أصلين :

الأول : تنزيه الرب ﷻ عن مشابهة الخلق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه من الكمال ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

فهذين الأصلين بينهما الله ﷻ وجمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ .

المسألة السابعة : أسماء توحيد الربوبية :

١- توحيد أفعال الرب ، لأن الربوبية حقيقتها أفعال الله وصفاته .

٢- التوحيد الاعتقادي،لأن محله الاعتقاد، ويقابله العملي الذي هو الألوهية.

٣- التوحيد العلمي، القائم على العلم بالله وأفعاله وصفاته .

٤- توحيد المعرفة والإثبات،لأنه متعلق بمعرفة الله وإثبات الكمال في صفاته .

٥- التوحيد الخبري ، القائم على الخبر والسمع .

٦- توحيد الوسيلة، أي الوسيلة إلى توحيد الألوهية، الذي هو توحيد الغاية.

المسألة الثامنة: أفعال الربوبية والأمثلة لها :

١- الخلق : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣ ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ .

٢- فعل التدبير والتصرف في الأمر:

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ يونس: ٣ ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الشورى: ١٢ .

٣- الملك وتفرده ﷻ به ووجوب توحيده به :

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤ ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ المؤمنون: ٨٨ .

٤- الإحياء والإماتة : ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨ ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يونس: ٥٦ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ .

٥- البعث والحساب: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ يس ٥٢ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ص: ٧٩ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ الأنعام: ٦٢ ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

٦- النفع الضر: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الأعراف ١٨٨ ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ الأحزاب: ١٧ ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾.

٧- التصوير والإبراء والفطر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ ﴾ آل عمران ٦ ﴿ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ الحديد: ٢٢ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الحشر: ٢٤. ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

٨- النصر: ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ .

٩- الرزق: ﴿ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾.

فائدة : اقتران النصر والرزق ، لأن النصر رفع الضرر والرزق حصول المنفعة.

١٠- الأمر والنهي والحكم والتشريع وسن الدين والتحليل والتحريم:

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ الانفطار: ١٩ ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ الشورى: ١٣ ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ المائدة: ٨٧ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣ .

١١- الإنعام :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣ ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ المائدة: ٧.

١٢- الإطعام والتأمين: ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾.

١٣- علم الغيب:

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل: ٦٥.

١٤- القضاء والقدر والهداية والإضلال :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ المدثر: ٣١.

١٦- الإغناء والافقار : ﴿ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ فاطر: ١٥

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ الرعد: ٢٦ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ النجم: ٤٨.

١٧- المعافاة والشفاء : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء: ٨٠.

ومن أفعال ربوبيته ﷻ الإعزاز والإذلال ، وتصريف الأيام وإنشاء الليل وغشوه وتجلية النهار وتكويرهما وسلخ بعضهما من بعض، وإنزال المطر والإنبات.

وغير ذلك من أفعال الله ﷻ التي لا يحصيها إلا هو، كل يوم هو في شأن لامعقب لحكمه ولا راد لأمره سبحانه وبحمده .

المسألة التاسعة: أفعال الله تبارك وتعالى كلها خير :

لا يوجد في أفعال الله تعالى شر مطلقاً، حتى في خلق الكفر والشر وإبليس فيها خير ، فهذه المفعولات وإن كان فيها شر في ذاتها، لكن هذا الشر لا يعود إلى فعل الرب، إذ فعل الرب خير محض لا شر فيه فخلق هذه الشرور فيه خير من أوجه كثيرة ومصالح عظيمة .

المسألة العاشرة: الربوبية أعظم وأخص صفات الله ﷻ وجامعة لكل أفعاله .

المسألة الحادية عشرة: ما تتضمنه الربوبية :

١- وجود الله ﷻ وكمال حياته وقيوميته .

٢- أفعاله من الخلق والتدبير أو الإعداد والإمداد والإعدام وملكه لهم .

٣- أسماؤه وصفاته وكماله وجلاله وجماله وتفرده بالكمال وحده .

٤- قضاؤه وقدره ، ويرجع هو ومراتبه الأربع في الربوبية.

٥- شرعه وأمره وحكمه .

٦- إرساله الرسل من الملائكة والأنبياء وإنزال الكتب .

٧- بعثه لخلقه بعد إماتتهم وحسابهم وإثابتهم وإدخالهم الجنة وعقابهم بالنار.

هذه أركان الربوبية السبعة والتي لا يصح إيمان العبد إلا بإيمانه الحق بها.

المسألة الثانية عشر: قيام الربوبية وأفعال الرب على أربعة أفعال:

١- الملك.

٢- الخلق.

٣- التدبير، ويدخل فيها معظم أفعال الله ﷻ إذ لم يكن جميعها بما فيها الخلق.

٤- الأمر، ويدخل فيه التشريع والتحليل والتحريم وسن الدين.

والأفعال التي تدخل في التدبير:

١- الأمر والنهي والحكم والتشريع.

٢- الخلق والإحياء والإماتة والقيومية والحفظ والتربية والهداية.

٣- القضاء والقدر فهو راجع لتدبير خلقه.

٤- إرسال الرسل وإنزال الكتب وهو من تدبير خلقه والقيام على مصالحهم.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٩١.

٥- البعث والحساب. وكل ما سبق يعد من الأفعال الراجعة لتدبير الخلق.

المسألة الثالثة عشر: أن الألوهية صفة من صفات الربوبية .

وبيان ذلك أن الألوهية معناها استحقاق العبادة، ومعلوم أنه لا يستحق أحد العبادة غير الرب الخالق، فأحقية العبادة هي من لوازم الربوبية وصفاتها ومعانيها، فالرب لابد أن يعبد ويطلب ويرجى ويهاب لكونه القادر على كل شيء، والعكس بالعكس العبادة والألوهية لا تنبغي إلا لمن قدر على النفع والضر والخلق والرزق ولا توجد هذه الصفة في أحد غير الخالق الحي القيوم، فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر ، وتقدم تقرير هذا الأصل .

ومَن فقِهَ هذا الباب استقام له التوحيد وعمل بمقتضاه .

الرابعة عشرة: وجه دخول الأسماء والصفات في الربوبية والعلاقة بينهما:

أسماء الله وصفاته هي في الحقيقة من خواص الربوبية إضافة إلى أن بعض أسمائه وصفاته مشتملة على أفعال كالخالق الرازق ونحو ذلك .

كما أن ربوبية الله هي في النهاية ليست إلا صفة من صفاته ﷻ .

فربوبية الله وأفعاله من أسمائه وصفاته، وكذلك العكس أيضا صحيح فأسماء الله وصفاته هي من ربوبية، وتقدم الفرق بين الصفة والفعل وأن الصفات فعلية وغير فعلية ، والفعلية منها المتعدية واللازمة ، ومنها المتعلقة بالمشيئة وهي الأفعال الاختيارية ومنها الأفعال التي لا تنفك عن الله كالقدرة والنظر والسمع .

المسألة الخامسة عشر: وجه دخول القضاء والقدر في الربوبية :

قضاء الله وقدره هو فعل الله فهو حكم الله وتقديره وإرادته وخلقه وهذه أفعال راجعة للربوبية القائمة بالله ﷻ .

كما أن مراتب القدر الأربع والتي هي (العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق) هي صفات الله وأفعاله الراجعة للربوبية .

فتوحيد الله في قضائه وقدره والإيمان به من توحيد الربوبية وفرد من أفراده .

والقدرية بأنواعها شركها في القدر راجع لشركهم في الربوبية وتنقصهم لها .

سواءً المجوسية التي تنكر خلق الله للشر .

أو الجبرية المشركة وفروخهم من الجهمية والأشاعرة والجبرية في هذه الأمة معطلة الشرائع والأمر والنهي ، وهي التي تقول الله راض بكل ما خلقه وأنكروا الأسباب وتأثير أفعال العباد ، ومنهم الذين قالوا :﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ١٤٨ ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ الأعراف: ٢٨ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ النحل: ٣٥ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ الزخرف: ٢٠.

أو القدرية الإبليسيّة المعترضة على قدر الله والتي لا تصبر على أقدار الله .

المسألة السادسة عشر : وجه دخول إرسال الرسل في الربوبية :

من ربوبية الله وأفعاله المقدسة: إرساله الرسل من الملائكة ومن الناس ليعلقوا الخلق بربهم ويبصرونهم بمراد خالقهم، فإرسال الرسول وبعثة الأنبياء من أفعال الله ومن مقتضيات ربوبيته ولوازم حكمته، وهذا أمر دل عليه العقل والفطرة والشرع .

وذم الله ﷻ من أنكر بعثة الرسل وأخبر أن ذلك في الحقيقة قدح في ربوبيته كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١.

وقد اختلفت الفرق الطاعنة في النبوة على مذاهب :

- منها من أنكرتها بالكلية .

- منها من قالت: النبوة مكتسبة وليست اصطفاء ، كما أخبر تعالى عنهم :﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ الأنفال: ٣١ ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ المدثر: ٢٥ ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ إبراهيم: ١٠ ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ الأنبياء: ٣.

- منها من أنكرت أن تكون من البشر مع إيمانها بالله : كما قال ﷻ عنهم :

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾ يس: ١٥ ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ المؤمنون: ٢٤ ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ ﴾ التغابن: ٦.

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ المؤمنون: ٣٤ - ٣٨ .

فمعرفتهم بالله لم تنفعهم، وصار إنكارهم البعث والرسالة كفر وتكذيب استحقوا به النار، وكان تكذيبهم الرسل والبعث كفر وطعن في الربوبية .

المسألة السابعة عشر : وجه دخول البعث في الربوبية :

الإحياء والإماته من أعظم أفعال الربوبية وقد تفرد بها لجلاله وعظمته .

ومن إحياء الموتى البعث والنشور ومن لوازمها الحساب ، وهذه من أفعال الله التي ذكرها الله وكفّر منكرها . كذلك من أفعال الله محاسبة الخلق ومجازاتهم على أعمالهم والفصل والقضاء بينهم وإثابة المحسن منهم ومعاقبة المسيء .

وهذا من أفعال الله ﷻ ومن كمال ربوبيته والتي دل عليها العقل والفطرة قبل الشرع ، فبالبعث ومحاسبة الناس وإقامة الجزاء لهم من صلب الربوبية ومن صفات أفعال الله ﷻ قال سبحانه : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ ﴾ التغابن: ٧ وقال عنهم : ﴿ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ المؤمنون: ٣٨ .

فمعرفتهم بالله لم تنفعهم، وصار إنكارهم البعث والرسالة كفر وتكذيب استحقوا به النار، لأن تكذيبهم بالبعث والرسل كفر وطعن في الربوبية .

وقد جعل الله ﷻ البعث والحساب من ربوبيته ومن لوازم الخلق: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ هود: ٧. فجعل سبحانه خلق السموات والأرض للابتلاء والامتحان والجزاء وأنه من دلائل البعث والجزاء والحساب ، وفي هذا إلزام للمشركين ورد على تكذيبهم به .

وقال مستدلاً بالخلق على البعث: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ الحج: ٥ .

قال ابن القيم في الفوائد : (وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته، ومنكري البعث أنكروه لظنهم عدم علم الله بمصير وأجزاء الأجسام وعدم القدرة على ذلك وأن ذلك لا فائدة منه ولا حكمة فيه، فالمعاد معلوم بالعقل مع الشرع فكمال الرب وكمال صفاته تقتضيه وتوجبه وهو منزه عما يقول منكروه كما يتنزه عن سائر العيوب).

المسألة الثامنة عشر : دخول الحكم والأمر في الربوبية :

يدخل الحكم بما أنزل الله وامتثال أمره والعمل بشرعة في الإيمان بالربوبية، وهذا الأمر لا يخفى، لأن الحكم والأمر وتشريع الدين وسن الشرائع من أخص صفات الله، وجعل الله ﷻ الأمر له وحده وتفرد بالحكم، وجعل من ينازعه في هذه الصفة كافر مشرك مكذب بربوبيته مشركاً فيها ، وقد دلت عليه نصوص كثيرة جداً.

فقال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ فلا يأمر ولا يشرع ولا يحكم إلا من يخلق وكان رباً معبودا ، وأخبر تعالى أن الحكم له وحده لا يشترك معه أحد فيه ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ، بل وأخبر الله ﷻ أن من عمل بحكم غيره فقد عبده وصيره إلهاً ورباً له ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ آل عمران٦٤ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، فأنكر على من اتخذ له ربا يطيعه فيما يشرع له الدين ويحلل له ويحرم ويحكم ، وقد فسر الرسول ﷺ لعدي بن حاتم كيف اتخذوهم أربابا وذلك بطاعتهم في التشريع والتحليل والتحريم .

ونفى الله تعالى الإيمان عمن لم يحكم بما أنزل الله، وأثبت له الكفر بربوبية الله وألوهيته فقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ الأحزاب: ٣٦ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ ﴿ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٤٣ .

المسألة التاسعة عشر: لوازم الإيمان بالربوبية :

١- توحيد الله ﷻ في ألوهيته وعبادته ولذلك كثر الاستدلال على المشركين في عبادة الله بربوبيته وخلقه لهم .

٢- موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله فهي من أعظم لوازم ربوبية الله ومحبة ما يحبه الله ، فلا يختل الولاء والبراء في عبد إلا بعد ضلال منه في الربوبية قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة:٨١.

٣- الحكم بما أنزل الله والتحاكم لشرعه وأمره .

٤- الإيمان بقضاء الله وقدره والصبر عليه والرضا به .

٥- طاعة الله وإجلاله وتعظيمه ومهابته والخوف منه وترك معاصيه .

٦- متابعة رسوله ﷺ والانقياد له والإذعان لأمره والاستسلام لشرعه والتسليم والرضا به وبدينه .

المسألة العشرون: آثار الإيمان بتوحيد الربوبية وثمراته :

أعظمها تقدير الله حق قدره وتعظيمه والفرار من آثار سخطه وإغضابه والخوف من عقابه .

ومن فوائده حصول التعلق بالله واللجوء إليه والانكسار بين يديه والافتقار له سبحانه لكون النفع والضر وغاية الأمر بيده وحده سبحانه وهو القادر على كل شيء والعالم بكل شيء .

أن الإيمان بتوحيد الربوبية حقاً والرضا به يحمل صاحبه على الكمال في عبادة الله وحده وتوحيده في الألوهية وطاعته بأنواع العبودية من المحبة والخوف والرجاء واليقين والتوكل والرضا وعدم الالتفات لأحد أو الخوف منه أو الطمع بما عنده إلا ربه ومولاه .

قال ابن القيم رحمه الله في التبيان معلقا على قوله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ المؤمنون: ١١٥ :

(فجعل كمال ملكه وكونه سبحانه الحق وكونه لا إله إلا هو وكونه رب العرش المستلزم لربوبيته لكل ما دونه فإن ملكه الحق يستلزم أمره ونهية ، وثوابه وعقابه ، وكذلك يستلزم إرسال رسله ، وإنزال كتبه ، وبعث العباد في يوم المعاد ليوم يجزئ فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

فمن أنكر ذلك فقد أنكر حقيقة ملكه ولم يثبت له الملك الحق ولذلك كان منكراً لذلك كافراً بربه وإن زعم أنه يقر بصانع العالم فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال والمستحق الكمال) .

الحادية والعشرون : توحيد الربوبية لا يدخل وحده في الإسلام وليس الغاية :

توحيد الربوبية على علو مكانته وعظيم قدره وكونه حق ولا ينجو العبد بدونه ولا يصح إيمانه إذا انتفى، إلا أنه مع ذلك من أتى به وحده لا يكفي ليعتبر مسلما، وليس هو الغاية التي بعثت بها الرسل، إذ الغاية هي عبادة الله وحده وتوحيده ﷻ في الألوهية والعبادة، أما الإيمان بتوحيد الربوبية فإن المشركين كانوا مقرين بأصله ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان لما وقعوا في شرك العبادة والألوهية .

المسألة الثانية والعشرون: أدلة توحيد الربوبية :

للتوحيد أدلة عامة وللربوبية أدلة تخصه وتقدمت .

المسألة الثالثة والعشرون : أنواع الربوبية :

تنقسم الربوبية إلى قسمين : ربوبية عامة وهي ربوبية القدر والقهر ، وربوبية خاصة وهي ربوبية الشرع والدين والأمر:

١- الربوبية العامة : لجميع الخلق وهي المتضمنة لخلقهم ورزقهم وهدايتهم .

٢- الربوبية الخاصة بالمؤمنين : وتكون بتوفيق الله لهم وإعانتهم على طاعته .

ومثل الربوبية في هذا التقسيم العبودية فتنقسم إلى عبودية عامة يدخل فيها كل مخلوق المؤمن والكافر وعبودية خاصة بالمؤمنين.

وكذلك الإسلام ينقسم إلى : إسلام عام وهو التوحيد ودين جميع الرسل، وإسلام خاص وهو شريعة محمد ﷺ .

المسألة الرابعة والعشرون : إطلاق كلمة رب على المخلوق :

يطلق على المخلوق صفة الربوبيـة المقيـدة فيقـال فـلان رب الـدار أي مالكـه وفلان رب فلان أي سيده ومربيه ومصلحه ومـن ذلـك قولـه تعـالى : ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ يوسف : ٤٢ . لكن إذا دخلت الألف واللام عـلى كلمة رب اختص بها الله ﷻ فلا يقال الرب لغير الله .

المسألة الخامسة والعشرون: محل الإيمان في الربوبية ونوع آلته:

الإيمان بالربوبية كله من قبيل الاعتقادي وليس منه عملي ، بخلاف الألوهية .

أما الشرك في الربوبية فمنه الاعتقـادي ومنـه العمـلي المتعلـق بـالجوارح مثـل التشريع والحكم بغير ما أنزل الله والتصوير وتعليق الحلقة والتمائم والتشاؤم وسـب الدهر والريح والجزع والتسخط على القدر .

كما أن الشرك في الربوبية منه الأكبر وهو الأصل ، ومنه الأصـغر مثـل تعليـق التمائم وقول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت .

المسألة السادسة والعشرون : أقسام الإيمان بالربوبية :

ينقسم الإيمان بالربوبية إلى كمال وأصل ، وفاقد الأصل يكفر أما الكمال لا.

ومن صور القدح في الكمال المتعلق بـالإيمان بربوبيـة الله الوقـوع في المعـاصي وسب الدهر وعدم الصبر على قدر الله.

مسألة : الإيمان بالربوبية يكون مجمل ومفصل .

السابعة والعشرون: الواقعون في الشرك في الربوبية والطوائف المخالفة فيه :

وجد من أنكر ربوبية الله ﷻ في الظاهر دون الباطن كفرعون، كما يوجد من أنكرها في الباطن والظاهر أمثال أهل الحيرة والجهل من عوام الفلاسفة والملاحدة والطبائعيين وهؤلاء شواذ وقلة ومن هؤلاء من قصهم الله علينا من معطلة العرب ممن تأثر بالفرس والمجوس ممن أنكر الخالق والبعث وقال بالطبع المحيي والدهر المفني وأخبر سبحانه عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ الجاثية: ٢٤ ويوجد من لم ينكر الربوبية ولكن أشرك فيها وهم كثر وطوائف متعددة من الفلاسفة والمجوس والقدرية والقانونيون والمنجمون والصوفية الغلاة .

والمقصود بالشرك فيها : إثبات صفات الرب وأفعال الربوبية لغير الله، وليس المقصود إثبات ربين خالقين متماثلين فإن هذا لم يقل به أحد حتى الثانوية والمجوس القائلين بإله النور والخير وإله الشر فإنهم لا يقولون بتماثلهما بل إله الخير أقوى وأكمل وأفضل كما حقق ذلك عنهم ابن تيمية وغيره، وهذا القول غير إنكار الربوبية وجحد الصانع النور فيوجد من قال به كما تقدم وإن كانوا قله ونوادر .

وتفصيل قولهم بسطناه في باب الشرك في الربوبية في شرح النواقض.

ومعظم المشركين وحّد الله في الربوبية ولم يشرك فيها في الجملة، ولكن كان شركة في الألوهية وعبادة غير الله فقط، وهذا لا ينفعه توحيده وإيمانه بتفرد الله بالربوبية مع عبادته لغيره، خلافاً لقول مشركي هذا الزمان وقبورية العصر وصوفية الشيطان .

الثامنة والعشرون: التحقيق في وقوع الشرك في الربوبية وحالاته :

١- إنكار ربوبية الله وقد حصل وجوده من الشواذ كبعض الفلاسفة والشيوعية الملاحدة، مع العلم أن أغلب من ينكر وجود الله حصل ذلك منه ظاهراً لا باطناً وكان من باب العناد والاستكبار، فهذا فرعون أكفر الناس والمنكر لوجود الرب قال الله تعالى عنه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل: ١٤. وقال موسى عنه :﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ الإسراء: ١٠٢ .

لكن مع هذا لا ينكر أنه يوجد طوائف تنكر وجود الله جهلاً وشكاً وحيرة لاعناداً واستكباراً مثل بعض عوام الشيوعيين والفلاسفة وأما الغالبية العظمى فمعترف في قرارة باطنه مقر في نفسه بخلاف ما يظهر .

٢- من يعترف بربوبية الله ولكن يقع في الشرك في أفرادها فيثبت الربوبية للمخلوقين وهذا حال الأكثر كغلاة الصوفية الذين يثبتون للأولياء والرسل علم الغيب والنفع والضر والقدرة على كل شيء بل وملك الجنة والنار والموت والحياة، ومثلهم النصارى في عيسى، وكذا المجوس والقدرية في إثباتهم خالق مع الله، والقانونيون مشركوا الحكم والتشريع، والمنجمون في نسبة المطر للكواكب وللشتاء، والكهنة في ادعاء علم الغيب.

٣- من يكون شركه في الربوبية من جهة اللزوم فمن أشرك في الألوهية فقد استلزم إشراكه فيها الشرك في الربوبية والقدح في ربوبية الله وإثبات نافع ضار مالك غير الله.

المسألة التاسعة والعشرون: أنواع المخالفات والقوادح في باب توحيد الربوبية:

١- إنكار وجود الرب ﷻ.

٢- إنكار ربوبية الله وكونه خالقاً رازقاً، وذلك بتعطيله عن أفعاله .

٣- إثبات ربوبية الله من غير توحيد، فيعتقد الشرك فيها وتشبيه المخلوق بالخالق وإعطائه شيء من الربوبية وخصائص الرب وإثبات الربوبية للمخلوق وذلك بإثبات رب خالق مع الله رازق أو مدبر أو مشرع .

٤- القدح في بعض أفعال الله، مثل : سب الدهر أو الريح أو التشاؤم أو تنقص خلق الله أو الاعتراض على قدر الله والجزع به وعدم الرضا بالقضاء والقدر .

٥- الخروج عن شرع الله وأمره وحكمه بالتشريع والتحليل والتحريم وتنقصه وكرهه أو كره شيء مما أنزله الله وأمر به أو سب الله أو الاستهزاء بأفعاله أو دينه أو رسوله أو جحد شيء من ذلك .

٦- تشبيه الله تعالى بخلقه ونسبة النقائص له ﷻ، مثل نسبة الولد إليه أو النوم والتعب أو سبه سبحانه.

٧- عدم تعظيم الله وتقديره حق قدره، وذلك بفعل المعاصي وارتكاب الكبائر وترك الأوامر الشرعية .

٨- السحر والتنجيم وادعاء علم الغيب فيها .

٩- إنكار القدرية خلق أفعال العباد وإنكار الجبرية الأسباب وأفعال العباد وكلا القولين فيه طعن في الربوبية .

المسألة الثلاثون : أقسام القوادح في باب توحيد الربوبية :

القوادح في توحيد الربوبية على قسمين : كبرى وصغرى .

الكبرى وهي : نواقض للتوحيد ، ومنها ما هو قادح في أصل الإيمان بالربوبية فينقض الإيمان بتوحيد الربوبية ويبطل الإيمان من أصله .

والصغرى تقدح في كماله مع ثبوت الأصل وعدم زواله .

المسألة الحادية والثلاثون: مرد نقض توحيد الربوبية إلى ثلاثة أنواع :

الأول: إنكار ربوبية الله وتعطيل الرب منها ومن أفعاله،وهذا شرك التعطيل .

الثاني : إثبات الربوبية الخاصة بالله لغيره وعدم توحيده بالربوبية وتمثيل المخلوق بالخالق في الربوبية ، وهذا شرك التمثيل .

الثالث : القدح في أفعال الرب ﷻ كسب الريح وسب الدهر أو التسخط على القدر .

المسألة الثانية والثلاثون: مذهب الجهمية المعطلة في الربوبية :

للمعطلة الجهمية بجميع فرقهم من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة مذهب ضال في أفعال الله وصفاته الفعلية الاختيارية ، وذلك بتعطيله منها بالكلية أو نفي الاختيار والإرادة فيها وسلبها من التجدد والحدوث والقول بأنها قديمة لا تحدث بفعل حادث متجدد ولا أن الرب ﷻ يفعل متى شاء وكيف شاء ، ومذهبهم الفاسد هذا راجع لأصلهم الباطل في الصفات .

المسألة الثالثة والثلاثون: هل عبّاد الأصنام يعتقدون فيها أنها تنفع وتضر وهل هذا من الشرك في الربوبية :

تحقيق القول في هذه المسألة أن المشركين ليسوا على درجة واحدة .

فمنهم من كان يعتقد في الآلهة المعبودة التأثير في النفع والضر والاستقلال بذلك وهذا شرك في الربوبية ومن ذلك قول الله عن بعضهم : ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ هود: ٥٤.

ومنهم من يعتقد أنها سبب لنيل النفع ودفع الضر وذلك بطلبها الشفاعة من الله من دون إذنه أو أن الله أذن لها في تحقيق النفع والشفاعة وأن مالك النفع والضر في الحقيقة هو الله وكل ذلك بيده ﷻ . إلا أنهم مجمعون أن النفع والضر بيد الله تعالى، وأن الآلهة إن نفعت أو ضرت فبإقدار الله لها، كما يقول عباد القبور ، أن آلهتهم من القبور والأولياء الأموات ينفعون ويضرون بما وهبه الله لهم كرامة لهم .

ومن الأدلة على اعتراف مشركي العرب بتفرد الرب بالنفع والضر :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾.

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾.

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾. ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ .

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ ﴾.

وقد أخطأ البعض لـمّا نفى عن جميع المشركين اعتقاد نفع في الآلهة التي يعبدونها مطلقاً ، فلو لم يكن المشركون يعتقدون النفع والضر في من يدعونهم لما سألوهم ولما دعوهم .

المسألة الرابعة والثلاثون : أقوال السلف في إيمان المشركين بتوحيد الربوبية:

قال ابن عباس : (من إيمانهم إذا سئلوا من خلق السماء والأرض، قالوا : الله، وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ويسجدون للأنداد دونه).

وقال مجاهد : (إيمانهم قولهم الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره).

وقال قتادة: (وهم مشركون في إيمانهم هذا فإنك لست تلقى أحدا منهم إلا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته).

وبمثل ذلك قال عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي وغيرهم وقد نقل ذلك عنهم الطبري في تفسيره .

قال ابن كثير عند آية (قل من يرزقكم): (احتج على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية ألوهيته، وكيف تصرفون العبادة لغيره وأنتم تعلمون أنه الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء) .

قال الطبري وابن كثير عند آية " فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون " (أي لاتشركوا وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم غيره) .

المسألة الخامسة والثلاثون: أدلة إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لله:

قال الله ﷻ حاكياً منهج المشركين وإقرارهم بتوحيد الربوبية لله وكونه خالقهم ورازقهم وأنه عزيز حكيم في مواضع منها قوله ﷻ:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ المؤمنون: ٨٤–٨٩.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ العنكبوت: ٦١ – ٦٣.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾لقمان: ٢٥﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾الزمر: ٣٨﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾الزخرف: ٩﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾الزخرف: ٨٧.

والآيات التي فيها إيمانهم بالله مع إنكارهم أن تكون الرسالة من البشر:

قال ﷻ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١.

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ يس١٥

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ المؤمنون: ٣٨

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ المؤمنون ٢٤.

الآيات التي تحكي اعتراف المشركين بالشرك وأنهم كانوا مقرين بعبادة الله مخالفين في توحيده وإفراده وأنه كانت لهم صلاة وحج وعبادات كثيرة لله.

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ الزخرف ٢٠ ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ الأعراف: ٢٨ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ النحل: ٣٥.

الآيات التي تثبت أن كفار الأمم التي بعثت فيها الرسل كانوا يعلمون أن الرب الخالق هو الله وحده بل ويستحق أن يعبد لكن نازعوا في توحيده بالعبادة:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الأعراف: ٧٥ ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ النمل: ٤٩ ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ المؤمنون: ٢٤ ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾ ﴿ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

كما أخبر عن إيمانهم به ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف١٠٦.

كذلك تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) .

إقرارهم أن المالك المدبر النافع الضار هو الله وحده كما أخبر ﷻ: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الأنعام ٦٣.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١ .

ما ذكره ﷻ وهو يبين بسؤال الحجة والتقرير هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن شركاءهم المعبودة لا تملكه ولا تكشف الضر ولا يستطيعون نصركم:

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء: ٦٦ ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٣ ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢ ﴿ وَٱلَّذِينَ

تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وغيرها من الآيات التي يسأل فيها المشركون سؤال تقرير وإنكار الشرك وتقريرهم على أنه النافع وحد، والآيات التي فيها ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾. والآيات التي فيها أسئلة تقريرية واستنكارية مثل: ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ في سورة النمل وغيرها.

الآيات التي فيها أن الكفار يعبدون الله ويدعونه ولكن يدعون معه غيره:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ٤١ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ يوسف: ٣٩ ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ص: ٥ ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ الأنفال: ٣٢ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر٤٥ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ .

ففي هذه الآيات دلالة صريحة على أن المشركين مقرون بأن الله هو المالك للنفع والضر وبيده الخير والشر وأن الآلهة إنما تشفع عند الله وتقرب إليه فقط، وأن عبادتهم لها كانت في مجرد طلب الشفاعة منها ودعائها مع الله أو من دونه.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ الزمر: ٣٦.

قوله ﷺ لحصين كم تعبد؟ قال سبعا في الأرض وواحد في السماء ، فقال ﷺ : (فإذا أصابك الضر من تدعو) قال الذي في السماء . رواه الترمذي وابن خزيمة .

المسألة السادسة والثلاثون: هل كان المشركون الذين بعث فيهم الرسل مقرون بتوحيد الربوبية أم مشركون فيها ؟

قدمنا الكلام في هذه المسألة وحققنا القول فيها وأنهم عند التحقيق كانوا مقرين بربوبية الله بل ووحدوه بها في الجملة وأفردوا الله بها .

لكن لا يعني ذلك عدم وجود مخالفات وقوادح في الربوبية من أعظمها :

١- اعتقاد بعضهم النفع والضر في الآلهة ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هود: ٥٤ ، وقولهم في التلبية (تملكه وما ملك) حيث فيهما اعتقادهم أن هذه الآلهة تضر وتعتري بالسوء وأنها تملك وإن كانوا يعقدون عدم استقلاليتها في ذلك بل ملكها داخل في ملك الله تعالى وضرها تحت قدرة الله ، وهذا مثل اعتقاد عباد القبور في هذه الأمة .

٢- إنكار الرسالة والإرسال وهو من ربوبية الله .

٣- إنكار البعث وهو من أفعال الربوبية .

٤- التحليل والتحريم والتشريع والحكم بغير ما أنزل الله .

٥- عدم التزامهم بلازم الربوبية الذي هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده .

٦- قول بعضهم مطرنا بنوء كذا .

٧- اعتقادهم أن السحرة والكهان والمنجمين يعلمون الغيب.

٨- قولهم الملائكة بنات الله وعيسى ابن الله .

٩- التشاؤم والتطير ولبس الحلقة والتمائم والرقى واعتقاد تأثيرها ونفعها والاستقسام بالأزلام والتبرك بالأشجار والأحجار والمعبودات .

المسألة السابعة والثلاثون:هل يوجد شرك عملي وأصغر في الربوبية ؟:

نعم ومن أمثلة ذلك :

١- تعليق التمائم .

٢- سب الدهر وسب الريح .

٣- الجزع والتسخط على القدر .

٤- قول: ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت .

٥- التطير والتشاؤم.

٦- نسبة المطر للكواكب والنوء والنجوم والفصول كالربيع نسبة سبب.

٧- التبرك المبتدع بآثار الصالحين .

٨- التصوير .

٩- الحكم بغير ما أنزل الله في القضية الواحدة، والتحاكم شرك في الألوهية.

١٠- شرك الأسباب والقاعدة أن من جعل ما ليس بسببٍ سبباً وتعلق به ما لم يعتقد فيه التأثير فقد وقع في شرك الأسباب .

كل هذه شركيات عملية متعلقة بالربوبية وهي من الشرك الأصغر .

تنبيه : التشاؤم والتطير والتبرك وتعليق التمائم : من قبيل شرك الأسباب .

فهي شرك في الربوبية فإن اعتقد فيها مجرد السببية في حصول الحوادث وردها فهو شرك أصغر . وإن اعتقد فيها التأثير بذاتها أو أن الله ﷻ جعل فيها التأثير والقدرة على الدفع والنفع فهذا شرك أكبر.

وإن خاف هذه الأشياء ورجاها أو تعلق بها وأحبها فهذا أشرك في الألوهية .

المسألة الثامنة والثلاثون : هل وجد من أقر بتوحيد الألوهية وعبد الله ووحده ومع ذلك وقع في شرك الربوبية ؟

نعم ويتحقق ذلك في طوائف :

١- القدرية : من أهل الملة القائلين أن العبد يخلق فعله وليس الله بخالق للكفر والشر .

٢- أصحاب التمائم :ممن يلبسها ويعتقد فيها أنها سبب لدفع العين وهذا شرك في الربوبية وإن كان أصغر وإن اعتقد فيها التأثير بنفسها فهو شرك أكبر .

٣- المتبركون التبرك الممنوع بالآثار المبتدعة، واعتقاد البركة والنفع فيها .

٤- من قدح في أفعال الرب ﷻ كسب الريح ، وسب الدهر ، والتسخط على القدر .

٥- من أثبت بعض أفعال الرب ﷻ للمخلوق سواءً من باب السبب أو التأثير ، مع عبادته لله .

وقد بيّنا ذلك مفصلا ورددنا على من ظن أن تعليق التمائم والتبرك والتصوير والتسبب والتشاؤم ونحوها ليس من الشرك في الربوبية وإنما من الشرك في الألوهية وذلك في كتابنا الشرك وشرح النواقض.

الفصل الثالث

توحيد الألوهية

المسألة الأولى : اشتقاق الألوهية :

الألوهية والإلهية أصلها منتزع من الإله، وهي مشتقة من الفعل ألَه على وزن فَعَلَ كفتح ، وهو بمعنى عبد والإله هو المعبود والألوهية معناها العبادة .

والياء والتاء في الألوهية هي للنسبة أي نسبة العبادة لمستحقها واختصاص الحق فيها بالله ﷻ.

والمراد بتوحيد الألوهية : هو إفراد الله بالعبادة المتعلقة بأفعال العباد.

وتقدم تعريف التوحيد .

المسألة الثانية : معنى الإله وصيغته :

إله على وزن فِعَال بمعنى مفعول ، فإله بمعنى مألوه وهو المعبود .

وصيغة فِعَال التي بمعنى مفعول في اللغة لها أمثلة كثيرة منها :

كتاب بمعنى مكتوب ، فالكتاب في الحقيقة مكتوب وليس كاتب بنفسه .

وإمام بمعنى مأموم، فالإمام مؤتم به وليس هو المؤتم .

وفراش بمعنى مفروش فليس هو الفارش بل هو في الحقيقة مفروش يفترش.

ومن الألفاظ التي تحمل نفس هذه الصيغة غراس وبساط وغيرها.

والإله كذلك معناه المعبود ووجه ذلك : أن الإله معبود متأله وليس هو الفاعل العابد، فالإله ليس هو الذي يقوم بالعبادة ويفعلها ويصرفها وإنما تصرف له وتفعل له فهو معبود مألوه والمخلوق هو الآلة العابد فاعل للعبادة .

المسألة الثالثة : اشتقاق اسم الإله ومعناه :

الألوهية والإلهية مشتقة من الإله وهو المعبود المألوه، والألوهية والعبودية بمعنى واحد وهي من المترادفات . والياء والتاء في الألوهية هي ياء النسبة وتاؤها .

لأن الإله مشتق من فعل أَلَهَ بفتح اللام يأله إلاهة وتألها وألوهية بمعنى عبد يعبد عبادة وتعبداً.

الإله مصدر من أَلَه إذا عَبَدَ والمصدر في موضع المفعول أي المعبود.

والإله يصح أن يقال مصدر ويقال صفة مشبهة، كما يقال ذلك في لفظة الرب.

وتألها تعبد وألوهية عبودية وأَلَـهَ عبد ويأله يعبد وإلاهة عبادة، والمتأله المتعبد والآلِه هو العابد والمألوه المعبود.

ويدل لهذا المعنى : شعر رؤبة بن العجاج :

(لله در الغانيات المدهي سبحن واسترجعن من تألهي) أي من تعبدي

قراءة ابن عباس :(ويذرك وإلاهتك) أي يترك عبادتكم وكان فرعون يُعْبَد .

وكل معبود يسمى إله سواء عُبِد بحق وعدل وهو الله وحده لا شريك لـه، أو عُبِد بظلم وهذا كل معبود سوى الله إذ عبادته تعتبر باطلة وظالمه . وقد سمى الله المعبودات الباطلة آلـهة كالهوى والأصنام.

قال ابن عباس ﷺ : (الله : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين) الطبري.

قال الطبري: فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فِعَال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب .

والألوهية صفة للرب المعبود وللعبد المتأله العابد .

فالإله الحق هو الذي يألَـهُـهُ كل شيء ويعبدَه كل الخلق، وألَهَ العبدُ اللهَ إلاهةً أي عبَدَه عِبادة . والألوهية صفة من صفات الربوبية . كما سيأتي بيان ذلك كله .

مسألة : اشتقاق اسم الإله من أمرين :

الأول: فعل العبادة: فتكون صفة للعبد وفعل له،ومردها للعبد المتأله.

الثاني : استحقاق العبادة : فتكون صفة ذاتية لازمة لله، ويكون مردها للربوبية والصفات ، فهي صفة للرب ﷻ المألوه المعبود .

وهذا المعنى للإله والألوهية والتأله الذي هو العبادة معروف عند العرب جميعاً ولأجل هذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، وهذه القضية التي هي توحيد العبادة هي التي استنكرها المشركون بقولهم : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ص: ٥ أي يريد أن نترك المعبودات ونعبد الله المعبود الحق سبحانه، وهذا الذي لأجله جردت السيوف واستبيحت الدماء وسبيت الحريم والأموال والذرية ، وهذا مدلول قول النبي ﷺ : (من قال لا إله إلا الله عصم مني دمه وماله) ، وقوله : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) .

وسنأتي على كلام العلماء وأئمة السلف وأهل اللغة في تأييد هذا المعنى وبيان أن الإله هو المعبود، وأن الألوهية التي هي العبادة لا تصلح لغير الله ولا يستحقها أحد غيره، وهذا أعظم ما خالف فيه مشركوا زماننا وفسروا الألوهية والعبادة بالربوبية والخلق والتأثير والتدبير .

المسألة الرابعة: أسماء توحيد الألوهية :

١- توحيد الألوهية والإلهية: نسبة للإله الذي يُعبَد ويُألَه، والتألُه الذي هو التعبُد .

٢- توحيد العبادة: والألوهية هي : العبودية التي أمر الله بها ولا تنبغي إلا له.

٣- توحيد العباد : لكونه متعلق بأفعال العباد المخلوقين وتعبدهم .

٤- توحيد الإرادة والقصد والنية والطلب: لأنه متعلق بإرادة العبد وتوجهه ونيته وقصده لمن ينفعه ويدفع الضر عنه فيطلبه ويقصده،وكل هذا داخل في العبادة.

٥- التوحيد الطلبي القصدي :

لأنه قائم على طلب العبد من ربه وسؤاله ما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته .

٦- توحيد العمل والفعل أو التوحيد العملي الفعلي :

لأنه متعلق بأعمال المكلف من عمل القلوب والجوارح واللسان .

٧- توحيد الشرع والأمر والنهي :

سمي بذلك لكونه متعلق بأمر الله للعباد وتشريعه لهم ما يعبدونه به .

٨- توحيد الغاية : لأنه الغاية التي من أجله خلق الخلق . ويأتي في مقابل توحيد الوسيلة وهو الربوبية لأنه وسيلة لتوحيد الألوهية الغاية .

المسألة الخامسة: ورود لفظة إله في الآيات :

قال تعالى: ﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ البقرة: ١٦٣ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ البقرة: ٢٥٥ ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٦٢ ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ ﴾ النساء: ١٧١ ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ المائدة: ٧٣ ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ المائدة: ١١٦ ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩ ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف: ٦٥ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الرعد: ٣٠ ﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ الحجر: ٩٦ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ النحل: ٥١ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ الإسراء: ٣٩ ﴿ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ﴾ الكهف: ١٤ ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ طه: ٩٧ ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ الأنبياء: ٢٩ ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ الفرقان: ٤٣ ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ الشعراء: ٢٩ ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ ص: ٥ ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ الزخرف: ٨٤ ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الطور: ٤٣ .

المسألة السادسة: الأقوال في اشتقاق اسم الإله :

الإله مشتق من فعل أَلَه بفتح اللام كفتح وضرب بمعنى عبد وهو الصحيح .

وقيل مشتق من أَلِهَ بكسر اللام على وزن فَعِلَ كتَعِبَ وفَرِحَ لَعِبَ، وهو مشترك بين عدة معاني مردها للعبادة والذل والخضوع والتعظيم والحب والتعلق .

قال ابن عادل الحنبلي في تفسيره اللباب : (أله مشترك بين عدة معاني العبادة والسكون والتحير والفزع) .

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير : (أله كتعب بمعنى تحير أو سكن أو فزع أو ولع أو مما يرجع إلى معنى هو ملزوم للخضوع والتعظيم فهو فعال بمعنى مفعول مثل كتاب أطلقته العرب على كل معبود) .

هذا وقد ذكر علماء اللغة والتفسير أقوال في أصل اشتقاق لفظ الإله منها ما هو صحيح ومنها الباطل وإليك بينها :

١- أن الإله مشتق من (وِلَاه) وأَلَه ووله إذا لجأ والتجأ واعتمد عليه وتضرع إليه، وقلبت الواو همزة فأصل أَلَه ولَه . فيقال أله الرجل إلى الرجل إذا لجأ إليه وفزع له واستجار به ولاذ به وأَلَـهَه إذا أجاره وآمنه.

قال الضحاك : (إنما سمي الله إلهاً لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم ويتضرعون إليه عند شدائدهم).

قال الخليل: (لأن الخلق يأْلَـهون إليه بفتح اللام وكسرها يأْلِـهون فالخلق يولهون إلى الله في حوائجهم ويضرعون إليه ويضرعون إليه ويستجيرون به في النوائب) .

٢- أنه مشتق من (وَلاه) من وِله أَلِه ولاه وتولها مأخوذ من الوله وهو التولع والاشتياق والحب وإذا اتجه إليه لشدة شوقه له . ومنه أله الفصيل بأمه ووله إذا أولع بأمه فالخلق مولعون بربهم ومعبودهم متوجهون إليه مشتاقون له متولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال .

٣- الإله مشتق من(أَلِـهْتُ) إلى كذا إذا سكنت إليه، فالقلوب لا تسكن إلا به ولا تطمئن إلا بذكره وبالتقرب إليه وعبادته فبعبادته يحصل السكون والإطمئنان .

٤- أنه مشتق من (لاه) يلوه ، إذا احتجب واستتر، والله لا تدركه الأبصار محتجب عن خلقه، وحجابه النور ﷻ.

٥- أنه مشتق من (لاه) يليه ، إذا ارتفع وكل شيء مرتفع فهو لاه، ومنه الشمس إذا طلعت قيل لها : لاهت ، والله ﷻ له من هذا المعنى أكبر النصيب فله العلو والارتفاع المطلق وحده وأدخلت عليه الألف واللام قاله الجوهري وصوّبه.

٦- أنه مشتق من (وله) أَلِه وهو التحير، ولَه ولْهاً بسكون اللام وفتحها ، وله أوله يوْله ولَـهاً إذا تحير و(وِلَاه) على وزن فِعَال،وقلبت الواو همزة ، والوله ذهاب العقل والتحير والله ﷻ تتحير العقول في عظمته وصفاته .

واعترض عليه بأن الأصل في الاشتقاق أن يكون لمعنى قائم بالمشتق منه والحيرة قائمة بالخلق، وأجيب أن العبادة هي الأخرى قائمة بالخلق .

٧- أنه مشتق من (أَلَهَ) آله أي قادر على الاختراع ومنه سميت الآلات بذلك لأنها قادرة على الصنع والاختراع، وجعل أصحاب هذا القول الإله بمعنى الفاعل لا المفعول وفسروا الألوهية بالقدرة والخلق والاختراع والربوبية، فالإله هو القادر

وهو الرب، وهذا قول المتكلمين من أشعرية وغيرهم وهو قول مبتدع لا تدل عليه النصوص الشرعية ولا جاءت به اللغة وهذا القول والفهم الضال هو الذي أوقع القبورية المشركة من الصوفية المشركة والرافضة الوثنية والمتكلمة من هذه الأمة في الشرك والعياذ بالله حتى جوزه وأنكروا على مستنكره .

قال ابن تيمية :(وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه المتكلمون، حيث ظنوا أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع فقد شهد بأن لا إله إلا هو، والحق أن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون) . الفتاوى ٣/ ١٠١ .

وقال:(الإله هو المألوه أي المستحق أن يؤله أي يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده، وقد غلط طائفة من أهل الكلام فظنوا أن الإله بمعنى الفاعل وجعلوا الألهية هي القدرة والربوبية والإله هو القادر وهو الرب) الفتاوى ١٣/ ٢٠٣ .

وهذه المعاني وغيرها وإن كانت صحيحة في حق الله ﷻ وبعضها داخل في عموم معنى العبادة ، إلا أنها قاصرة في معناها، وليست هي المقصودة بالألوهية، ولاهي أصل معنى الإله ، وليست هي المرادة بالنفي في كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فإن المنفي فيها هو العبادة المستحقة، فليس هناك ما يعبد بحق غير الله ﷻ، ولا معبود بحق سواه، ولا ينبغي أن يعبد ويؤله ويقصد ويرجى ويدعى ويهاب غيره سبحانه وبحمده .

ومن عبد غيره وسأل سواه والتجأ لغيره فعبادته باطلة والإله المعبود الذي عبد بهذه الصفة معبود باطل وإله ظالم وعبادته ظلم وبغي وهي في غاية البطلان .

المسألة السابعة: معنى الألوهية والعبادة عند المبتدعة:

عند المتكلمين المبتدعة أنها مشتقة من أله آله أي القادر، وفسروا الألوهية بالقدرة والخلق والاختراع والربوبية، وهذا القول والفهم الضال هو الذي أوقع القبورية المشركة من الصوفية المشركة والرافضة والمتكلمة من هذه الأمة في الشرك والعياذ بالله حتى جوّزوه وأنكروا على مستنكره .

والعبادة عند المتكلمين والصوفية القبورية المشركة لا تسمى عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود وإعطائه بعض صفات الربوبية ، كذلك لا يعتبرون الدعاء والاستغاثة من العبادة إنما العبادة فقط في السجود والصلاة .

والجهل بحقيقة توحيد الألوهية والعبادة والفهم الضال لها أعظم الأسباب التي أوقعت المشركين من هذه الأمة في الشرك، حيث لم يعلموا حقيقة التوحيد ولا ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به، فظنوا أن اتخاذ الوسائط التي تشفع عنده من الدين الذي أمر به وأحبه وقاسوا الله ﷻ بملوك الأرض المحتاجين للشفاعة . فأدى بهم جهلهم إلى الوقوع في الشرك والعياذ بالله .

فمعنى الإله عند الأشاعرة الرب الخالق المخترع :

قال القشيري في شرح أسماء الله الحسنى : (الإلهية القدرة على الاختراع، وقيل هو المستحق لأوصاف العلو والرفعة، وقيل هو من له الخلق والأمر، والكل متقارب ويرجع لمعنى واحد .

ومن الناس من قال معنى الله المعبود والمستحق للعبادة ولا يصح) .

تنبيه : ألا تعجب أيها العاقل من هذا الصنيع ، كيف غلّط ما هو صحيح، ومستقر في لغة العرب وعند سلف الأمة وعلمائها كما سقت لك ، بينما صحّح ما هو باطل وقول مبتدع مما ابتدعه أسلافه من الأشعرية والجهمية .

قال ابن تيمية : (وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه المتكلمون حيث ظنوا أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع فقد شهد بأن لا إله إلا هو فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون) الفتاوى ٣/ ١٠١ ، ١٣/ ٢٠٣ .

ومن معاني الألوهية أيضاً عندهم : افتقار كل ما عداه إليه وليس مرادهم الافتقار الاختياري التعبدي وإنما الافتقار القهري الاضطراري الداخل في الربوبية .

المسألة الثامنة: الألوهية والعبادة بمعنى واحد وهي من المترادفات :

أَلَهَ وعَبَدَ لفظان مترادفان لفعل واحد ويحملان نفس المعنى، ففعل العبادة هو نفسه فعل الألوهية اللذان هما التعبد والتأله، فالألوهية والعبادة من الألفاظ والأسماء المترادفة التي يتفق معناها ويختلف لفظها، مثل قدم وجاء وأتى .

المسألة التاسعة : الإله اسم جنس لكل ما يعبد :

ومعنى قولنا اسم جنس أي لفظ عام يطلق على كل من اتصف بصفة معينة.

وعلى ذلك فكل معبود يسمى إلهاً.

سواءً عبد بحق وعدل ، وهو الله وحده لا شريك له . أو عبد بظلم وضلال، وهذا حال كل المعبودين سوى الله، فعبادتهم تعتبر باطلة وظالمة.

قال الزمخشري في الكشاف : (الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم على المعبود بحق) .

وقد سمى الله ﷻ المعبودات آلهة وكل ما عبد إله في آيات كثيرة منها:

﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ المائدة: ١١٦ ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ طـه: ٩٧ ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ الفرقان: ٤٣ ﴿ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ الأنعام: ٧٤ ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ الشعراء: ٢٩ ﴿ مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الفرقان: ٣ ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ ص: ٥ ﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ الحجر: ٩٦ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ النحل: ٥١ ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ الطور: ٤٣ ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ ﴾ الأنبياء: ٢٩ .

المسألة العاشرة : أنواع الآلهة :

١ – الإله الحق وهو الله ﷻ فهو المعبود وحده بحق قال تعالى :﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٦٢ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ لقمان: ٣٠ ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ ﴾ النساء: ١٧١ ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ المائدة: ٧٣ .

وهذا حقيقة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله فالنفي واقع على العبادة الحقة وعلى المعبود بحق وعلى الإله المستحق للعبادة، والإثبات بهذه الصفة لا يكون إلا لله وحده المستحق للعبادة وليس نفي وجود المعبود ، فالآلهة غير الله موجودة وكثيرة ومثبته غير منفية لكن المنفي استحقاقها العبادة، إذ أن عبادتها باطلة ولا تستحق أن تعبد لذلك نفى الله أحقيتها في العبادة

واستحقاق الألوهية لها مع وجودها وثبوتها فسمى ﷻ الأصنام آلهة ﴿ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ والهوى إلهاً ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾، وأثبت لها عبادة لكن باطلة لا تستحقها ولا تجوز لها، وهذا الأصل مما يخالف فيه بعض المتكلمين .

٢- الآلهة الباطلة الظالمة وهي كل ما عبده الإنس والجن من دون الله، ومن هذه المعبودات الموجودة والآلهة الباطلة: الملائكة والأنبياء والأولياء والأموات والبشر الأحياء كالملوك والرؤساء والعلماء والجن والشمس والقمر والنجوم والكواكب والنار والحيوانات كالبقر والإبل والخيل والحيات والطير والأصنام والأوثان والأشجار كالأثل والنخل والأحجار والصور والفروج والهوى والدنيا. وقد سمى الله كل ما يعبد إلهاً كما تقدم .

فائدة : من أين جاءت تسميت الآلهة بالحق والباطل وما وجه تسميتها بذلك؟

وردت التسمية في قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لقمان: ٣٠ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الحج: ٦٢ ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٥ .

واتصفت الآلهة بالبطلان لأن عبادتها وقعت بدون حق، ومعنى (بدون حق) أي أنها لا تستحق العبادة ولا تنبغي لها، فلا يعبد إلا من يخلق وينفع ويضر وحده .

وكونها آلهة (ظالمة باطلة) لأنها ما اتصفت عبادتها بالعدل كما هو الحال في عبادة ربنا ﷻ الذي تمت كلمته صدقاً وعدلاً وقامت بتوحيده وعبادته السموات والأرض لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

الحادية عشرة: نقولات من كلام أهل العلم واللغة في كون الإله هو المعبود .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الله : ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره وغيره .

قال أبومنصور الأزهري في تهذيب اللغة : (ولا يكون إلها حتى يكون معبوداً، وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومدبراً وعليه مقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عبد ظلماً بل هو مخلوق ومتعبد) .

قال الطبري : (فالإله هو المعبود وهو الله سبحانه وهو على وزن فِعَال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب فالإله إذن على معنى ما روى عن ابن عباس هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق .. أله الله فلان إلهة أي عبدالله فلان عبادة) .

المسألة الثانية عشر: الألوهية صفة من صفات الربوبية :

الألوهية هي صفة من صفات الله ﷻ وحق من حقوقه، فاستحقاق العبادة لله هي من مفردات الربوبية وخصائصها ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ لقمان: ١١ ﴿ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ فاطر: ٤٠ ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الفرقان: ٣.

والألوهية متضمنةٌ للربوبية ، مستلزمة لها والعكس، وقد تقدم تقرير ذلك .

والقاعدة تقول :

المعبود لابد أن يكون رباً خالقاً مالكاً نافعا ، والرب الخالق لابد أن يعبد .

المسألة الثالثة عشر: خصائص الإلهية :

١- التفرد بملك النفع والضر والمنع والعطاء ومن تعلق به ذلك وجَبَ أن تكون العبادة له وحده .

٢- الكمال المطلق من جميع الوجوه بلا نقص في قدرته وغناه وعلمه وقيامه على كل شيء، وجماله الكريم وإنعامه على خلقه ورحمته بهم ومحبته لأوليائه .

وهذا يستوجب أمرين :

الأول : أن الكامل يستحق أن يعبد وتجب له العبادة.

الثاني : أن المعبود لابد أن يكون كاملاً وإلا فعبادته باطلة لا فائدة منها بل فيها الضرر كما أخبر تعالى في سورة الحج في قوله: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾

وهذا حق دل عليه العقل والشرع أن من يُدعى ويُطلَب ويُسأل لا بد أن تكون له القدرة الكاملة على إجابة من دعاه ورجاه ويملك نفعه ودفع الضر عنه وإلا كانت دعوته وعبادته خسارة .

فالنتيجة أنه لا كامل غير الله ﷻ وبالتالي فلا يستحق العبادة أحد سواه . وقد قرر سبحانه في كتابه هذا الأصل وأفحم به أهل الشرك في آيات كثيرة،فلا يستوي الكامل والضعيف ومن يخلق ومن لا يخلق ومن يملك النفع والضر ومن لا يستطيع أن ينفع نفسه ومن لا يسمع .

٣- العبودية التي تقوم على الحب والذل والتعظيم يجب أن لا تكون إلا لله وحده، ومن أعطاها لغير الله فقد أشرك بالله سبحانه في خالص حقه، وتنقص الرب حين شبه الكامل وحده بالضعيف الناقص، وقبح هذا مستقر في العقول والفطر .

٤- ومن أخص خصائص إلهية الله تعالى التي تفرد الله سبحانه وتعالى بها:

خاصية التشريع والحكم والتحليل والتحريم والأمر والنهي وسن الدين ووضع الشرائع، وأن الحكم لله تعالى وحده، فله الخلق والأمر. وهو المطاع لذاته، وما سواه فلا يُطاع إلا لله . فكما أنه لا خالق إلا الله فيجب ألا يكون هناك آمراً غيره.

٥- ومن خصائصه ﷻ أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل وما سواه فإنه يُسأل.

وأنه يحكم ما يريد من غير أن يعقب عليه أحد أو يقدم بين يديه بقول أو فهم أو اعتراض، فله تعالى الأمر، وعلى رسولنا البلاغ، وعلينا الرضا والتسليم. فلا راد لحكمه ولا معقب لأمره ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ .

٦- ومن خصائصه تعالى أنه المحبوب لذاته وما سواه فيحب له.

لذلك كله استحق ربنا سبحانه التوحيد في الألوهية وأن يفرد بالعبادة وحده دونما سواه .

المسألة الرابعة عشر : الألوهية صفة للرب وللعبد :

أولاً : الألوهية المتعلقة بالرب :

وهي صفة مشتقة من الإله وذلك بكون الله ﷻ مستحق للعبادة فهو المعبود حقاً وهو الذي يعبده كل مخلوق فهو الصمد لهم ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ الإخلاص: ٢ ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الرحمن: ٢٩.

ثانياً : ألوهية العبد :

تتعلق الألوهية التي هي العبودية بالعبد من حيث كونه عابدا، فلا بد للمخلوق من ألوهية وعبودية لغيره فهي صفة من صفاته التي لا تنفك عنه وفعلاً من أفعاله إذا قام بها وتأله وتعبد، والمخلوق فطر على العبودية لله، وهذا مقتضى الفطرة والأصل، أو يعبد غيره ويعدل عن عبادة ربه ويشرك وهذا الظلم العظيم الذي لا يغفره الله .

فلا بد للمخلوق من عبادة إما لله وإما لغيره وهل سمي جميع الخلق عبيد الله إلا لذلك، وهذا إبليس أول من ترك عبادة الله والانقياد لأمره فعبد غيره وأطاع هواه وشهوته وصيره الله خادما لفسقة بني عدوه آدم.

وتكلمنا عن حاجة العبد للعبادة في مسألة مستقلة .

المسألة الخامسة عشر : ما لا يدخل في الشرك ويجوز إثباته للمخلوق :

ما كان من فعل العبد وداخل تحت قدرته وصفته فإنه يثبت للعبد، وليس نسبته له بشرك، لأنه ليس مما يختص به الله ﷻ .

فالمخلوق يدعى ويرجى فيما يقدر عليه ويستعان به ويستعاذ به ويستغاث به فيما هو داخل تحت مقدوره، وكذلك الخوف الطبيعي من المخلوق كالخوف من السلطان الجائر والسبع وإن كان ترك طلب المخلوق مطلقا وخوفه أولى وأكمل، وكذلك شكر المخلوق ومدحه وتعظيم من يستحق التوقير . كل ذلك من التصرف الجائز وليس من الشرك.

تنبيه : الأشاعرة تقول :

أن إثبات أي تأثيرٍ للأسباب أو حقيقة لفعل العبد وقدرته يعتبر شركاً في الربوبية، وهذا القول سببه مذهبهم الفاسد في القدر وقولهم فيه بالجبر .

ثم هم يتناقضون ويثبتون للأولياء بعد موتهم القدرة ويجوزون دعاءهم من دون الله ولا يجعلون ذلك شركاً ، وهو الشرك الأكبر بعينه، وهذا من تناقضاتهم .

المسألة السادسة عشر : توحيد الألوهية هو حقيقة لا إله إلا الله :

كلمة التوحيد لا إله إلا الله هي نفس قولنا توحيد الألوهية فهما كلمتان مترادفتان . قال ابن تيمية عن لا إله إلا الله أنها: عنوان التوحيد .

وكما أن لا إله إلا الله تدل على إفراد العبادة لله بالمطابقة وعلى توحيد الربوبية والأسماء والصفات باللزوم كذلك توحيد الألوهية يدل على توحيد الربوبية والصفات باللزوم، والمسائل المتعلقة بلا إله إلا الله من حيث شروطها وأركانها ونواقضها وفضائلها هي نفسها مرتبطة ومتعلقة بتوحيد الألوهية وتنسحب عليها .

المسألة السابعة عشر : أركان توحيد الألوهية :

التوحيد يقوم على ركنين النفي والإثبات :

الركن الأول : النفي : (لا إله) :

نفي ألوهية كل ما يعبد من الخلق وبطلان استحقاق العبادة للآله جميعاً والتبرؤ من عبادتها وعابديها وإهدار دماء المشركين بها ومعاداتهم والبراءة منهم وخلع الأنداد المعبودة والمطاعة والمتبوعة والمتحاكم إليها من الأحياء والجمادات وهذا النفي والكفر بالمعبودات الباطلة والآلهة المنفية ركن لا يتم الإسلام إلا به .

الركن الثاني : الإثبات (إلا الله)

إثبات الألوهية والعبادة لله وحده والإقرار بأنه وحده هو المستحق للألوهية والعبودية فهي خالص حقه وأخص أوصافه .

وقد جمع الخليل عليه السلام بين هذين الركنين في قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٧٥، ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤ .

وهذا النفي والإثبات هما مدلول كلمة التوحيد لا إله إلا الله ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

المسألة الثامنة عشر : لا تصح الألوهية وعبادة الله إلا بالتوحيد :

وهذه القاعدة من أعظم ما بعثت به الرسل فإن عبادة الله لا تنفع إذا لم تكن لله وحده واجتنب العابد الشرك وتبرأ منه وكفر بكل معبود سواه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ قال إلا ليوحدون .

وقال : ما جاء الأمر بالعبادة إلا وأريد بها التوحيد .

فمن عبَدَ الله وعبَد غيره لم تنفعه عبادة الله ولم تقبل وحبط عمله قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الزمر: ٦٥ ، ولهذا لما قال مشركوا قريش للنبي ﷺ نعبد الله وحده سنة وتعبد آلهتنا سنة أمره الله أن يقول لهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ فدلت السورة على أن الألوهية والعبادة لا يلتفت الله إليها ولا يقبلها بل ولا يسميها عبادة إلا إذا كانت مقترنة بالتوحيد له ولم يقارنها شرك وعبادة لغيره وهذا مصداق لقول إلهنا الحق : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من أشرك معي غيري تركته وشركه).

قال ﷻ في تقرير هذا الأصل: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل: ٦٣ ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الطور: ٤٣ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩.

المسألة التاسعة عشر: حقيقة الألوهية .

الألوهية هي كل عبادة أمر الله بها ويثيب فاعلها .

والإله هو من يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخوف والرجاء والتوكل وهو الذي يطاع ولا يعصي هيبة له وإجلالاً .

فالألوهية هي العبادة بعينها .

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . فمن ذلك الحب والخوف والرجاء والتوكل والدعاء والسجود.

ومن صرف شيء منها لغير الله فهو كافر مشرك يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ولا تقبل منه عباداته وطاعاته وصلاته، ويخلد في جهنم إن بلغته الحجة.

وسنأتي على مسائل العبادة شروطها وأقسامها .

قاعدة : تحقيق توحيد الألوهية يحصل بأمرين :

عبادة الله وحده بما شرع لنا رسوله .

البراءة من عبادة غيره والكفر بالطاغوت .

ولا يكفي أحدهما عن الآخر ، ومن تركهما أو أحدهما فهو كافر .

المسألة العشرون: أركان الألوهية :

تتكون الألوهية من أربعة أركان تقوم عليها ولا تتم وتصح إلا بها.

الركن الأول : قول القلب وذلك بمعرفة الله ﷻ وتصديقه .

الركن الثاني : عمل القلب وذلك يتحقق بـالإقرار بوحدانيـة الله ﷻ وإفـراده بجميع أنواع العبادة ومحبته ورجائه والخوف منـه ومهابتـه وخـشيته والتوكـل عليـه والذل والخضوع له وتعظيمه والرضا به واللجوء إليه .

الركن الثالث : قول اللسان ويكون بالنطق بالتوحيد (الشهادتين) وذكـره ﷻ وبالثناء عليه وحمده وشكره ودعائه والاستعانة به وسؤاله وطلبه وحده لاشريك له.

الركن الرابع : عمل الجوارح، ويتحقق بالقيام له ﷻ والـصلاة لـه والـسجود والركوع والذبح له .

فتوحيد الألوهية منه الاعتقادي ومنه القولي ومنه العملي الفعلي .

المسألة الحادية والعشرون : قيام الألوهية على ثلاثة أصول :

١- تعظيم الله ﷻ وإجلاله .

٢- غاية الذل لله ﷻ والخضوع له ومهابته والانكسار له واللجوء إليه .

٣- غاية المحبة لله ﷻ.

المسألة الثانية والعشرون : أعمال الألوهية :

١- الخوف : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥.

الخشية الرهبة الوجل الهيبة الإشفاق الحذر، والتقوى والعفة وترك الحرام .

وقال تعالى : ﴿ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب: ٣٩ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٧ ﴿ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ النساء: ٧٧ ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ التوبة: ١١٩.

٢- الخضوع والخشوع والإخبات والطمأنينة والسكينة :

﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ هود: ٢٣ ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ٢٨ ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨ . ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٦ ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزمل: ٨.

٣- الرجاء والرغبة والطمع في رحمة الله.

﴿ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ الأحزاب: ٢١ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦ .

٤- المحبة والولاء: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

٥- التوكل ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٢٣.

٦- الإخلاص: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ البقرة: ١٣٩ ﴿ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦.

٧- الرضا: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ البينة: ٨.

٨- التعظيم والإجلال والأدب مع الله ﷻ :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٣٠ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الأنعام: ٩١.

٩- التوبة والإنابة والإوابة والإواهة والاستقامة: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ النور: ٣١﴿ وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الزمر: ١٧﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ هود: ٧٥﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ ﴾ الروم: ٣١﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ ق: ٣٢﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ هود: ١١٢.

١٠- الشكر والمدح والحمد والثناء والذكر والتسبيح والاستغفار: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى ﴾ البقرة: ١٥٢﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ طه: ١٣٠﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ نوح: ١٠.

١١- الصبر: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٤٦.

١٢- اليقين: ﴿ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤.

١٣- القيام والركوع والانحناء والسجود والصلاة والزكاة.

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ لقمان: ٤﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨.

١٤- النذر والوفاء به ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ الإنسان: ٧﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ الحج: ٢٩.

١٥- الصيام: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣.

١٦- الطواف والحلق والإحرام والحج والاعتكاف.

﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾.

١٤- الذبح ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢.

١٥- الصدقة ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الرعد: ٢٢.

١٦- التصديق: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ القيامة: ٣١.

١٧- الصدق: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ الأحزاب: ٨﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

١٨- الإسلام والإيمان:

﴿ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الزمر: ٥٤ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩.

١٩-الطاعة والاستجابة والمسارعة والتنافس في الخير : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ آل عمران: ١٣٢ ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٦١.

٢٠- التبرك بما شرعه الله : ﴿ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ فصلت: ٤٤ .

٢١- الاهتداء وطلب الهداية ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ محمد: ١٧.

٢٢- الدعاء والاستعانة والاستعاذة والتوسل والالتجاء .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ القصص: ٨٨ ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ الأعراف: ١٢٨ ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ النحل: ٩٨ ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣.

٢٣- الحكم والتحاكم والطاعة: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾.

٢٤- الجهاد والهجرة والأمر بالمعروف والدعوة: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٧٨ ﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ الأنفال: ٧٥ ﴿ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الحج: ٤١ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ النحل: ١٢٥ ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ العصر: ٣.

٢٥- الإحسان والعدل وصلة الرحم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ النحل: ٩٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ الرعد: ٢١.

فهذه العبادات وغيرها هي أعمال الألوهية التي أن يوحد الله بها ولا تصرف لغيره ، وكل فعل أو قول أو اعتقاد يؤديه العبد ويتعبد الله به ويتقرب به إليه مما أمر به ورضيه وأحبه يدخل فيه التوحيد والشرك ويعتبر من أفراد توحيد الألوهية .

وقد بينّا المسائل المتعلقة بهذه العبادات في كتاب الشرك وشرح النواقض وشرح كتاب التوحيد .

المسألة الثالثة والعشرون : أفعال الألوهية تقوم على خمسة أصول جامعة :

الأول : النسك والمقصود به الدعاء والصلاة والذبح والصدقة والحج .

الثاني : الإجلال والتعظيم بعبادات القلب بالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والقبول واليقين .

الثالث : الحكم بما أنزل الله والتحاكم لشرعه وطاعة أمره وإتباع شرعه والانقياد والإذعان له .

الرابع : الولاية بموالاة الله ورسوله ودينه وكتابه وأوليائه المؤمنين ومعاداة أعدائه من المشركين ومعبوداتهم وعباداتهم .

الخامس : الإخلاص والصدق في عبادة ربه .

فكل ألوهية وعبودية فهي ترجع لأحد الأصول السابقة ولا تخرج عنها .

المسألة الرابعة والعشرون: دخول الولاء والبراء في الألوهية :

لا يتم توحيد الألوهية إلا بالولاء لأهلها ومعادة الكافرين بها المشركين كما دلت آية إبراهيم عليه السلام في سورة الممتحنة : ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ ، والولاء والبراء يدخل في الألوهية بجميع الدلالات المطابقة والتضمن والتلازم وبسطنا الكلام عن هذا الموضوع وبينا العلاقة بينهما في كتاب قواعد الولاء والبراء.

المسألة الخامسة والعشرون: دخول الحكم في توحيد الألوهية:

يدخل الحكم بما أنزل الله وامتثال أمره والعمل بشرعه في التوحيد، لأن الحكم والأمر وتشريع الدين وسن الشرائع من أخص صفات الله وتفرد بذلك وحده، ومن ينازعه في هذه الصفة فهو كافر مشرك.

والحكم بما أنزل والتحاكم إلى أمره وشرعه وحكمه عبادة يحبها الله وأمر بها، فيجب أن يوحده العبد فيها فيتحاكم إلى الله ﷻ ولا يتحاكم إلى الطاغوت.

ومن الأدلة على ذلك: أنه أخبر ﷻ أن الحكم له وحده لا يشترك معه أحد فيه ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٦، بل وأخبر الله ﷻ أن من عمل بحكم غيره فقد عبده وصيره إلهاً ورباً له ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ آل عمران٦٤ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٣١، فأنكر على من اتخذ له ربا يطيعه فيما يشرع له الدين ويحلل له ويحرم ويحكم.

كما سمى الله تعالى الحكم عبادة وأن الحكم لله وحده ولا يشاركه أحد فيه وكفّر المتحاكم إلى غيره: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ يوسف: ٤٠.

كذلك الطاعة للمشرع والتحاكم للحاكم بغير ما أنزل هو شرك في الألوهية المتعلقة بأفعال العباد ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ النساء: ٦٠ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١.

كما نفى الله ﷻ الإيمان عمن لم يحكم بشرعه وحكم بكفره: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

المسألة السادسة والعشرون: لا يقوم توحيد الألوهية إلا بالكفر بالطاغوت :

ووجه ذلك أن توحيد الألوهية له ركنان :

الأول : عبادة الله .

الثاني : الكفر بالطاغوت والبراءة منه .

الطاغوت كل ما عبد من دون الله وهو راض وكل متبوع أو مطاع أو متحاكم إليه من دون الله ، قال تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ البقرة: ٢٥٦ ، وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وعبادته لأن عبادة الله لا تقبل ولا ينظر إليها إذا لم تكن له وحده وليس لله فيها شريك، وقارنها الكفر بكل معبود سواه ﷻ .

السابعة والعشرون: لا يستقيم توحيد الألوهية إلا بإثبات الصفات لله ﷻ :

من اختل توحيده في الصفات وأخل بنسبة الكمال لله وقع في الشرك في الألوهية لزاماً ، ولا يتم توحيد الألوهية إلا بتوحيد الأسماء والصفات وإثباتها لله على الحقيقة كما جاء في النصوص وعدم تعطيلها . ومن وقع في شرك الأسماء والصفات لا بد له من حصول الخلل في الألوهية، وهذه القاعدة منضبطة لا تنخرم.

المسألة الثامنة والعشرون: قيام الإسلام على توحيد الألوهية :

ويتحقق الإسلام بعبادة الله وحده بما شرع لنا رسوله . والبراءة من عبادة غيره والكفر بالطاغوت . ومن تأمل العروة الوثقى التي دعا الله إليها في كتابه علم ذلك .

المسألة التاسعة والعشرون : أهمية توحيد الألوهية :

هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق ولأجلها أرسلت الرسل وقامت السموات والأرض ويدل لهذا الأصل العظيم قوله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ . فلأجل توحيد الألوهية خلق الله الإنس والجن والملائكة، ولأجله بعثت الرسل وأنزلت الكتب، وهو دعوة جميع الرسل قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦.

ولأجل التوحيد شرع الجهاد وجردت السيوف وأريقت الدماء وقام الرسل بذلك ولا يعتبر المرء مسلما إلا به ولا يدخل الجنة إلا بتحقيقه .

وبالتوحيد قامت السموات والأرض فهو العدل وما يخالفه هو الظلم قال سبحانه ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ الأنعام: ١١٥ . وبلا إله إلا الله التي هي التوحيد قام الخلق وكل شيء .

وقد دل على توحيد الألوهية الفطرة والعقل قبل نزول الشرع، وقد وهم وأخط من ظن أن الفطرة دالة على توحيد الربوبية فقط دون الألوهية .

وصلاح البشر بل جميع الخلق بتوحيد الألوهية فلا غنى لهم عنه فكما أن الناس محتاجون لربوبية الله فهم أشد حاجة إلى عبادته وألوهيته .

قال ابن تيمية : (التوحيد جماع كل خير والشرك جماع كل شر) .

ولا يمكن أن يجتمع شمل الأمة إلا بالتوحيد والجهاد عليه .

ولتوحيد الألوهية منزلة عظيمة وثمرات جليلة وفوائد كثيرة هي نفسها فوائد كلمة التوحيد لا إله إلا الله .

المسألة الثلاثون : حاجة الناس إلى توحيد الألوهية :

كما أن العباد في حاجة إلى ربوبية الله فهم في حاجة إلى ألوهيته وعبوديته والتعلق به ، وبما أن الله الخالق الغني الرحيم الناصر والخلق في حاجة لأفعاله وصفاته من نصرته ورحمته ورزقه وكرمه ، فكذلك هم في حاجة لصفة ألوهيته فهو الإله المعبود والخلق في حاجة لعبادته والتأله له.

ومن لم يفهم هذا الأصل لم يفهم إياك نعبد وإياك نستعين فالأولى نعبد مردها للألوهية ونستعين مردها للربوبية، فنحن في حاجة إلى ربوبية الله وإلى ألوهيته .

فالخلق مضطرون مفتقرون إلى اللجوء إلى ربوبية خالقهم وعبادة إلههم .

المسألة الحادية والثلاثون : توحيد الألوهية أول واجب والعاصم للدم :

توحيد الألوهية أول واجب على العبد وآخر واجب لا يدخل أحد الإسلام إلا به ولا يدخل الجنة وينجو من النار إلا بتحقيقه وهو الذي يعصم الدم أو يهدره.

ومما يدل لذلك :أن جميع الرسل دعت إليه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا ﴾ الأنبياء: ٢٥﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ هود: ٥٠

أنه الغاية التي من أجلها خلق الخلق : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

أن الرسول ﷺ كان أول ما يدعو الكفار إليه. قال ﷺ :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم) . وقال ﷺ : (من كان آخر كلام من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة) .

وأجمع العلماء على أن أول ما يدعى إليه الكافر التوحيد وبه يدخل في الدين.

المسألة الثانية والثلاثون: توحيد الألوهية أصل وكمال .

ينقسم تحقيق توحيد الألوهية إلى تحقيق أصله وتحقيق كماله .

أهل الكمال هم أهل الإيمان الكامل الذين قطعوا الطمع فيما عند الخلق ولجئوا إلى الله وحده، وعلموا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وتوكلوا على الله وحده، وأحبوه من كل قلوبهم، وأطاعوه وامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه وتسابقوا إلى مرضاته .

أهل الأصل وهم الموحدون الذين نقص الإيمان عندهم فوقعوا في التقصير في محبة الله والخوف منه ورجائه وعبادته وطاعته، ووقع في قلوبهم من محبة الخلق والخوف منهم واللجوء إليهم والذل لهم وتعظيمهم لأجل حض الدنيا ومصالحها وحصل لهم ذلك مما أدى إلى مزاحمة التوحيد في قلوبهم فنقص إلا أنه لم يزول أصله ولم يذهب بالكلية .

المسألة الثالثة والثلاثون: قوادح توحيد الألوهية :

١- الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر. ومنه التمثيل والتعطيل والظاهر والخفي.

٢- المعاصي والفسق .

٣- البدع .

٤- الكفر بترك ألوهية الله والأعراض عن عبادته .

المسألة الرابعة والثلاثون : نوع الكفر في الألوهية :

١- إنكار ألوهية الله ﷻ كما هو مذهب بعض غلاة الصوفية والباطنية ممن يقول الرب ليس في حاجة لأن يعبد .

٢- من يترك ألوهية الله ولا يعبده من أرباب الوحدة والحلول ويقولون العبادة في التوحيد مع الله والتفكر فيه .

٣- من يثبت الألوهية لغير الله وهؤلاء هم المشركون في عبادة الله فيعبدون معه آلهة أخرى .

٤- من يعبد الله ويتأله له بما لم يشرعه ولم يأمر به ولم يأذن به وهؤلاء أصحاب البدع والتشريع والتحليل والتعبيد والرهبانية المبتدعة .

٥- من يعرض عن عبادة الله ويتولى عن طاعته فلا يذعن ولا ينقاد مع إقراره واعترافه بوجوب عبادته فلا يعمل لله ولا يلتزم بشرعه ولا يطيعه مع قوله لكلمة التوحيد واعترافه بها وهذا كافر عند أهل السنة مؤمن عند المرجئة .

المسألة الخامسة والثلاثون : الشرك في الألوهية أكبر وأصغر :

فالشرك الأكبر وهو المخلد لصاحبه في النار : مثل السجود للمخلوق والذبح له ودعاء الأموات وسؤالهم والخوف من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله .

والشرك الأصغر : مثل الحلف بغير الله ، وقول لولا الله وفلان ونحوه .

والكلام عن الشرك في الألوهية بسطته في موضعه .

المسألة السادسة والثلاثون : أكثر المشركين وقع شركهم في توحيد الألوهية .

معظم المشركين الذين أرسلت لهم الرسل كان دينهم الشرك في الألوهية باتخاذ الوسائط والشفعاء التي يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده وهذه حقيقة الألوهية التي يفعلونها والآلهة التي سماها الله ﷻ آلهة ليست لهؤلاء المشركين إلا مجرد شافعة يدعونها ويطلبون منها أن تقربهم إلى الله وتشفع لهم وتستغفر لهم وتستنصر لهم وتطلب الرزق لهم، لا أنهم اعتقدوا أنها تخلق وترزق وتملك وتنفع وتضر بذاتها فقد كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قدمنا عنهم ، وأن حقيقة شركهم كان في طلب الشفاعة من الأولياء : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨، وهذه الوسائط والشفعاء كانت في الغالب من الأولياء ، فاتخذ عيسى وأمه إلهين ، وود وسواع ويغوث كانوا رجالاً صالحين، واللات رجل صالح ، واتخذهم المشركون شفعاء لهم عند الله .

بل كان المشركون معترفين بألوهية الله وكانوا يعبدونه ويدعونه ويصلون له ويحجون لكن النزاع كان معهم في إفراده ﷻ بالألوهية وأن يوحدوه في العبادة ويعبدونه وحده كما قال ﷻ عنهم ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ الأعراف: ٧٠ فهذه الآية أثبتت أنهم كانوا يعبدون الله ﷻ لكن لم يكونوا يريدون أن يعبده الله وحده وإنما يعبدونه ويعبدون معه آلهة أخرى بل فوق هذا كانوا يخلصون له العبادة والدعاء وقت الشدة ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥ ومع ذلك لم تنفعهم هذه العقيدة ولا أدخلهم الله بها في الإسلام .

وفي هذا رد على المتكلمين والصوفية القبورية الذين ظنوا أن الاعتراف بتوحيد الربوبية يدخل في الإسلام وأن الشرك هو فيه فقط .

المسألة السابعة والثلاثون : أعظم جناية حصلت من المتكلمين :

ما غيروه من تفسيرٍ للتوحيد وتغييرٍ لحقيقة الشرك وتجويزهم له وتفسيرهم الإله بالخالق ، وأعظم فساد وقع فيه الخلق كان في عبادة غير الله.

المسألة الثامنة والثلاثون : توحيد الألوهية عند المخالفين :

الألوهية عند الفلاسفة والباطنية اعتقاد وجود الله وأنه عين الموجودات .

وعند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والرافضة والإباضية :

الألوهية هي الربوبية والخلق والقدرة على الاختراع .

المسألة التاسعة والثلاثون: الجهل بحقيقة توحيد الألوهية والفهم الضال لها :

أعظم الأسباب التي أوقعت المشركين في الشرك الجهل بحقيقة التوحيد ولا بما يحبه الله ﷻ ويرضاه ويأمر به، فظنوا أن اتخاذ الوسائط لتشفع لهم عنده من الدين الذي أمر به وأحبه وقاسوا الله تعالى بملوك الأرض المحتاجين للشفاعة، ولأجل ذلك حارب المشركون الرسل، كما حارب أفراخهم من مشركي زماننا من الروافض والصوفية والقبورية أئمة التوحيد ولمزوهم بأبشع الصفات وردوا عليهم التوحيد ورضوا بالشرك وسعوا في نشره والدعوة إليه وتثبيت أطنابه وتأسيس قواعده في الأرض .

المسألة الأربعون والثلاثون: تارك العبادة والألوهية كافر :

العبادة منها ما تركه كفر كالصلاة والتوحيد ، ومنها ما تركه محرم كالفروض والواجبات والأركان ، ومنها ما تركه لا يعاقب عليه كالمستحبات .

ومن ترك العبادة بالكلية فهو كافر كفر استكبار ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠.

وداخرين أي صاغرين، والجزاء من جنس العمل، فهم لما أبوا واستكبروا ولم ينقادوا لله ولم يخضعوا لله ويذلوا له، عاقبهم بالإذلال والصغار .

قاعدة : تارك العبادة يدخل في عموم الشرك وقد جعل الله تعالى تارك العبادة مشركاً كما قال تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ فصلت: ٧ .

وتارك العبادة وقع في ناقض الإعراض عن الدين، وافتقد شرط الانقياد .

وقد بينت أوجه الشرك في الإعراض والامتناع في كتاب الانقياد وشرح النواقض.

المسألة الحادية والأربعون : شبهات المتكلمين في تفسير الألوهية :

الأولى : زعم بعض المتكلمين ومنهم الرازي :

أن الله إله من الأزل ولم يكن معبود إلا بعد الخلق مما يدل على أن معنى الإله هو الخالق وليس المعبود . والجواب :

أن قولهم منشأه خلافهم في صفات الأفعال وعدم حدوثها وتجددها وأنه ﷻ ما زال يفعل، وهذه مسألة التسلسل وأزلية أفعال الرب التي يخالف فيها المتكلمون .

ثم إن هذا المعنى يوجد في الخلق فالله تسمى بالخالق قبل أن يخلقهم ، فيلزمهم ما فروا منه في نفي هذا الاسم والصفة عنه .

الشبهة الثانية: أن العبادة وجبت بأمره فلو لم يأمر بها لم يكن معبودا .

وهذا القول وقع منهم بسبب جهلهم بحقيقة العبادة، فإن العبادة هي الذل والخضوع،وكل مخلوق مفطور على الذل والخضوع بالشرع أو بالقهر طوعا أو كرها.

وهناك شبهات كثيرة للقبورية والصوفية والمتكلمة والمرجئة كشفنا زيفها وأوضحنا عورها في كتابنا كشف الشبهات، يسر الله إخراجه.

المسألة الثانية والأربعون : جوانب تتعلق بتوحيد الألوهية :

الشهادتين . العبادة . الشرك . الإخلاص . الكفر بالطاغوت . الإسلام .

تنبيه : ستأتي مسائل متعلقة بتوحيد الألوهية عند الكلام في باب العبادة .

مبحث : العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية

المسألة الأولى: الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

١- أن الربوبية متعلقة بأفعال الرب ﷻ كالخلق والإحياء فهي فعله وصفته .

والألوهية متعلقة بأفعال المخلوق كالخوف والسجود فهي فعل العبد وصفته.

٢- أن توحيد الألوهية متضمن للربوبية .

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية وليس متضمناً له.

٣- أن توحيد الربوبية متعلق بالاعتقاد والقول .

وتوحيد الألوهية متعلق بالعمل عمل القلب والجوارح مع الاعتقاد.

٤- أن الربوبية توحيدها معرفة وإثبات .

والألوهية توحيدها إرادة وطلب وقصد .

٥- أن الربوبية متعلقة بالأمور الكونية القدرية كالخلق والتدبير .

والألوهية متعلقة بالشرع والأمر والنهي والمحبة والرضا .

٦- أن الربوبية مشتقة من اسم الرب وهو السيد المربي المتصرف .

والألوهية مشتقة من اسم الإله وهو المعبود .

٧- أن الربوبية متضمنة الإيمان بأن الله رب كل شيء وخالقه المتصرف فيه .

وتوحيد الألوهية متضمن الإيمان بعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما سواه .

٨- أن توحيد الربوبية أقر به المشركون غالباً .

وأما توحيد الألوهية فوقعوا في الشرك فيه وأنكروا توحيد الله به .

٩- أن الربوبية دليل على الألوهية والألوهية مدلول للربوبية .

١٠- أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به فقط في الإسلام .

بعكس توحيد الألوهية فإن الإيمان به يدخل الإسلام .

١١- أن الألوهية والربوبية من الألفاظ التي إذا اجتمعت في اللفظ افترقت في المعنى وإذا افترقت اجتمعت .

المسألة الثانية : الرد على من زعم أن الألوهية والربوبية متحدة المعنى :

١- أن لفظ الإله غير لفظ الرب، حيث يختلفان في اللفظ والمعنى بإجماع أهل اللغة وأهل التفسير والشرع.

٢- أن الله جمع بين الاسمين (الرب والإله) في كتابه في سورة الفلق وآية مريم وغيرها وعطف بينهما والعطف يقتضي المغايرة .

٣- لو صحت دعواهم أن الألوهية والربوبية معناهما واحد، لكان من قال لا رب إلا الله داخلا بذلك في الإسلام ومعلوم أنه لا يدخل الإسلام إلا بلا إله إلا الله.

٤- أن كفار الأمم التي بعثت فيها الرسل كانوا يعلمون أن الرب الخالق هو الله وحده بل ويستحق أن يعبد لكن نازعوا في توحيده بالعبادة، فقالت عاد:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ ﴾الأعراف ٧٠ وقالت ثمود ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ النمل: ٤٩وقال قوم نوح ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾ المؤمنون: ٢٤ وقال ﷻ عن مشركي العرب ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ ﴾ ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ ولم يدخلوا مع ذلك في الإسلام ولم تحقن دماؤهم ولم تسلم أموالهم وحريمهم من السبي، وإنما كان كفرهم وشركهم في طلب الشفاعة من الآلهة وإرادتهم أن تقربهم إلى الله زلفى .

المسألة الثالثة : العلاقة بين الألوهية والربوبية :

أن الألوهية من أفراد الربوبية، لأن الربوبية من أفرادها ومعانيها أن الرب مستحق للعبادة والألوهية، فكما أن من أفراد الربوبية كونه تعالى خالقاً رازقاً مدبراً، كذلك من معانيها وأفرادها أنه مستحق للعبادة وحده، فلو تأملنا الألوهية واستحقاق الرب لها لوجدناها صفة لازمة له داخلة في عموم ربوبيته وصفاته.

كما أن من العلاقة بينهما :

أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية .

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فبينهما ارتباط وتداخل .

ومعنى متضمن : أي شامل للغير داخل غيره فيه، فالإيمان بتوحيد الألوهية يدخل فيه الإيمان بتوحيد الربوبية .

ووجه كون الألوهية متضمنة للربوبية :

أن عبادة الله هي ثمرة وفرع الإقرار بالربوبيته، لأن الإقرار بالألوهية لله وحده شامل للربوبية داخلاً فيه ضمناً، فمن عبدالله وحده ولم يشرك مع الله أحد في ألوهيته وعبادته كان هذا الموحد معترفا بربوبية الله ﷻ مقر بتوحيده فيها، فلم يعبد الله إلا وهو يعلم أنه ربه وخالقه والنافع الضار المدبر ، ولا يتصور وجود من يعبد الله وينكر ربوبيته أو يعبد معدوماً لا يعرفه.

ومعنى اللزوم والاستلزام : أن من اعترف وأقر بأن الله وحده هو الرب الخالق النافع الضار المدبر ووحّده في ربوبيته لزمه ذلك أن لا يعبد غيره، إذ كيف

يعبد من لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ويترك عبادة صاحب الربوبية الحق المتوحد بها .

هذا هو الاستلزام وهو من أدلة إثبات الألوهية لله ، وفيه إلزام المشركين به .

وهذا علة كون الإيمان بتوحيد الربوبية مستلزم للإيمان بتوحيد الألوهية، فإن الحاجة والافتقار للخالق الرازق المنعم يبعث على الرغبة فيما عند الله والخضوع والتذلل له .

قال ابن القيم : (الإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأله ، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية) . إغاثة اللهفان ٢/ ٥٥٦.

وقال ابن القيم: (فيثبت قدم العبد في الربوبية ثم يرقى صاعداً للألوهية .

فإنه إذا تيقن أن الضر والنفع والعطاء والمنع بيد الله لا بيد غيره، وحّد الله في خوفه ورجائه، فهذا علامة توحيد الألوهية في هذا القلب، والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية أي أن باب توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية.

فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية كما يدعو سبحانه عباده بهذا النوع من التوحيد للآخر ويحتج عليهم به ويقررهم ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية). من مدارج السالكين .

على ذلك فمن آمن بالربوبية الحقة لله ﷻ وأعطاها حقها من التوحيد فلن يقع في الشرك في الألوهية. ومن أشرك في الألوهية والعبادة لزم ذلك عدم إيمانه الكامل الصحيح بتوحيد الربوبية .

ومن أقر بالربوبية مع عدم الإتيان بلوازمها فإنه لا يصدق عليه أنه أتى بتوحيد الربوبية الحق الكامل التام وإن كان مقراً بأصلها ومؤمناً بالتوحيد فيها في الجملة، ومثله من يحلف بغير الله ويرائي فيقال أشرك ولم يستكمل التوحيد وإن كان معه أصل التوحيد ويعتبر موحداً في الجملة .

كذلك التوحيد العلمي متضمن للتوحيد العملي، فإذا علم العبد أن لربه وحده الخلق والأمر وأن بيده وحده الملك للنفع والضر لا شريك له في ذلك، استلزم هذا أن يعمل بطاعته وعبادته .

فالألوهية والربوبية حقيقتان متصاحبتان مثلهما مثل الإسلام والإيمان في تعبير كل لفظ منهما عن الآخر وفي استلزام كل منهما الآخر وفي عدم قبول أحدهما إلا بحصول صاحبه.

فكما أن الإسلام لا يعتبر به إلا إذا قارنه وجود أصل الإيمان وكذا الإيمان لايقبل من صاحبه إلا إذا قارنه أصل الإسلام والاستلام، أما تمام الإيمان وكماله فلا يشترط وجوده في الإسلام حتى يكون ثابتاً، ومن هنا يقال ليس كل مسلم مؤمن لكونه لم يستكمل الإيمان الكامل مع وجود أصله فيه .

ومثل هذا توحيد الألوهية لا يقبل من صاحبه إلا بوجود توحيد الربوبية، وإن لم يأت فيه بالكمال، فإن الموحد إذا عصى الله وأتى الكبائر دل ذلك على أنه لم يستكمل توحيد الربوبية وتعظيم الله وتقدير ربوبيته مع كونه موحداً.

فليس كل ما يقدح في كمال التوحيد والإيمان يبطل أصله .

المسألة الرابعة :الألوهية والربوبية من الألفاظ المتداخلة عند الاقتران:

أي أنهما إذا اجتمعا في اللفظ واقترانا في جملة واحدة افترقا في المعنى وفسر كل واحد بأشهر معانيه وما يخصه، فالألوهية بالعبادة والربوبية بالخلق والملك والتدبير .

وإذا افترقا في اللفظ اتحدا في المعنى وفسر كل لفظ بالآخر.

فهي مثل الإسلام والإيمان والفقير والمسكين .

قال ابن تيمية: (وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الألوهية فإن أحدهما يتضمن الآخر عند الانفراد ولا يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران) . الفتاوى ١٠/ ٢٨٣.

ومن الأدلة في تقرير ذلك :

أولاً : اجتماع الألوهية والربوبية والإله والرب :

قال تعالى :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس: ١-٣ .

وقوله:﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الرعد:٣٠ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ آل عمران:٥١ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ يونس: ٣ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١ ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٩٢ .

فجمع ﷻ في هذه الآيات بين لفظ الرب الدال على الربوبية والخلق والتدبير ولفظ الإله الدال على الألوهية واستحقاق العبادة مما يدل على افتراقهما في المعنى وإن لكل لفظ معنى يخصه .

ثانياً : ذكر الرب والربوبية ودخول الألوهية فيه :

قال ﷻ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ أي معبودكم . ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ أي معبودنا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ فصلت: ٣٠ أي معبودنا وإلهنا . ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ غافر: ٢٨ فالمراد بربي هنا معبودي وإلهي لأن الكفار مقرون بربوبية الله . كذلك قالها أبو بكر ﷺ لقريش حين اعتدوا على الرسول ﷺ . أيضا سؤال الملكين للميت في قبره بقولهم :(من ربك؟) أي من كنت تعبد وتأله .

ثالثاً : ذكر الألوهية ودخول الربوبية فيه :

قال ﷻ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ المؤمنون: ٩١ فإن معنى الإله هنا يدخل فيه مع الألوهية الربوبية .

وقوله: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ فالآية دالة على الألوهية ويدخل فيها الربوبية فمعنى الآية لا معبود بحق إلا أنا ولا خالق قادر مدبر مالك إلا أنا .

المسألة الخامسة : أوجه ودلالات دخول توحيد الربوبية في توحيد الألوهية :

١- أن الألوهية تستلزم الربوبية، فالمعبود يلزم أن يكون رباً كاملاً مالكاً مدبراً بيده النفع والضر وإليه يرجع الأمر وله صفات الكمال والجلال .

وهذا المبدأ قد ذكره الله ﷻ ودلل له في مواضع كثيرة من كتابه، حيث قرر سبحانه أن المستحق للعبادة من له هذه الصفات والتي مردها للربوبية، وأن من يخلق ليس كمن لا يخلق، وأن المعبودات سواه لا تستحق أن تعبد لأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً فهي مربوبة مملوكة محتاجة مفتقرة .

٢- أن الإيمان بربوبية الله وتوحيده بها من العبادة والألوهية التي تقربنا إليه، فإثبات الربوبية لله وحده عبادة من العبادت، وهذه من مقتضيات الألوهية، فالألوهية والعبادة التي لله يدخل فيها أن نعظمه ونوحده في ربوبيته، فمن لم يثبت الربوبية لله ويوحد الله بها فما أله وعبد الله ولا قام بتوحيد الألوهية .

٣- أن الله تعالى يحب أن يوصف بالكمال وأن يوحد في الربوبية، فالله ﷻأمر بذلك ورضيه وأحبه وهذه المعاني كلها من الألوهية والعبادة القائمة بالعبد، فإثبات الربوبية والإيمان بتوحيدها هي من العبادة التي أحبها ﷻ والألوهية التي أمر بها، وهذا مدلول قول السلف توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية .

٤- أن الله ﷻ جعل الدخول في الدين متوقف على الإتيان بكلمة لا إله إلا الله، ولا يمكن أن تكون هذه الكلمة قاصرة عن إثبات الألوهية فقط أو الربوبية وحدها، فلو لم تكن هذه الكلمة دالة على توحيد الربوبية علاوة على توحيد الألوهية، لأتى بعبارة أخرى مع لا إله إلا الله تدل على توحيد الربوبية، ولما اقتصر

أمر الله ورسوله على قول لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها، وهذا دليل على أنها دالـة بمفردها على توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات جميعاً .

٥- أن اسم (الله) دال على الألوهية بالمطابقة وعلى أسمائه وصفاته وربوبيته جميعاً بالتضمن والملازمة .

قال ابن القيم في المدارج : (فاسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث).

٦- أن من وحد الله في الألوهية والعبادة فلابد أن يكون موحداً لله في ربوبيته ومؤمناً بذلك وهذا يدل عليه العقل أن الألوهية متضمن للربوبية .

المسألة السادسة: أوجه ودلالات دخول توحيد الألوهية في توحيد الربوبية :

١- أن الربوبية تستلزم الألوهية، فالرب لابد أن يكون إلهاً، ومن كان كاملاً من جميع الوجوه مالكاً للنفع والضر والتدبير والخلق فلابد أن يُعبد، ويستحق بهذه الصفة العبادة، ولما كان المتفرد بالكمال هو الله وحده، لزم لزوماً لا انفكاك فيه أن يكون هو المعبود وحده والمستحق للألوهية، ألا ترى أن الله ﷻ قال : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ أي لو أن لله ولداً لعبدنا هذا الولد لأنه سيكون كاملاً مثل الله، ولّما لم يكن له ولد لم يكن هناك من يستحق العبادة غيره، وآيات كثيرة ذكرها الله في كتابه تدل على هذا الأصل أن الكامل لابد أن يعبد والناقص لا يعبد وأن المعبودات كلها إلا الله ناقصة لا تستحق الألوهية والعبادة كقوله تعالى :

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الأعراف: ١٩١ ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ النحل: ١٧ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١.

٢- أن توحيد الألوهية معناه استحقاق العبادة لله ﷻ، ومعلوم أن هذه الصفة التي هي استحقاق العبادة لله صفة من صفات الله، وهي وإن كانت صفة لازمة وليست فعلاً متعدياً إلا أنها من صفات الكمال المتعلقة بالربوبية فالرب لابد أن يكون من صفاته أن يُعبد ويستحق العبادة، ولا رب إلا الله فبالتالي لا إله ومعبود إلا الله وما عبد غيره إلا بالباطل لا بالحق فما عبد بحق سواه عز ربنا وتقدس.

٣- أن من صفات الله ﷻ الملازمة للربوبية الحب والرضى ، ومما يحبه الله ويرضاه أن يوحد في الألوهية .

٤- أن الألوهية من مقتضيات الفطرة والقدر والربوبية قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ فلا يصل العبد المربوب المخلوق لربه وخالقه إلا بالعبادة والألوهية، فكما أن العبد محتاج للربوبية من الله فهو محتاج حاجة أولوية للألوهية، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادة الله وحده، وتأمل قول الخليل في سورة الشعراء واعترافه بحاجته للألوهية باحتياجه للربوبية الذي يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفين واستدلاله بحاجته للربوبية على حاجته للألوهية: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ، فذكر حاجته للإطعام والشفاء التي هي من معاني الربوبية ثم ذكر احتياجه للتوبة وغفران الذنب الذي هو من معاني الألوهية .

السابعة: إقرار المشركين الذين بعث فيهم الرسل بتوحيد الربوبية في الجملة :

هل كفار العرب الذين أرسل فيهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية :

كان المشركون العرب وغيرهم مقرين بربوبية الله وأنه الخالق الرازق المدبر المالك وهذا لاخلاف فيه، وإنما الكلام في توحيدهم بالربوبية هل حصل لهم تحقيقه.

والتحقيق في ذلك: أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية في الأصل والجملة والأساس،والدليل على ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٩، وجاء السؤال للتقرير والجواب هنا لإثبات التوحيد أي سيقولون لا خالق إلا الله ولا مالك غير الله، كما يؤكد هذا المعنى ما كانوا يقولونه في تلبيتهم بالحج :(لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك).

فكان إقرارهم بالله وبربوبيته أمر ثابت بل وحتى ألوهيته أقروا بها لكن خالفوا في توحيد الله بالألوهية فهم لا يقرون به ولا يوحدون الله في العبادة فلا يريدون أن يعبدوا الله وحده وإنما يريدون الشرك في العبادة كما في قولهم : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ الأعراف: ٧٠ ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ الكافرون: ٣ ، لأن العبادة لا تقبل إلا بالتوحيد وهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره .

قال ابن تيمية : (فأما توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق وقرره أهل الكلام فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم) الفتاوى ١/ ٢٣.

لكن هذا التوحيد منهم لم يكن كاملا ولا صحيحاً، فإيمانهم مختلط بالشرك كما أخبر عنهم تعالى في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦.

أما عدم صحته: فلأن من لازم التوحيد في الربوبية التوحيد في الألوهية، فمن أشرك في الألوهية فليس إلا لغلط في الربوبية وقدح فيها، وإلا لو كان حقاً مؤمن بربه الكريم لما أشرك في عبادته وما اغتر بعبادة الآلهة الباطلة.

وأما عدم كماله فلوجود شرك في بعض أفراد الربوبية، ومن ذلك قول المشركين: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هود: ٥٤ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ يس: ٧٤، فحصل من بعضهم الشرك بنسبة شيء من التصرف والنفع والضر بعض الأحيان لآلهتهم وأنها تعتري أعدائها بسوء وطلبوا منها النصر،وكما قالوا على وجه الاستكبار: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فصلت: ١٥، كذلك تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك)، فأثبتوا لهذه الآلهة نوع ملك وهذا القدر هو من الشرك في الربوبية، فهم وإن كانوا قد أقروا أن الربوبية الحقة المطلقة لله وحده، لكن بعضهم وليس جميعهم اعتقد أنه يوجد لغيره بعض خصائص هذه الربوبية كالملك والنفع والضر والاعتراء.

فمع إيمانهم أن المالك المدبر النافع الضار في الأصل هو الله وحده كما أخبر ﷻ عنهم في مثل قوله: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الأنعام: ٦٣ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يونس: ٣١.

وما قاله تعالى وهو يبين بسؤال الحجة والإفحام والتقرير هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن المعبودات لا تملكه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء: ٦٦ ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٣ ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٥٦ فالله ﷻ يسألهم ليقررهم بطلان عبادة ما سواه هل في شيء من هذه الآلهة والمعبودات الباطلة من يرزقكم وينجيكم من كل شيء ويكشف الضر ويعصمكم ويكلؤكم ويمنعكم من الله، ومن يجير ولا يجار عليه وأنه لا يدفع نفعه ولا يكشف ضره أحد سواه وأنه وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه .

ومع هذا كله فالمشركون الذين بعثت فيهم الرسل وإن كانوا مقرين بهذا الأصل في الجملة، إلا أنه مع ذلك وقع لبعضهم خلل في هذه العقيدة .

ومما يدل على اضطرابهم في هذا الباب وعدم التزامهم بلازم الربوبية الحقة وإعطائها حقها من التعظيم والتوحيد أنهم سألوا معبوداتهم ما لا يقدر عليه إلا الله، مما يدل على اعتقادهم أن لها نوع قدرة، وهذا لا يعارض أن هؤلاء المشركين كانوا لا يشكون أن آلهتهم ومعبوداتهم مخلوقة وأن الله الذي خلقها وهو الذي يدبرها ويملكها وهو قادر عليها، وأنها ما تعبد إلا لمنزلتها من الله ومكانتها عنده وما يعطيها الله من الكرامات والقدرة على بعض النفع وشيء من الضر والاعتراء لمن يعاديها .

وهذا أمر ظاهر وإلا لم يكونوا ليقعوا في الشرك لو التزموا بالربوبية، ولن يلتزموا بالربوبية إلا إذا كان إيمانهم بها قائم على التوحيد الحق الكامل الصحيح بها، والقاعدة أن من أشرك في الألوهية فليس إلا لأجل نقص توحيده في الربوبية ، ولما لم يكن الأمر كذلك حصل منهم الشرك في الألوهية للخلل الحاصل عندهم في الربوبية ولا يعني هذا أنهم غير مقرين بتوحيد الله في ربوبيته في الجملة والأصل .

الثامنة : أعظم المخالفات والقوادح في الربوبية عند مشركي العرب السابقين:

١- اعتقاد بعضهم النفع والضر في الآلهة وفي التمائم وما يتبرك به ويتطير منه .

٢- إنكار الرسالة والإرسال وإنكار البعث وهي من أفعال الربوبية .

٣- التحليل والتحريم والتشريع وسن الدين والحكم بغير ما أنزل الله .

٥- عدم التزامهم بلازم الربوبية الذي هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده .

٦- تشبيه الله ﷻ بخلقه وتنقصه مثل نسبة الولد إليه أو النوم والتعب.

٧- السحر والتنجيم وادعاء علم الغيب فيها .

٨- وقوعهم في سب الله عدْوا بغير علم .

وبهذا التقرير يتبين أن عبارة أن جميع المشركين مقرون بتوحيد الربوبية ليس على إطلاقه، فهم مقرون بربوبية الله بل ويؤمنون بتوحيد الربوبية في الجملة، لكن إيمانهم مشوب بشرك في بعض أفرادها فضلاً عن لوازمها التي هي عبادة .

عليه فالأولى أن يقال إقرار المشركين بأصل الربوبية أو أساس توحيد الربوبية أو آمنوا بتوحيد الربوبية في الجملة وذلك لوجود قوادح عندهم وعدم التزام منهم بلوازمها ومخالفة صريحة في بعض صورها وأفرادها كالنفع والضر ونحوه كما تقدم.

وإليك بعضاً من كلام أهل العلم في تأكيد ما قررته آنفا بين يديك :

قال ابن تيمية : (لكن المتكلمين إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الربوبية وهذا لم ينازع في أصله أحد من بني آدم وإنما نازعوا في تفاصيله).

وقال في الدرء : (وكثير من الطوائف قصر فيه مع إثباته لأصله).

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب : (فأما توحيد الربوبية فهو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾) . فانظر ما قرره الإمام هنا من جعل سبب وقوع المشركين في عبادة غير الله نقص الإيمان بالربوبية وأن إقرارهم بالتوحيد فيه ليس كاملا وإنما في مسائل وأفراد منه وليس جميعه .

وسنأتي على مزيد نقولات في مسألة قادمة .

التاسعة : هل عند المشرك شيئا من التوحيد وهل يشهد بالتوحيد؟

يشهد المشرك بالتوحيد في حالات :

١- يشهد بنوع من التوحيد وهو توحيد الربوبية، ومن شهد بالربوبية لزمه ذلك أن يشهد بالألوهية، وإن كان لا يقر بذلك ولكن يلزم بالألوهية في حقيقة شهادته بالربوبية، فمن التزم بربوبية الله كان لزاماً عليه أن يلتزم بألوهيته والدليل : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف:١٠٦ ، والإيمان هنا الإقرار بتوحيد الربوبية كما قرره أئمة التفسير من السلف.

٢- كذلك قد يوحد المشرك في حال الشدة والخوف ويشرك في الرخاء والأمن ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥.

٣- وقد يأتي بتوحيد في بعض العبادات، فقد تجد شخصا يشرك في جانب ويوحد في جانب، فقد يوحد في جانب الحكم بما أنزل الله فيحكم بالشريعة ولكن يدعو غير الله ﷻ أو يكون العكس .

المسألة العاشرة: تلازم الربوبية والألوهية :

وتقدم تقرير ذلك وإليك كلام أهل العلم في توضيح وتأكيد ذلك .

قال محمد بن عبد الوهاب: (لا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه الربوبية حقه).

قال الألوسي العراقي في تفسيره : (ولا أرى أحداً ممن – يدعو غير الله – إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه).

قال الحكمي في المعارج : (وبقية المشركين يقرون بالربوبية باطناً وظاهراً كما صرح بذلك القرآن مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر وهكذا أضدادها، فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمان عباد القبور إذا قال أحدهم للمقبور أغثني ونحو ذلك يناديه من بعيد فدعاؤه إياه عبادة صرفها لمخلوق وهذا شرك في الألوهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب و شفاء مريض ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنه قادر على ذلك فهذا شرك في الربوبية، حيث أعتقد أنه متصرف مع الله تعالى في ملكوته ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وأي مكان وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد ، مما استلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات) .

فتأمل هذا الباب ينكشف لك خطورة الشرك وحال أهله وبطلان شبهات القبورية لعنهم الله في التلبيس على العوام بجعل الشرك هو اعتقاد ربوبية غير الله والاستقلال بالنفع والضر والتأثير، وأما ما سوى ذلك فليس عندهم بشرك وأن من لم يكن هذا اعتقاده فليس بمشرك ولا كافر، وأعلم أن ما نفوه من الشرك هو عين ما وقع فيه مشركوا العرب الذين قاتلهم النبي ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم وأولادهم سوءاً بسوء، بل توحيدهم وإيمانهم الذي أثبته الله لهم ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف: ١٠٦ خير من إيمان مشركي زماننا الذين يدعون الإيمان بالله وإسلامهم له، فما وصل أولئك في الشرك إلى اعتقاد أن الصالحين يعلمون الغيب ويتصرفون في الخلق ويدبرن الكون ويملكون الدنيا والبعث والجنة والنار كما يقوله طوائف من غلاة الصوفية . وكل من قارن بين المشركين السابقين ومشركي زماننا من المنتسبين للإسلام علم أن شرك هؤلاء أشد وأشنع وأعظم من شرك السابقين وأشد تنقصا لله وجرأة عليه والعياذ بالله .

المسألة الحادية عشرة : حقيقة قول الصوفية القبورية في شرك الأولين :

القبورية يقولون : إن المشركين لم يكونوا مقرين بربوبية الله بل كانوا يعتقدون أن الأصنام هي التي تخلق وترزق وتملك النفع والضر استقلالاً ولها التأثير الكامل .

وأهل السنة يقولون: إن المشركين كانوا مقرين بربوبية الله وسلموا بأصل التوحيد فيها فوحدوا الله في الخلق وأصل التدبير والملك والنفع والضر، وقد أخبر الله بذلك عنهم، لكن تسليمهم وإيمانهم بها ناقص، فلم يأتوا بالربوبية الكاملة لأنهم لم يلتزموا بلوازمها ولا أمنوا بجميع معانيها وأفرادها التي منها استحقاق العبادة للرب .

وقول القبورية مخالف لصريح القرآن والآيات التي فيها سؤال التقرير وإقرارهم بربوبية الله وكونه الخالق وحده والمالك والمدبر والنافع والضار، وقد سقنا الآيات الدالة على ذلك في أكثر من موضع.

الفصل الرابع

توحيد الأسماء والصفات

وعقيدة أهل السنة في صفات الله تعالى والعقائد المخالفة فيها

تمهيد : العقيدة في الله تعالى تبحث في جانبين :

الأول : باب الإيمان :

الركن الأول من أركان الإيمان وهو : الإيمان بالله .

الثاني : باب الإسلام والتوحيد:

الركن الأول من أركان الإسلام وهو : شهادة أن لا إله إلا الله .

ويتضمن: توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

والجانب الأول اعتقادي باطني والجانب الثاني عملي ظاهر .

ما يتضمنه الإيمان بالله :

الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

المسألة الأولى : تعريف الأسماء والصفات :

أولاً: الأسماء جمع اسم ، وهو ما يسمى به الشيء ويعرف به.

وهو مشتق من السمة والوسم وهو العلامة ، ومن السمو وهو العلو.

وكما أن كل موجود له اسم فكذلك الله تعالى لها أسماء سمّى نفسه بها.

وقد أثبت الله لنفسه الاسم في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الأعراف: ١٨٠ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ طه: ٨ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الحشر: ٢٤ ﴿ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ الحج: ٢٨ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: ٧٨ ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ المزمل: ٨ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ الأعلى: ١ .

ثانياً : الصفات جمع صفة ، وكل شيء في الوجود لـه صـفة ، وربنـا تعـالى لـه صفات يعرف بها.

والمقصود بأسماء الله: أسماؤه الدالة على صفاته، مثل: الرحمن العزيز الخالق.

المقصود بالصفات : صفات الله ، مثل: الرحمة والعزة والقدرة والخلق .

ومن صفات الله أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه ويرونه.

الثانية : المقصود بتوحيد الأسماء والصفات:

إثبات أسماء الله وصفاته ، فلا يعطل عن صفاته ولا نمثلها بصفات خلقه ولا نصف المخلوقين بصفات الله.

الثالثة: علاقة أسماء الله وصفاته وأفعاله بربوبيته :

أسماء الله وصفاته وأفعاله من الربوبية ، فكل اسم لله وصفة تمثل ربوبية الله.

كما أن الربوبية وأفعالها من صفات الله ﷻ ، فالخلق والرزق من صفات الله .

الرابعة : الفرق بين أسماء الله وصفاته وأفعاله وربوبيته :

١- أسماء الله هي أعلام مثل: الإله والرب والرحمن والرزاق والقدير والملك.

٢- الصفات هي ما يوصف الله بها: كالألوهية الربوبية الرحمة الرزق القدرة.

٣- أفعال الله مثل : الخلق والرزق والإحياء والإماتة والرحمة والنزول، فهو يخلق ويرزق ويرحم فهذه كلها أفعال لله تعالى ، وتسمى الصفات الفعلية .

٤- الربوبية تشمل أربعة أمور: وجود الله ، وأسماؤه ، وصفاته ، وأفعاله .

والقاعدة أن كل اسم لله له صفة، وليست كل صفة لها اسم مثل الاستواء والكلام فليس من أسماء الله المستوي والمتكلم .

وكل فعل له صفة وليس كل صفة لها فعل، مثل صفة الوجه واليدين، فهي من الصفات الذاتية وليست من الفعلية.

وذهب البعض إلى وجود أفعال لا يوصف الله بها مثل الاستهزاء والمكر والتردد ونحوها وكذلك وجود صفات لا أفعال لها، وهذا الخلاف ناشئ من الخلاف اللغوي، هل أصل الاشتقاق الصفة أو الفعل .

والصحيح أن الصفات على قسمين : صفات ذاتية كالجمال واليد ، وصفات فعلية : فكل فعل يعتبر صفة، كالرضا والحب والخلق والاستواء والاستهزاء .

الخامسة : الفرق بين أسماء الله وصفاته :

١- أسماء الله ﷻ تدعى والصفات لا تدعى ، فيقال يا رحمن ارحمني ولا يقال يا رحمة الله، ويقال يا لطيف ولا يقال يا لطف الله، ويقال يا عزيز ولا يقال يا عزة الله.

٢- أسماء الله يعبّد المخلوق بها بخلاف الصفات ، فيقال عبد الرحمن ولا يقال عبد الرحمة.

٣- كل اسم له صفة، وليس كل صفة لها اسم كالغضب والاستواء، فالاسم دل على العلمية والوصف الذي هو المعنى والصفة دلت على المعنى.

السادسة : توحيد الأسماء والصفات قائم على ركنين (النفي والإثبات) :

الركن الأول : الإثبات : إثبات صفات الكمال لله وحده دونها سواه كما ورد .

الثاني: النفي: نفي الربوبية والألوهية والكمال عن غيره فلا نثبتها للمخلوق.

هذا حقيقة توحيد الله بها .

وضد الأول شرك التعطيل وضد الثاني شرك التمثيل.

وقد دل على هذين الركنين (النفي والإثبات) :

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ .

النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، الإثبات : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

السابعة :حقيقة توحيد الأسماء والصفات والربوبية مبني على أصلين :

الأول : تنزيه الرب ﷻ عن مشابهة الخلق، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ .

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه من الكمال، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

فهذان الأصلان بيّنهما الله ﷻ في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١ ، وجمع بينهما في هذه الآية الواحدة.

الثامنة: الغاية التي من أجلها خلق الله ﷻ الخلق :

الأولى : عبادة الله وحده ، وهذا توحيد الألوهية .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦.

الثانية: معرفة الله ﷻ والعلم به ، وهذا توحيد الربوبية والأسماء والصفات .

ومما يدل على أن الله خلقنا لنعرفه قولـه ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ الطلاق: ١٢ .

التاسعة : تقرير صفات الله ﷻ جاء في القرآن والسنة :

وقد دل الله تعالى خلقه على نفسه وأخبرهم بصفاته ، في كتابه وبطريق آياته وبطريق رسله فبعث لهم الرسل فعرفوهم بربهم وبصفاته وبدينه أتم تعريف وبما لا يحتاج معهم لغيرهم من القواعد الفلسفية والمناهج العقلية المنحرفة .

وقد أجمعت الرسل على تعريف الخلق بربهم ودعتهم لعبادته ، وأجمعت الكتب السماوية على تقرير توحيد الأسماء والصفات وتبينه مع توحيد العبادة .

العاشرة : لم يحصل بين الصحابة ﷺ خلاف في صفات الله تعالى ، وقد اختلفوا في آيات الأحكام ولم يثبت عنهم اختلاف في شيء من آيات الصفات .

الحادية عشرة: السلف أثبتوا جميع الصفات الواردة، وكفروا منكرها:

صرح علماء الأمة بكفر من عطل الله عن صفاته وجحد صفاته وأنكر أسمائه وصفاته، ومن ذلك من ينكر علو الله سبحانه ومن يكذب باستوائه على عرشه ومن ينكر كلامه أو يقول أنه مخلوق ومن ينكر رؤيته من الجهمية والمعتزلة والأشعرية.

قال الدارمي في الرد على الجهمية : (ونكفرهم أيضا بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى وجها ولا سمعا ولا صفة إلا بتأويل ضلال ..، ونكفرهم أيضا أنهم لا يدرون أين الله ولا يصفونه بأين ..) .

وقال فيه:(أي فرق بين الجهمية والمشركين حتى نجبن عن قتلهم وإكفارهم).

وقال السجزي : (ومنكر الصفة كمنكر الذات فكفره كفر جحود) .

وقال الترمذي: (ذكر الله في كتابه اليد والسمع ، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا معنى اليد القدرة) السنن ٣ / ٥١ .

وقال الإمام أحمد : (الجهمية كفار) السنة لابنه عبدالله والسنة للخلال.

وقال: (من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر) الشريعة والسنة.

وقال : (ومن قال إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فهو كافر) .

قال نعيم بن حماد : (من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر) أخرجه اللالكائي .

وقال ابن خزيمة : (من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سماواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه) .

وقال الآجري في الشريعة : (من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر) .

وقال : (الجهمية عند العلماء كفار) وذلك لإنكارهم الصفات .

وقال ابن قدامه في ذم التأويل : (جحود الاستواء كفر لأنه رد لخبر الله وكفر بكلامه) .

وقال ابن تيمية عن علو الله : (ولهذا كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك لأنه عندهم معلوم بالإضطرار من الدين) الدرء ٧/ ٢٦ .

وقال : (والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر).

وقال ابن القيم في النونية في تكفير الجهمية لإنكارهم العلو وغيره وأن خمسمائة عالم كفروا الجهمية وحكا ذلك الطبراني واللالكائي:

ولقد تقلد كفرهم خمسين في عشر من العلماء في البلدان

الثانية عشرة: وجوب تعلم توحيد الأسماء والصفات :

١- تعلم أسماء الله علم شريف ، وقد بينه الله في كتابه وختم آيات كثيرة به.

٢- لا يُعرف الله ﷻ إلا بصفاته، والجهل بها جهل بالله والقدح فيها قدح فيه.

٣- العامة يحدثون بصفات الله ولا ينكر ذلك إلا الجهمية .

٤- توحيد الأسماء والصفات يدعو لتوحيد العبادة ، والإخلال به يسبب الشرك في العبادة .

٥- معرفة صفات الله يورث الخشية والإيمان والعمل.

الثالثة عشرة: عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات :

يثبتون لله تعالى من الأسماء والأوصاف ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله، ويعرفون معناها ويفوضون كيفيتها ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا إلحاد . وينفون ما نفاه الله عن نفسه ورسوله ﷺ، ويمسكون عما سكت الله تعالى عنه ورسوله ﷺ فلا يخوضون فيه بنفي ولا إثبات.

الرابعة عشرة: أركان الإيمان بأسماء الله :

١- الإيمان بالاسم .

٢- الإيمان بما دل عليه الاسم من معنى وصفة .

٣- الإيمان بما تعلق به من حكم ومقتضى وأثر ومفعول.

مثال : اسم السميع نؤمن به ونسمي الله به ونؤمن بما تضمنه من صفة السمع، وما تعلق به سمع الله من مسموع مفعول مخلوق فالله يسمع كل شيء .

الخامسة عشرة: معرفة صفات الله وتفسير معانيها مرده للنبي ﷺ والصحابة:

وقد فسروا بعض صفات الله ، كما أنه يعرف تفسيرها من اللغة ، والله أنزل كتابه بلسان عربي مبين يفهمه العرب ومما أنزله فيه صفاته التي أخبرنا أنه اتصف بها.

السادسة عشرة: لا يمكن الإحاطة بالله ومعرفة كيفية صفاته .

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١ .

وقال تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ طه: ١١٠.

السابعة عشرة: كل صفة ثبتت بالنص فإنا نؤمن بها ونعرف معناها ونثبتها لله على الحقيقة ، ومن زعم أن إثباتها يستلزم التشبيه وسعا في تحريف معناها باسم التأويل فهو جهمي أو فيه تجهم وتعطيل ،ومن أمثال ذلك من حرف صفة الصورة في حديث خلق الله آدم على صورة الرحمن، والصوت في حديث صوت الله كأنه سلسلة على صفوان، وصفة الضحك والفرح والمكر وصفة الأصابع والساق والحقو والنزول والاستواء والقعود وغيرها من الصفات التي جاءت بها النصوص.

الثامنة عشرة : وجوب إجراء الصفات على ظاهرها وإمرارها .

التاسعة عشرة : الأسماء والصفات وآياتها من المحكم وليست من المتشابه :

قال ابن القيم : (ولم يعرف عن أحد من الصحابة قط أن المتشابهات آيات الصفات ، بل المنقول عنهم يدل على خلاف ذلك ، ومن ذلك تفسيرهم للصفات الواردة في القرآن والسنة ، فكيف تكون آيات الصفات متشابهة عندهم وهم لايتنازعون في شيء منها ، وآيات الأحكام هي المحكمة وقد وقع بينهم النزاع في بعضها ، وإنما هذا قول بعض المتأخرين) الصواعق المرسلة ١/ ٢١٣ .

العشرون : القول في بعض الصفات كالقول في بعض والقول فيها كالقول في الذات. وفي هذه رد على من فرق بين الصفات وعطل بعضها ولم يثبتها لله تعالى.

الحادية والعشرون : أقسام ما يضاف لله تعالى:

١- إضافة صفة لموصوفه ، وهو مما لا يقوم بنفسه ، كيد الله وساقه .

٢- إضافة مخلوق لخالقه ، وهو كل ما يضاف لله من الأعيان التي تقوم بنفسها، كبيت الله وناقة الله.

الثانية والعشرون : الأسماء والصفات المشتركة بين الله ﷻ وبين خلقه .

مثل عليم وحليم وكريم وعزيز ونحوها .

تثبت لله على ما يليق بكماله ، وتثبت للمخلوق بما يصلح ويناسب خلقه .

اسم الجلالة الله : لا يسمى به غير الله ، وقد دل على كل الأسماء.

الثالثة والعشرون : الصفات المنفية عن الله تعالى :

باب الإثبات جاء في النصوص مفصلاً أما النفي فمجملا، والمفصل من النفي المقصود منه إثبات كمال الضد فالمراد من نفي النوم مثلا إثبات كمال الحياة .

الرابعة والعشرون : يجوز الإخبار عن الله تعالى بما يليق به .

باب الإخبار أوسع من باب الأفعال والصفات.

تنبيه: يجب نفي كل نقص عن الله ولو لم يرد بخصوصه نص كالحزن .

الخامسة والعشرون : باب الصفات أوسع من باب الأسماء .

فكل اسم له صفة وليست كل صفة لها اسم كالإرادة والاستواء والغضب.

السادسة والعشرون : باب الصفات أوسع من باب الأفعال .

كل فعل لله فهو صفة له ويعتبر من قبيل صفات الأفعال ، فكل فعل مشتق من صفة ، والصفة هي الأصل فكل فعل صفة ، وكل فعل يفعله الله يوصف به وكل ما ثبت أن الله يفعله فهو صفة له، وتسمى صفة فعلية تمييز لها عن الصفة الذاتية التي ليست من قبيل الأفعال كالعلو والحياة والوجود والوجه والعين واليد، ومن أمثال الصفات الفعلية الغضب والرضا والنزول والخلق.

السابعة والعشرون : صفات الله قائمة بالله غير منفصلة عنه وليست مخلوقة .

ومن هذا الباب كفّر السلف من قال أن القرآن الذي هو كلام الله مخلوق منفصل عن الله لا يقوم به كلام وليس صفة له.

الثامنة والعشرون : صفات الأفعال ليس لها بداية ولا نهاية بل هي أزلية النوع حادثة الآحاد متجددة يفعلها متى شاء، وكذلك آثار صفاته وأفعاله يقال فيها قديمة الجنس حادثة الآحاد ، فالله تعالى مازال يخلق منذ الأزل ولم يكن معطلا عن صفاته وأفعاله ، ولا نقول: إنه كان خالقا ولا خلق له وإنه سمي بالخالق واتصف بصفة الخلق لكن لم يفعل الخلق إلا بعد أن خلق العرش وما بعده من خلق هذا العالم في

ستة أيام، فإن هذا قول الجهمية الذين ينكرون تسلسل أفعال الرب وآثار صفاته والحوادث وجنس الخلق في الماضي والمستقبل، وقد أُخِذ على الطحاوي رحمه الله ميله إلى هذا الرأي في إنكار التسلسل في الماضي بقوله : (ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، وكان رب ولا مربوب) وقد بين خطئه ابن أبي العز في شرح الطحاوية.

تنبيه : الأفعال التي لها بداية :

لم يثبت لنا بالنص الصريح فعل له بداية غير الاستواء على العرش حيث فعله بعد خلق السموات والأرض بنص الآية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ يونس: ٣، فاستوى على العرش بعد ألم يكن مستويا عليه والله تعالى أعلم .

وقد يقال هذا في فعل البعث والحساب ، فحساب الخلق وبعثهم يوم القيامة له بداية والله أعلم بنفسه تعالى ربنا وتقدس .

أما الخلق والرزق والرحمة والكلام والسمع ونحوها فليس لها بداية فما زال ولا يزال يفعل هذه الأفعال ويتصف بها سبحانه ، وليس لفعله لها بداية، ولا يصح أن يقال كان متصفاً بها ويفعلها ولم يكن لها أثر ومفعول .

التاسعة والعشرون : آثار صفات الله ومفعولات الله مخلوقة ، فالمخلوق هو المفعول لله ، وهو المرزوق والمرحوم .

الثلاثون : يجب ترك الألفاظ المجملة :

مثل الإعراض والتركيب والتجسيم والتغير والحد والجهة.

وهذه العبارات عند الجهمية قصدوا بأكثرها نفي الصفات.

الحادي والثلاثون : الله ﷻ بصفاته كاملٌ غنيٌّ، لا نقول أنه محتاج لصفاته أو اكتمل بها كالمخلوق، بل أفعاله صادرة عن كماله تعالى ، لا تنفك صفاته وكماله عنه ، ومن صفاته ما يتعلق بأفعاله الاختيارية المتعلقة بالمشيئة وهي التي يفعلها متى شاء كالنزول والمجيء والفرح والغضب والرضا.

الثانية والثلاثون: أسماء الله كلها حسنى كما أخبر الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

ومعنى حسنى: أنها بالغة في الحسن ، ولها المنتهى في الكمال، فليس في أسماء الله وصفاته نقص أو شر، فهي تدل على معنى كامل لا نقص فيه .

الثالثة والثلاثون : معنى التوسل بأسماء الله :

هو دعاء الله بأسمائه وصفاته ، كأن يقال يا رحمن ارحمني ويا عفو يا كريم اعف عني وتب علي واغفر لي، وأسألك بعزتك النصر وبرحمتك أستغيث وهكذا.

وهذا المراد من الآية : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠ .

الرابعة والثلاثون : الاسم والصفة قد يكون له أكثر من معنى .

مثل الصمد : الذي تصمد إليه الكائنات وتحتاجه ، وما لا جوف له .

الجبار : الذي يجبر قلوب عباده المؤمنين ، والذي يقصم الكفار ويقهرهم.

السلام : السالم من العيوب ، والمسلم لخلقه.

الخامسة والثلاثون : أسماء الله متباينة في المعنى كل اسم له معنى يخصه ، حتى الرحمن والرحيم لكل واحد منهما معنى يخصه.

السادسة والثلاثون : أسماء الله وصفاته متفاضلة:

فالرحمة أفضل من الغضب ، ويده اليمنى أفضل من الأخرى وقد جعل المقسطين عن يمينه وبها قبض المؤمنين في الميثاق ، كما أن بعض كلامه أفضل كسورة الفاتحة والإخلاص ، ولا يفهم من التفاضل أنه يوجد في صفاته نقص تعالى.

السابعة والثلاثون : أسماء الله مشتقة وليس فيها اسم جامد .

فالعزيز من العزة ، والله من الألوهية وهي العبادة .

وقد أخطأ من جعل اسم (الله) اسم جامد غير مشتق.

والاشتقاق من لوازم الحسن الذي اختصت به أسماء الله تعالى .

ولذلك الدهر ليس من أسماء الله لأنه اسم جامد ولا حسن فيه.

الثامنة والثلاثون : الأسماء تأتي مفردة وتكون مقترنة بضدها .

مثل المعز المذل ، والباسط القابض .

التاسعة والثلاثون : بعض الصفات مقيدة بحال معين ، كالاستهزاء بالكفار والمكر بأعدائه.

الأربعون: أسماء الله توقيفية لا تثبت بالاجتهاد والعقل، وإنما بالشرع والنص.

الحادية والأربعون : أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ، وليست مجرد أعلام محضة فكل اسم له صفة ومعنى يخصه .

الثانية والأربعون : إحصاء أسماء الله تعالى :

معنى الإحصاء حفظها ومعرفة معناها والإحاطة بعددها لفظا وفهم مدلولاتها ، مع الإيمان بها وعبادة الله بمقتضاها ودعائه بها والعمل بلوازمها.

الثالثة والأربعون : أسماء الله لا يعلم عددها إلا الله، فليست منحصرة بتسعةٍ وتسعين اسما.

ويدل على أن أسماء الله تعالى أكثر من تسعة وتسعين ، دعاء النبي ﷺ الذي رواه عبد الله بن مسعود: (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) رواه أحمد والحاكم وابن حبان .

قال ابن القيم: (الحديث دليل على أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين ، وأن له أسماء وصفاتاً استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره، وعلى هذا فقوله : إن لله تسعة وتسعين اسما ، لا ينفي أن يكون له غيرها ، والكلام جملة واحدة أي له أسماء موصوفة ، كما يقال لفلان مائة عبد أعدهم للتجارة) شفاء العليل ٤٧٢ .

الرابعة والأربعون : حديث : (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدا من أحصها دخل الجنة) متفق عليه عن أبي هريرة.

ليس دليلا على الحصر ، بل معناه والله أعلم فضيلة من حفظ تسعة وتسعين اسما ، وهو كما لو قلت لي مائة كتاب أوقفتها على طلاب العلم.

تنبيه : رواية تعيين الأسماء لا تصح عن النبي ﷺ ، وقد تفرد بها الوليد بن مسلم وعبد العزيز بن الحصين وعبد الملك الصنعاني وقد ذكروها عن بعض شيوخهم وأدرجوها في الحديث على اختلاف بينهم في الأسماء.

قال ابن تيمية : (تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه) الفتاوى ٦/ ٣٨٢ .

الخامسة والأربعون : ضوابط أسماء الله :

الأول : ورودها في النص (الكتاب والسنة) ، فلا قياس فيها ولا اجتهاد.

الثاني: أن يكون ورد بصيغة الاسم لا الفعل والصفة ومرادا به العلمية ، وتنطبق عليه علامات الاسمية : التنوين دخول أل عليها وحرف الجر وياء النداء.

الثالث: أن تدل على الكمال المطلق والحسن فلا نقص فيها وتقتضي المدح والثناء بنفسها ، ويخرج بهذا الضابط صفة المكر والخداع ، حيث تكون محمودة وتكون مذمومة ، وكذلك المتكلم والمريد والآمر فالكلام منه الحسن والقبيح وهذا بخلاف السمع فهو كمال مطلقا لذا أثبت لنفسه اسم السميع والبصير دون المتكلم.

الرابع : أن تدل على الوصف ، فلا يكون جامدا لا يشتق منه الصفة كالدهر.

الخامس: أن يكون الاسم يصح أن يدعى الله تعالى به ويعبّد به.

السادس:أن يرد الاسم على سبيل الإطلاق دون تقييد ظاهر أو إضافة مقترنة.

ووجه اشتراط هذا الضابط لأنه يفيد الثناء بنفسه ، وهذا من لوازم الحسن الذي وصفت به أسماء الله تعالى ، فيخرج بهذا الضابط ما ورد مقيدا أو مضافا من الأسماء في النصوص فليس من أسماء الله مثل السريع سريع الحساب ، والانتقام ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة: ٢٢، وذو الجلال ، وعالم الغيب.

قال ابن القيم : (وعليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات والوقوف معها ، وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقا لمعنى أسمائه وصفاته ، وحينئذ فيطلق له المعنى دون اللفظ ، ولاسيما إذا كان مجملا أو منقسما إلى ما يمدح به وغيره ، فلا يجوز إطلاقه إلا مقيدا) طريق الهجرتين ٤٨٦ .

السادسة والأربعون : أسماء الله الحسنى :

أسماء الله ﷻ :

الأول . الآخر . الأحد . الأكرم . الأعلى . الإله . الباري . الباسط . الباطن . البر . البصير . التواب . الجبار . الجميل . الجواد . الحسيب . الحفيظ . الحق . الحكَم . الحكيم . الحليم . الحميد . الحي . الحيي . الخالق . الخبير . الخلّاق . الديّان . الرازق . الرب . الرحمن . الرحيم . الرفيق . الرقيب . الرزّاق . الرءوف . السبّوح . الستّير . السلام . السميع . السيد . الشافي . الشاكر . الشكور . الشهيد . الصمد . الطيب . الظاهر . العزيز . العظيم . العفو . العلي . العليم . الغفار . الغفور . الغني . الفتاح . القابض . القادر . القاهر . القدوس . القدير . القريب . القهار . القوي . القيوم . الكبير . الكريم . اللطيف . المالك . المبين . المتعال . المتكبر . المتين . المجيب . المجيد . المحسن . المصور . المسعر . المعطي . المقتدر . المقدم . المقيت . المولى . الملك . المليك . المنان . المهيمن . المؤخر . المؤمن . النصير . الواحد . الوارث . الواسع . الوتر . الودود . الوكيل . الولي . الوهاب .

وأفضل من جمعها بالأدلة :

الرضواني في كتابه أسماء الله وابن عثيمين في القواعد المثلى .

وهناك أسماء مختلف فيها لا يجزم بأنها من أسماء الله لأنه تخلف فيها بعض الضوابط ، منها :

الأعز . الباقي . الباعث . البديع . الجامع . الجليل . الحاسب . الحافظ . الحنان . الحفي . الدائم . الرشيد . الرفيع . الستار . الشديد . الصادق . الصاحب . الصبور .الطيب . العالم . العلام . العدل . الغالب . الفاطر . الفرد . القائم . الكافي . الكفيل . المحيط . المحصي . المدبر . المستعان . المقسط . المغيث . المنعم . المنتقم . النضيف . النور . الهادي . الواجد . الواقي . الخافظ . الرافع . المعز . المذل .

السابعة والأربعون : صفات الله تعالى الواردة في النصوص:

الاسم ، الأولية ، الابتلاء ، الإبراء (الباري) ، الإبرام ، الإتيان ، الإجابة ، الإحاطة (محيط) ، الأحديّة ، الإحسان ، الإحصاء ، الإحياء ، الأخذ ، الأذن (الاستماع) ، الاستلقاء ، الاستهزاء ، الاستواء ، الأسف (بمعنى الغضب) ، الأصابع ، الإصلاح ، الإلهية ، الإماتة ، الامتحان ، الأمر ، الإمساك ، الأنامل ، الانتقام ، الإنعام ، البديع ، البر ، البركة ، البسط ، البشاشة ، البصر ، البطون (الباطن) ، البعث ، البغض ، البقاء ، التأخير ، التدبير ، التربية ، التردد ، الترك ، الترويح ، التشريع ، التصوير ، التعجب ، التقدير ، التقديم ، ، التقرب ، التنفيس ، التواب ، الجبروت ، الجبر ، الجلال ، الجمال ، الجمع ، الجنب ، الجود ، الحب (المحبة) ، الحثو ، الحجزة ، الحديث ، الحسيب (الحاسب) ، الحفظ ، الحفي ، الحقو ، الحكم ، الحكمة ، الحلم ، الحمد ، الحنان ، الحياء ، الحياة ، الخبير ، الخداع ، الخط ،

الخلق ، الخلة ، الخنع (أخنع)، الدثار ، الدفع ، الدنو ، الدوام ، الدين ، الذات ، الرأفة ، الرؤية ، الربوبية ، الرِجْل ، الرحمة ، الرزق ، الرشد ، الرضا ، الرفق ، الرقابة ، الروح ، الزرع ، السآمة (الملل وجاءت الصفة واللفظة في مسلم) ، السبوح ، الستر ، السخرية ، السخط ، السرعة ، السكوت ، السلامة ، السلطان ، السماع ، السيادة ، الشافي ، شخص ، الشدة ، الشكر ، الشهادة ، شيء ، الصبر ، الصحبة ، الصدق ، الصدقة ، الصمدية ، الصنع ، الصوت ، الصورة ، الضحك ، الطب ، الطلب ، الطيب ، الطي ، الظهور ، الظل ، العتاب والعتب ، العجب ، العدل ، العز والعزة ، العزم ، العطاء ، العظمة ، العفو ، العلم ، العلو ، العين ، الغضب ، الغفران ، الغلبة ، الغنى ، الغوث ، الغيرة ، الفتح ، الفرح ، الفَطْر ، الفوقية ، القبض، القدر ، القدرة ، القدم ، القدوس ، القرب ، القضاء ، القهر ، القول ، القوة ، القيوم (والقيام) ، الكافي ، الكبر ، الكبرياء ، الكبير ، الكتابة ، الكرم ، الكره ، الكشف ، الكف ، الكفيل ، الكلام ، الكنف ، الكيد ، اللطف ، اللعن ، المؤمن ، المبين ، المتين ، المجيء، المجد ، المحال ، المحمود ، المسلّم ، المستعان ، المسح ، المشي ، المعافاة ، المشيئة ، المعية المعرفة، ، المفتن ، المقت، المقيت (من القوت) ، المكر ، الملك ، الملل ، المماحلة ، المنّ ، المناجاة المنع ، النداء ، النزول ، النصر ، النسيان ، النظر ، النفْس ، النفَس ، النور ، الهداية ، الهرولة ، الهيمنة، الوتر ، الوجود ، الوحدانية ، الود ، الورث ، الوسع ، الوفاء ، الواقي ، الولاء ، الوكيل ، الوهب (الهبة) ، اليد ، (الشمال) ، اليسار ، اليمين.

الثامنة والأربعون: أقسام الصفات :

التقسيم الأول :

١- صفات فعلية : كالرضا والحب والخلق والاستواء والاستهزاء.

فكل فعل يعتبر صفة ، فالاستواء فعل وهو صفة والخلق فعل وهو صفة.

وتنقسم أفعال الله ﷻ إلى قسمين :

أفعال متعدية إلى مفعول كالخلق ، وأفعال لازمة كالاستواء .

كما تنقسم الصفات الفعلية إلى قسمين :

صفات لا تنفك عن الله كالعلم والحكمة والقوة.

وصفات اختيارية : متعلقة بالمشيئة يفعلها أحياناً متى يشاء ، مثل : الرضا والغضب والانتقام والخلق .

٢- صفات ذاتية ليست فعلية: كاليدين والأصابع والعين والوجه والجمال.

ويلحق بذلك الحياة والعظمة والغنى والعزة وكذلك العلو والأولية .

التقسيم الثاني :

١- صفات ثبوتية : كالعلم والمحبة والرحمة .

٢- صفات منفية : كنفي الولد والنوم والتعب .

التقسيم الثالث :

١- صفات خبرية سمعية ، لا تثبت لله إلا بالنص كالغضب والفرح والاستواء واليدين وغيرها .

٢- صفات عقلية يعرفها العقل ويدل عليها كالعلو والعلم والحياة والقوة .

التاسعة والأربعون : بيان بعض صفات الله :

الصفات الخبرية الذاتية:

المقصود بهذه الصفات : كالوجه والعينين واليدين والساق والقدم والرجل والكف والأصابع والقبضة والحقو.

والجهمية تنكر هذا النوع من الصفات ، وتقول إنها أبعاض وجوارح ينزه الله عنها ويحرفونها إلى غير معناها.

فوجه الله: قالوا معناه وجود الله وذاته وليس لله وجه حقيقة.

والعين لله: قالوا معناها الحفظ والرعاية والإعلام وليس لله عينين في الحقيقة.

واليد: عندهم معناها النعمة والقدرة.

ويقولون مثل ذلك في بقية الصفات.

ولم يفرقوا بين ما يضاف إلى الله إضافة صفة كيد الله وساقه وما يضاف له إضافة مخلوق كبيت الله وناقة الله، وبتحريفهم الباطل هذا خالفوا أهل السنة.

الصفات الخبرية الفعلية الاختيارية:

مثل النزول والمجيء والإتيان والغضب والرضا والفرح والكره والغيض والبغض والمحبة.

ومن أدلة أفعال الله الاختيارية:

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ الزخرف: ٥٥، فالانتقام وقع بعد إغضاب البشر له.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ الأعراف: ١١.

فلفظ (ثم) يدل على التعاقب وأن الكلام وقع بعد الخلق للملائكة .

وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ النحل: ٤٠ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ فقول (كن) متعلق بالإرادة وفيه إثبات الحروف.

كما أن في الآيات دليل على إثبات تعلق الكلام بالمشيئة وحدوث الكلام .

من أدلة التعاقب في كلام الله قوله ﷺ: (نبدأ بما بدأ الله به) والله بدء بالصفا.

والجهمية ينكرون هذا القسم من الصفات .

فيحرفون معنى النزول في حق الله إلى نزول أمره أو نزول رحمته أو نزول الملك بأمره ورحمته ولا ينزل الله بذاته حقيقة عندهم ، ويقولون ذلك في المجيء والإتيان.

ورحمة الله ورضاه ومحبته عندهم : هي إرادة الخير بالمخلوق أو الثواب، أو يفسرونها بالمخلوق فمثلاً يقولون رحمة الله هي المطر ورضاه الجنة.

والغضب والكره والغيظ: هي إما إرادة الانتقام أو يفسرونها بالمخلوق.

كما ينكرون صفة الاستواء الواردة في سبع مواضع من كتاب الله ويحرفونها إلى الاستيلاء ، وفروا من تشبيه الله في استواء باستواء المخلوق إلى استيلاء كاستيلاء المخلوق وزادوا كفراً على ذلك لأنه يلزم أن العرش كان مملوكا لغير الله ثم استولى الله عليه نعوذ بالله من الضلال ، ويستدلون على باطلهم ببيت مخترع.

وإن أعظم صفة يعطلها كل جهمي معطل وهي الفرق بين السني الموحد والمشرك المعطل هي صفة الاستواء، فينكرها كل فرق المعطلة بلا استثناء ، والحمد لله على الهداية والإيمان.

وهكذا عطلوا الصفات وحرفوا معناها .

وقد ذكرنا شبهاتهم التي أنكروا بها الصفات في الرد على الأشاعرة.

صفات أفعال الربوبية المتعدية:

والمقصود بها صفة الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير والتصريف إلى غير ذلك من أفعال ربوبيته تعالى، فهذه تسمى أفعالاً وصفاتاً ولا فرق لأن كل فعل يفعله الله يشتق له منه صفة ولا نفرق بينها .

والأشاعرة لا يجعلون هذه الأفعال صفات قائمة بالله وإنما هي مخلوقة، فالله لا يقوم به فعل الخلق وإنما الخلق هو نفس المخلوق وليس هناك صفة تقوم بالله، وعندهم لا يفعل الفعل متى شاء حتى لا تقوم به الحوادث بزعمهم.

وعند الماتريدية هي صفات قديمة قائمة بالله لا تحدث ولا تتجدد ولا يفعلها الله متى شاء وكل هذه الأفعال ترجع لصفة التكوين القديم كما سيأتي.

ومن أسباب ضلالهم دليلهم الجهمي الفاسد «حلول الأعراض في الأجسام والحوادث» وعدم تفريقهم بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق ، فيعتقدون أن فعل الله «الخلق» هو عين المخلوق من سماوات وبشر وبقية المخلوقات.

أما الذي عليه أهل السنة وأهل العقل التفريق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق ، فيثبتون لله صفة الخلق والفعل والرزق والإحياء إلى آخره، والفعل الذي هو الخلق مثلاً قائم بالله يفعله متى شاء، فإذا أراد الله أن يخلق زيداً خلقه بفعل قائم به سبحانه في وقت حدوث وحصول المخلوق فيحصل زيد بفعل الله (الخلق) وليس بفعل مخلوق أو فعل قديم كما يزعمون.

وأما المخلوق والمفعول فهو منفصل عن الله ، و ليس فعله وإنما حصل بفعله ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

النحل:٤٠، فَكُنْ كلامُ الله وفعلُه وهو غير المخلوق المكون المفعول.

وأفعال الله قديمة النوع حادثة الآحاد فهي أولية آخرية أزلية أبدية فالله تعالى متى شاء فعل وتكلم وأمر وخلق بفعل حادث قائم به، وأما عند المبتدعة فإن الحوادث لا تحل بالله وأفعال الله إما مخلوقة حادثة لا تقوم بالله كما تقوله الأشاعرة وإما قديمة لا تحدث كما تقوله الماتريدية وهذا عندهم لكي لا تحل به الحوادث ويقصدون بالحوادث أفعاله وصفاته التي يتصف بها ويفعلها كل حين ويكفي في نقض أصلهم قوله ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الأنبياء:٢.

وعليه فصفات الرب الاختيارية وأفعاله من الخلق والإحياء والكلام وغيرها حادثة الآحاد متجددة مع المشيئة والإرادة ، فإذا أراد الله خلق شيء وتكوينه قام به الفعل الحادث المتجدد مثل كلامه المحدث وسمعه وبصره وإرادته ونزوله وغضبه وغير ذلك، فإذا شاء فعل وخلق ، وقد ذكر الله تعالى ذلك وأن أفعاله توجد شيئا بعد شيء ، ومن ذلك أنه خلق السموات بعد الأرض ثم استوى على العرش ، ومثل ذلك رضاه وغضبه ومحبته وكرهه وكلامه وبقية أفعاله وصفاته الاختيارية.

صفة العلو:

الله ﷻفوق خلقه مستوٍ على عرشه سبحانه وهو محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء وهو ﷻ ينزل إذا شاء بذاته كيف يشاء وإذا نزل لا يحيط به شيء ولا يعلوه شيء فهو الأعلى على ما سواه سبحان ربي الأعلى ، ونؤمن بنزوله ومجيئه وإتيانه ونؤمن بقربه ومعيته ودنوه من خلقه وأن كل هذا ثابت في كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ.

وقد دل على علو الله الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة والحس فآيات

العلو والفوقية والصعود إليه والإنزال والتنزيل من لدنه والعروج إليه ونزوله سبحانه والتحذير من أن نأمن من في السماء وعروج الرسول ﷺ إليه وكلامه له من أعظم الأدلة البينة على ذلك ولا ينكرها إلا مكابر جاهل أحمق.

وسؤال الرسول ﷺ الجارية أين الله؟ فقالت: في السماء فقال: اعتقها فإنها مؤمنة، دليل على ذلك ، ورفع السبابة إلى السماء وشخوص الأبصار إليه في علوه واضطرار الفطر والحس، بل ولو سأل هؤلاء الجهمية المعطلة أطفالهم الذين دون التمييز أين الله لأجابوا بأنه فوقهم في السماء، فليتعلموا من هؤلاء الأطفال الفطرة السليمة حين انتكست فطرتهم والعياذ بالله.

وقد كتب في علو الله جمع من العلماء كالذهبي في رسالته في العلو وغيره وابن القيم في الصواعق واجتماع الجيوش والنونية .

والجهمية ينكرون صفة العلو لله ويحرفون معنى العلو والفوقية والظهور والقرب والبطون والدنو والاستواء.

وهم بإنكار علو الله وقعوا في الكفر والعياذ بالله حيث أجمع السلف على كفر من أنكر علو الله وعدم صحة الصلاة خلفه، ومن قال أن الله في كل مكان وليس فوق العرش فهو أكفر من اليهود والنصارى حيث أن لازمه إنكار وجود الله.

يقول ابن القيم في النونية في كفر منكر العلو وأن خمسمائة عالم كفروا منكره ، وقد نقل ذلك عنهم اللالكائي والطبراني:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان

وقال أبو حنيفة في الفقه الأبسط: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في

الأرض فقد كفر وكذا من قال: إنه على العرش ولا أدري العرش في السماء أو في الأرض» ثم جاء بحديث الجارية.

وقال الإمام مالك: «الله في السماء وعلمه في كل مكان» أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة وغيره.

وقال عبد الله بن المبارك: «نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية إنه ها هنا في الأرض بل على العرش استوى» رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، والدرامي في الرد على الجهمية .

وبمثل ذلك قال الإمام أحمد والإمام الشافعي رحمهم الله.

وقال الأشعري في الإبانة مثل ذلك أن الله مستوٍ على عرشه.

صفة المعية :

قال ابن عباس عن آية المعية في سورة الحديد : (عالم بكم أينما كنتم) .

أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي .

وقال الضحاك : (هو فوق العرش وعلمه معهم أينما كانوا) .

وبمثل هذا قال مقاتل والثوري ومالك وابن المديني وأحمد .

ولا تعارض بين صفتي المعية والعلو فقد تجتمع، فالمعية لا تستلزم الملاصقة والمماسة والمخالطة فقد تكون المعية بدون ذلك ،كما تقول معي صحيح البخاري وهو في مكتبتك وتقول معي مزرعة وهي في بلدك وأنت مسافر عنها ، فالله ﷻ فوق عرشه وعلمه في كل مكان كما قاله ابن عباس وجماعة من التابعين .

وزعمت الجهمية الحلولية أن صفة المعية لله ﷻ الواردة في مثل قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أنه سبحانه في كل مكان وليس في العلو بذاته المقدسة .

كلام الله:

كلام الله من أعظم صفات الله، ومن أنكره فقد أنكر القرآن وبقية الكتب التي أنزل الله فيها كلامه على رسله، وكلامه قديم النوع أي جنسه أزلي أولي يعني لا بداية له وأما آحاده وأفراده فمتجددة حادثة أبدية لا نهاية لكلماته تكلم في السابق ولا زال يتكلم متى شاء ومن كلامه نداءه الخلق يوم القيامة بصوت يسمعه القريب منه والبعيد كما في صحيح البخاري، فنثبت أن الله ينادي ويناجي ويسر ويجهر ويتكلم بحرف وصوت يسمع وأن كلام الله وصوته تعالى صفة قائمة به وليس صوت مخلوق كما تزعم الجهمية وأن كلام الله منه المحدث كما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾ الأنبياء:٢.

وقول الله ﷻ: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ طه: ١٣ دل على أن كلام الله بصوت مسموع لأن الاستماع لا يكون إلا لصوت ، وكذلك قوله : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ المائدة: ١١٦، ينقض قول الأشاعرة في مذهبهم في كلام الله وقولهم بالكلام النفسي وأن كلام الله قديم لا يتعلق بالمشيئة ولا يتجدد ويحدث ولا يسمع له صوت.

وفي قوله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ المجادلة: ٨، ردٌ أيضاً عليهم في بدعتهم وقولهم بالكلام النفساني ، حيث أن الكلام الأصل أنه باللسان وإن كان بالنفس بين وقيد .

وحديث : (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسهم ولكن ما تكلمت به) حيث فرق بين حديث النفس ولم يجعله كلاماً .

حديث : (ينادي الله بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب) . فيه ردٌّ على الأشاعرة في إنكارهم الصوت لله ﷻ .

كما أن الله ﷻ تحدى الخلق أن يأتوا بسورة ، ولو كان لفظه من جبريل لم يكن معجزا ولما صح للتحدي معنى .

وهناك دليل دامغ على الأشاعرة فيه إثبات الصوت لله ﷻ:

عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير) رواه البخاري وغيره .

وفي رواية : (ولقوله صوت ، كصوت السلسلة على الصفا). أخرجها ابن جرير الطبري، والضمير في لفظ (كأنه) يعود على صوت الله ﷻ. ويزيده تفسيراً الرواية الأخرى التي عند ابن جرير: (ولقوله صوت كصوت السلسلة) وهذا طارد لكل تأويل متوهم يستند المخالف عليه .

صفة الإلوهية:

معناها استحقاق العبودية لله ، والمتكلمون يحرفونها إلى الربوبية .

صفات المقابلة:

وهي مكر الله وكيده وخداعه واستهزائه وصفة النسيان والملل وغيرها .

وهذه الصفات والله أعلم تثبت لله تعالى على طريقتين :

الأول : تثبت لله المقابلة ، فثبت بذلك مقيدة لا مطلقة .

فالله تعالى يمكر بمن يمكر به ، ويسخر بالساخرين ، ويمل ممن يمل منه ومن

عبادته، ومله ليس عن تعب وعجز ، وينسى من نسيه، ونسيانه ليس عن غياب علم وجهل، وتكون هذه النعوت من باب المجازاة والعدل .

الثاني : تثبت لله تعالى على ظاهرها وبابها مطلقة بطريق العقوبة للكفار .

فالله تعالى يكيد بالكفار ويمكر ويسخر بهم ولو لم يكيدوا ويمكروا ويسخروا، ومن ذلك كيده ليوسف ، وكذا كونه تعالى شديد المحال وكونه يعاقب الكفار بطريق خفي وبغتة نكاية بهم وكون مكره لا يأمنه إلا ضال ، فتثبت هذه الصفات لله بهذا الوجه على وجه الإطلاق مثلها مثل الغضب والبغض فكلها تثبت مطلقة لله ﷻ في حق أعدائه.

قال ابن القيم : (قيل: إن تسمية ذلك مكرا وكيدا واستهزاءا وخداعا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة ، وقيل وهو الأصوب : بل تسميته بذلك حقيقة على بابه ، فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد والمخادعة) إعلام الموقعين ٣/ ٢٢٩.

صفة الحلم :

وهي صفة لازمة ذاتية لا تنفك عنه تعالى فيحلم عن خلقه مؤمنهم وكافرهم.

صفة الرحمة :

فائدة هل الرحمة صفة فعلية تنفك عن الله أم صفة ذاتية من لوازم ذاته ولا تنفك عنه استنادا لقوله: سبقت رحمتي غضبي .

أما صفة الرحمة فصفة فعلية فيرحم من كتب الله له الرحمة لعباده المؤمنين ويرحم الدواب والكفار في أرزاقهم وينزعها عمن لعنه الله، فاللعن ضد الرحمة فهو

الطرد عن رحمة الله والإبعاد ، وليس ضد الرحمة البغض بل ضده المحبة والرضا ضد الغضب وضد الرحمة عدمها وهي اللعن.

فائدة : السر في قرن اسم الرحمن لصفة الاستواء على العرش ، والله أعلم أن العرش محيط بالمخلوقات والرحمة شاملة لهم.

صفة الحساب

الله تعالى يحاسب الناس في ساعة كما يسمعهم وهم يناجونه في ساعة واحدة:

قال ابن تيمية : (والله يحاسب الناس في ساعة واحدة لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا وكذلك إذا ناجوه أو دعوه وما يقوله لكل مصلي إذا قرأ الفاتحة والناس يصلون في ساعة واحدة ، وقد روي عن ابن عباس قيل له كيف يحاسب الله الخلق في ساعة واحدة فقال كما يرزقهم في ساعة واحدة) الدرء ٤/ ١٢٩ .

فائدة : الله تعالى يؤذيه المخلوق ولكن لا يضره .

والأذى ما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه .

والأدلة على إثبات الأذى دون الضرر :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ﴾ الأحزاب: ٥٧.

وفي الحديث يقول ﷺ : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر.

والله يقول: ياعبادي لن تبلغوا ضري فتضروني .

وقال تعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ آل عمران: ١١١.

وروي عن النبي ﷺ : القر بؤس والحر أذى .

الخمسون: فصل: العقائد الناقضة لتوحيد الأسماء والصفات والمخالفات فيه:

الأول : التعطيل :

وهو تعطيل الله عن أسمائه وصفاته وكماله،فيعطل توحيد الأسماء والصفات .

كأن يقال : ليس لله صفة الكلام والرضا والمكر بأعدائه ونحو ذلك.

وينقسم إلى :

١- تعطيل كلي .

٢- تعطيل جزئي ، ولو كان في صفة واحدة كالصورة والصوت.

التعطيل نوعان :

١- تعطيل الله عن كماله وربوبيته وصفاته.

٢- تعطيل الله تعالى عن عبادة وألوهيته.

الثاني : التمثيل :

وهو نوعان :

١- تمثيل الله بخلقه .

كأن يقال : يد الله كيد المخلوق ، أو الله ينزل ويأتي كنزول المخلوق وإتيانه ، أو الله تعالى يحتاج لواسطة مثل ملوك البشر أو يحتاج لمن يشفع عنده ويسترحمه .

٢- تمثيل المخلوق بالله تعالى .

كأن يقال : الأولياء يدعون مثل الله ويستغاث بهم ويملكون النفع والضر.

أو أن الرسول ﷺ يعلم الغيب ويقدر على كل شيء وينفع مثل الله .

الثالث : التحريف باسم التأويل .

وهو تغيير معنى صفات الله وتفسير آيات الصفات.

وينقسم إلى :

١- تحريف لفظي كتحريف اليهود لكتاب الله لفظا ، وكتحريف الجهمية : (وكلم الله موسى) بنصب لفظ الجلالة الله على أنه المكلم وموسى المتكلم وليس الله .

٢- تحريف معنوي :

كأن يقال : يد الله معناها القدرة والنعمة .

غضب الله ورضاه معناها إرادة عقوبة الخلق وإثابتهم .

وذهبت الجهمية من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية إلى تأويل كل نص يخالف هواهم فيفسرونه بمعنى آخر ويحرفونه ويدعون أن هذا تأويل شرعي سائغ في اللغة، وتأويلهم للنصوص طال الصفات والقدر والإيمان وأبواب أخرى، والقول بالتأويل ما هو إلا ثمرة لأصلهم ومنهجهم في مصدر التلقي والاستدلال.

والتأويل الوارد في الشرع غير المقصود عند المتكلمين فقد جاء التأويل في الشرع على معانٍ :

الأول: بمعنى التفسير.

والثاني: بمعنى ما يؤول ويصير إليه الشيء، فهو بمعنى الحقيقة والمآل والعاقبة والمصير ونفس المراد بالكلام ووقوع المخبر به، ومن أدلة هذه المعاني:

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ ، ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

وأما التأويل في اصطلاح المتكلمين : فهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى احتمال مرجوح بدليل يقترن به .

والمجاز أحد طرق التأويل، فهو صرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز.

أسباب ودواعي التأويل عند المبتدعة:

١- يظنون أن النصوص ظاهرها يوهم ما لا يليق بالله من التشبيه والتجسيم.

٢- زعمهم أنها تعارض العقل والعبرة بما يقتضيه العقل فهو المصدر والحجة.

الرابع : التكييف :

معناه أن يقال استواء الله كيفيته كذا وكذا ، أو يد الله كيفيتها هكذا.

وصفات الله لها كيف لكنا نجهله ، لأننا لا نحيط به علما فيجب أن يقطع الطمع عن إدراك الكيفية ، وأما تفسير المعنى فنعرفه.

فمثلاً لله غضب وإرادة وقوة وعلم يليق به نعرف وندرك معانيها، أما الكُنْه والكيف فلا نعلم حقيقتها، وكذلك اليد والوجه له تعالى نعرف معانيها ولكن لا ندرك كيفية وجه الله ولا يديه ولا عينيه ﷻ.

الخامس : التفويض :

أقسام التفويض:

الأول: تفويض الكيفية:

وهو تفويض السلف وأهل السنة وذلك أن السلف وأهل السنة يثبون صفات الله كما جاءت ويعرفون معناها ولكن لا يخوضون في كيفيتها وإنما يُمِرُّونها ويؤمنون بها، فمثلاً إذا وردت آية فيها صفة الغضب لله فإنهم يخشون من آثارها ويعلمون معنى الغضب ويستعيذون بالله منه، وإذا سمعوا آية في صفة الرضا مثلاً أو الرحمة أو المحبة علموا معناها وفرحوا بها وطلبوا من الله تحققها فيهم فيطمعون في رضا الله ورحمته ويخافون من غضبه وأليم عقابه، وهذه كلها صفات لله وليست مخلوقة فهم حين يرجون رحمة الله إنما يرجون نفس الله وصفته التي هي رحمته ورضاه، وما يترتب عليها من آثار من العافية ودخول الجنة.

الثاني: تفويض المعنى:

وهو تفويض الخلف والمبتدعة، وأصحابه هم الذين يسمون بالمفوضة في مقابلة المؤولة ، ومعناه أن يقال لله رحمة لا ندري ما معناها ولله يد ولا ندري ما معنى اليد فنفوض المعنى إلى الله ، فالله أعلم بها وكأن الله خاطبنا بكلام غير مفهوم ولا معروف، وما الفائدة من ذلك وهؤلاء المفوضة يزعمون أنه لا فرق عندهم بين الإيمان برضا الله وغضبه ولا يعرفون الفرق بين غضب الله ورضاه ، ويزعمون أن هذا هو منهج السلف افتراء عليهم.

السادس : الإلحاد :

معنى الإلحاد في أسماء الله :

الميل عن القول الحق فيها ووترك توحيد الله تعالى بها إلى الشرك فيها بالتعطيل أو التمثيل .

ومن أمثلته وأنواعه:

١ - أن يسمى الله تعالى بما ليس من أسمائه ، كالأب والعلة ، أو يوصف الله بما ليس من صفاته كالحزن والتعب وكقول اليهود لعنهم الله: أنه فقير ويده مغلوله .

٢- أن ينفى عن الله ما هو من صفاته ويعطل عن كماله وتوحيده.

٣- أن يسمى المخلوق بأسماء الله ، أو يوصف خلقه ببعض صفات الله تعالى .

٤- أن يمثل الله تقدس سبحانه بالمخلوقين .

ومن إلحاد الملحدين في آيات الصفات :

١- زعمهم وجود تعارض بين العقل والنقل ، وأن نصوص الصفات لا يقرها العقل.

٢- زعمهم أن دلالة نصوص الصفات ظنية وليست يقينية الدلالة وقطعية.

٣- قولهم بالمجاز في نصوص الصفات .

٤- قولهم فيها بالتأويل والتفويض فيؤولون الآيات حسب هواهم ومشتهاهم ، ويفوضون معاني النصوص التي لا توافق أهوائهم.

٥- نسبة التشابه لنصوص الصفات ، فيزعمون أنها من المتشابه لا المحكم.

٦- عدم احتجاجهم بأحاديث الآحاد في الصفات فليست حجة عندهم.

مبحث : الرد على المعطلة والجهمية في قولهم بالتأويل والتفويض في الصفات:

أولاً : مفاسد تأويلهم :

وقد هدم أصولهم ابن تيمية في درء التعارض ونقض التأسيس، وذكر تناقضهم وأن حقيقة تأويلهم لا يختلف عن حقيقة تأويلات الفلاسفة والباطنية لأن تأويلهم بدون مستند ولا دليل يقتضيه فتأويلهم هو تحريف في الحقيقة.

فقال رحمه الله في درء التعارض: «قيل لهم ما الفرق بين ما جوزتم تأويله فصرفتموه عن مفهومه الظاهر ومعناه البين وبين ما أقررتموه » ٥/ ٣٤٣.

وقال فيه : «لذا كان ابن النفيس يقول ليس إلا مذهبان مذهب أهل الحديث أو مذهب الفلاسفة، فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التناقض ؛ وذلك لأن أهل الحديث أثبتوا كل ما جاء به الرسول وأولئك جعلوا الجميع تخيلاً » ١/ ٢٠٣.

كما نقض ابن القيم في كتاب الصواعق المرسلة القول بالتأويل ولوازم قولهم ، فقال: «ومن لوازم التأويل أن يكون الله سبحانه وتعالى أنزل في كتابه وسنة نبيه ﷺ من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل، ومنها أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب ولم يفصح به بل رمز وألغز، ومنها أن يكون قد كلف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، ومنها أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا عن قول الحق في هذا الشأن العظيم الذي من أهم الأصول إما جهلاً أو كتماناً، ومنها أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص والقرآن كان أنفع لهم وأقرب للصواب من تعرضهم للضلال ..» ١/ ٣١٤.

ثانياً : لوازم التفويض الفاسد :

أولاً: القدح في حكمة الله حيث أنزل كلاماً لا يتمكن المخاطبون من فهمه.

ثانياً: الوقوع في التعطيل المحض فإن حقيقة إنكار المعنى وتجهيله هو حقيقة التعطيل.

ثالثاً: الطعن في القرآن وإنكار كونه تبياناً لكل شيء.

رابعاً: إغلاق باب تدبر القرآن ومعرفة تفسيره ومعرفة آثار الصفات والعمل بمقتضاها.

خامساً: مصادمة النصوص وتعطيلها عن معانيها.

سادساً: تجهيل النبي ﷺ وأصحابه، وتكذيبهم في قولهم أنهم يعلمون كل آية في القرآن ولا يوجد شيء منه لا يعرف معناه.

سابعاً: استطالة الملاحدة والفلاسفة على المسلمين بدعوى التفويض، مثل ما قيل في التأويل.

وقد بين أهل العلم فساد قولهم :

فهذا الإمام مالك يقول: «الاستواء معلوم والكيف مجهول». وهم يقولون منهج السلف أن الاستواء غير معلوم ولا يعلم تأويله ومعناه أحد.

قال ابن بطة في تفسير الصفات : (ولا يعمل لها التفاسير إلا ما فسره رسول الله ﷺ أو رجل من علماء الأمة) الإبانة ١٤٢ . وفي هذا رد على المفوضة .

قال ابن تيمية : «ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما أنزل إليهم وأمر بتدبير القرآن ، ومع هذا فأشرف ما فيه هو ما أخبر

الرب عن صفاته ، ويقول هؤلاء: لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول يبين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين» ١/ ٢٥٠.

تنبيه : معنى قول بعض السلف إثبات الصفات بلا معنى، ومرادهم بالمعنى :

١ – المعاني الباطلة التي يفسرها المبتدعة كالاستيلاء .

٢ – أن يكون المقصود به الكيفية ، وإلا فهم قد قالوا: الاستواء معلوم .

ثالثاً : الرد على زعم الأشاعرة أن الإشارة مع الصفة من مذهب المجسمة وإثبات أن الرسول ﷺ فعله في بعض صفات الله ﷻ:

الإشارة مع الصفة فعله الرسول ﷺ في أكثر من موقف وفيها دليل على أن الصفات معروفة المعنى خلافاً لزعم المفوضة والمعطلة.

ومن أمثلة إشارة الرسول ﷺ في تبيينه لصفات الله ﷻ:

١ – حديث يضع السموات على أصبع رواه الشيخان . وعند الترمذي على ذه وأشر بخنصره أولا حتى بلغ الإبهام .

وأقره الرسول ﷺ . كما فعله الإمام أحمد كما في السنة لعبدالله .

٢ – أن الرسول ﷺ وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه حين قرأ : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء: ٥٨. رواه أبو داود .

٣– حديث القبضة : عن ابن عمر قال سمعت الرسول ﷺ يقول يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده وقبض الرسول ﷺ بيده فجعل يقبضها ويبسطها) رواه مسلم.

٤- حديث أنس قال ﷺ إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يقلبها، وقال رسول الله ﷺ هكذا وأشار بأصبعيه ، رواه الدارقطني في الصفات وابن منده في التوحيد ، وفيه : أن الثوري حرك السبابة والوسطى .

ولا يصح ما روي عن مالك وأحمد وغيره أنه قال : قطعها الله لما أومأ بيده في آية القبضة .

تنبيه : من أعظم ما يراد على مزاعم أهل التأويل:

حديث: «مرضت فلم تعدني» حيث وضح الرب ﷻ مراده من كلامه لما كان ظاهره غير مراد ففسر كلامه ﷻ بأن عبده مرض فلم يُعَدْ وهذا معنى مرضت فلم تعدني ، مما يدل دلالة صريحة وبمفهوم الكلام السابق أن الكلام الذي لم يفسره الرب ﷻ أنه يريد ظاهره مثل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ طه:٥ وغير ذلك ولا يريد معنى آخر غير الظاهر من الكلام إذ لو أراده لبينه وفسره ، فتأمل.

كما أن في أمثال قوله تعالى : ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الأنعام: ١٥٨ ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ النحل: ٣٣ ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ البقرة: ٢١٠ ، رد على أهل التأويل المعطلة فصرح بإتيان الله، وجمع بينه وبين إتيان الملائكة وإتيان الله وأمره ، مما يدل على أن المقصود بإتيان الله إتيانه بذاته حقيقة ، وإذا أطلق ولم يقيد بأمره أو بملائكته دل على أن الله هو الآتي بذاته .

تنبيه: لا دليل لهم في مثل قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ التوبة:٦٧ .

فإن النسيان له معنيان :

١- عدم العلم وهذا منتفٍ عن الله ﷻ بدليلٍ نصِّيٍّ وهو قوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ طه:٥٢ .

٢- الترك عن علم عمداً وهو المقصود .

قال ابن عباس : تركهم من كرامته وثوابه.

وقريب منه حديث: (لا يمل حتى تملوا) وأحاديث أخرى لا دليل فيها للمتكلمين ظنوا أن فيها دلالة على وجوب التأويل الذي زعموه نعرض عنها اختصاراً .

تنبيه : مما يبطل دعوى الأشاعرة في التأويل والتفويض:

١- إشارة الرسول ﷺ مفسراً بها بعض الصفات .

٢- تفسير الصحابة للصفات ، كما فسر ابن عباس ﷺ للصمد والاستواء .

٣- أن التأويل والتفويض من التحريف والتبديل الذي كان عليه اليهود .

٤- ما يلزمهم من لوازم كفرية باطلة منها تجهيل الرسل والجهل بالله .

قال ابن تيمية : (فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء لا يعلمون معاني ما أنزل ويقولون كلاما لا يعقلون معناه، وهذا طعن في القرآن والأنبياء) درء التعارض١/ ٢٠٤.

الفصل الخامس

الشهادة

لا إلـــه إلا الله

المسألة الأولى : حقيقة الشهادة ومراتبها :

الشهادة لا تعتبر شهادة إلا إذا اشتملت على أربع مراتب .

الأولى : علم الشاهد بها ومعرفته لها واعتقاد صحة ما شهد به وثبوتها عنده .

الثانية : تكلم الشاهد بذلك ونطقه بها .

الثالثة : أن يعلّم الشاهد غيره ما شهد به ويخبره به ويبينه له .

الرابعة : أن يلتزم بمضمونها ويلزم غيره بما شهد به ويأمره بها ويحكم بها.

فشهادة الله ﷻ لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك سبحانه وتعالى وتكلمه به وإعلامه وإخباره وبيانه لخلقه وأمرهم وإلزامهم به .

وكذا شهادة المسلم بالتوحيد لا بد أن تقوم على هذه المراتب الأربع كما هو مقرر عند أهل السنة واللغة . ذكره ابن القيم وابن أبي العز.

المسألة الثانية : دخول الشهادتين في الإسلام والإيمان :

تدخل لا إله إلا الله في ركن الإيمان بالله القائم على الجانب الاعتقادي القلبي الباطن.

وتدخل في الإسلام القائم على الجانب العملي الظاهر والعمل بالتوحيد.

المسألة الثالثة: السر في كون الشهادتين من أركان الإسلام :

لأن الشهادتين والنطق بهما والعمل بمقتضاها والإيمان بمضمونها هو عنوان الإسلام وبها يميز بين المسلم والكافر ويدخل بها الكافر في الإسلام ويخرج المسلم بتركها أو الإخلال بها ونقضها من الإسلام إلى الكفر والردة .

كذلك هي من الأعمال الظاهرة فكانت من الإسلام مثل الصلاة ، مع أن الإيمان وأركانه والإحسان يدخل في الشهادتين في الجملة .

المسألة الرابعة: علاقة الشهادة بالإيمان بالله وأركان الإسلام:

الإيمان بالله الذي هو الركن الأول في الإيمان داخل في شهادة أن لا إله إلا الله مطابقة وتضمناً وتدخل بقية أركان الإيمان الستة في لا إله إلا الله من باب اللزوم .

ووجه ذلك أن الإيمان بالله ﷻ يعني الإيمان بوجوده والإيمان بتوحيد ربوبيته وتوحيده في ألوهيته ووحدانية أسمائه وصفاته . وهذا هو التوحيد الذي دلت عليه كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، أي لا رب ولا إله معبود إلا الله ، ولا كامل في أسمائه وأوصافه وأفعاله ومنزه في صفاته وأفعاله غير الله .

وإن كان الإيمان يعني بالجانب الاعتقادي الباطن القلبي والإسلام الجانب العملي الظاهر .

كما أن لا إله إلا الله قولها والعمل بها داخل في الإيمان لحديث أبي هريرة ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله) .

فلا بد من الإيمان بلا إله إلا الله تصديقاً بها بالقلب وقولا لها باللسان وعملاً بمقتضاها وحقها ولوازمها بالجوارح .

المسألة الخامسة: دلالات لا إله إلا الله على الدين :

تدل كلمة التوحيد على توحيد الألوهية والكفر بالطاغوت مطابقة .

وتدل على الإيمان بالله والربوبية والصفات والولاء والبراء تضمناً .

وتدل على بقية أركان الإيمان الخمسة وأركان الإسلام الأربعة الباقية ملازمة.

والمقصود أن لا إله إلا الله تدل على الدين كله بأحد الدلالات الثلاث .

المسألة السادسة: معنى كلمة لا إله إلا الله :

معناها لا معبود بحق إلا الله، هذا معنى هذه الكلمة ودلالتها، ومضمونها الذي دلت عليه أنه لا معبود بحق إلا الله وأن كل معبود غير الله ﷻ فهو معبود باطل وعبادته شرك وكفر وفساد .

لأن الإله معناه المعبود والألوهية هي العبادة ، ونفى الله أن يكون هناك معبود يستحق العبادة والألوهية غيره سبحانه وتعالى، وأن الآلهة والمعبودات التي يعبدها المشركون كلها باطلة فاسدة .

فائدة : دليل تقدير كلمة حق في قولنا لا معبود بحقٍ إلا الله ، قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لقمان: ٣٠ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الحج: ٦٢ ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ الرعد: ١٤ .

المسألة السابعة : تفسير النبي ﷺ لشهادة التوحيد .

تقدم بيانه في الفصل الأول (حقيقة التوحيد) .

المسألة الثامنة : أركان لا إله إلا الله : لها ركنان : النفي والإثبات :

الركن الأول : النفي في [لا إله] : نفي الألوهية والعبادة (الكفر بالطاغوت):

المقصود به نفي كل إله ومعبود عبد في هذه الدنيا، فلا تنبغي العبادات لأي إله اتخذه الناس معبودا لهم إلا لله تعالى وحده ، والنفي في (لا إله) ليس متعلق بالوجود والماهية والكونية وإنما النفي متعلق بالأحقية والاستحقاق، أي أن الله تبارك وتعالى لا ينفي وجود آلهة تعبد وإنما ينفي وجود آلهة تستحق العبادة، يعني أن المنفي المعبودات بحق فلا توجد، أما التي تعبد بظلم وضلال وباطل فكثيرة، حيث سمى الله الأصنام آلهة والهوى إله وعيسى وأمه إلهين، وذلك لكونهم يعبدون ولكن يعبدون بغير وجه حق.

فجاءت هذه الكلمة لتنفي كل هذه المعبودات، ولتحرّم صرف أي عبادة لأي مخلوق من الملائكة والجن والأنبياء والأولياء والحيوان والشمس والقمر والنجوم والكواكب والأصنام والأوثان والأحجار والأشجار والنار والدنيا والهوى والنفس وغيرها مما يعبده الخلق، فيجب أن تكون عبادة المخلوق لله وحده ويجب أن يكفر بإلوهيته وعبادة كل ما سوى الله ويكفّر من يعبده ويقاتله .

وهذا الركن لا يدخل المرء الإسلام إلا به ولا تقبل كلمة لا إله إلا الله إلا بالإتيان به، فكم من الناس ممن يدعي الإسلام ويعبد الله ولا يعبد غيره تجده لا ينفي العبادة عن غير الله ولا يكفر بعبادة غير الله ولا يتبرأ من الآلهة والمعبودات التي تعبد ولا يكفّر أصحابها ! ، فترى الكثير يخالط عبّاد القبور ولا يتبرأ منهم ويرى من يذبح للجن وللقبور ولا يكفرهم ويرى من يستغيث بالرسول ﷺ والأموات ولا يكفر

بهم وبعبادتهم ولا يعاديهم، ويرى المحاكم الوثنية التي تحكم بالقوانين الوضعية التي تصادم أحكام الشريعة وتكفر بحكم الله ثم لا يكفر بها ولا يكفّر أصحابها ، فهذا لا يدخل صاحبه في الإسلام ويعتبر ناقض لأحد ركني لا إله إلا الله.

وإذا أردت أن تفهم هذا الأصل فتدبر قول الله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦ فانظر كيف قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله .وتأمل قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ص:٥ وانظر إلى كلام قريش للرسول ﷺ نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة، وطلبهم منه إن لا يذكر آلهتهم بسوء ولا يسفه أحلامهم ولا يشتم آلهتهم ولا يكفر آبائهم، أو لم يكن الرسول ﷺ يتحنث في غار حراء حتى وصل عمره أربعون سنة، لا يعبد الأوثان ولم يكن أحد يعاديه ويؤذيه .ولّما أمر ﷺ بهجر الأصنام والكفر بها وهجر الرجز وعداوتها وعداوة أصحابها ومناداة قومه بـ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ بودر بالعداء منهم وقاتلوه، فدين التوحيد لا يقوم إلا بالبراءة من المشركين والمرتدين وتكفيرهم ومن ظن أن الإسلام مجرد دين سلام ووئام فليس معه من الإسلام شيء .

ثم انظر إلى جوابه ﷺ لعمرو بن عَبَسَة حين سأله بماذا بعثت فقال ﷺ : (**بالكفر بالأوثان وصلة الأرحام**) رواه مسلم وفي رواية:كسر الأوثان،وهو أشد من مجرد الكفر بها لأنه كفر مع جهاد ، وعباد الأمن والسلم في زماننا لا يريدون ذلك.

ثم ألا ترى أن الله أثنى على إبراهيم وأمرنا بالاقتداء به والأخذ بملته وأخبرنا ﷻ أنه لا ﴿ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ ، وذلك لـمّا كفر بالمعبودات وكفّر أصحابها وتبرأ من كل معبود عبده الناس إلا الله ﷻ وهذه أخص صفة لملته

كما قال ﷻ عنه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ الممتحنة ٤ ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء٧٧.

واعلم أني ما سقت هذا الكلام وقررته بالبيان إلا لكثرة المشاغبين حوله من مرجئة هذا الزمان وأذناب عباد الأوثان ممن يدعي السلفية والتوحيد، والتوحيد يلعنه، فهم يريدون ديناً لا موالاة فيه ولا براء ولا تكفير ولا جهاد، وأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر مهما فعل ولو أشرك وعبد القبور والأموات ولو حكم بالقوانين الوضعية ولو والى المشركين وظاهرهم على المسلمين، ولم يعلموا أن كل واحدة من هذه وغيرها تنقض لا إله إلا الله وتبطل معناها وتفسد مدلولها ولا تنفع قائلها .

ويا لله كم هم الجهال بهذا الأصل من مشركي زماننا ، من عباد القبور ، وممن يوالي الكافرين ولا يعاديهم ، وممن يشرّع القوانين ولا يحكم بالشريعة ، ويحسبون أنهم مع ذلك مسلمون.

الركن الثاني : الإثبات [إلا الله] إثبات الألوهية لله (الإيمان بالله وحده):

المقصود بهذا الركن إثبات الألوهية والعبادة بجميع صورها وأفرادها وأركانها لله وحده المعبود بحق لا شريك له، والقيام بواجبه سبحانه من عبادته وحكمه، والانقياد لأمره، ومحبته وولايته وعدم الاستكبار والاستنكاف عن عبادته ومن الأدلة عليه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الصافات: ٣٥.

المسألة التاسعة : شهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد :

دلت لا إله إلا الله على التوحيد لكونها قائمة على الحصر، الذي هو النفي والإثبات وهذا هو التوحيد، فلا يسمى الأمر توحيداً إلا إذا كان فيه أسلوب الحصر النفي والإثبات، نفي الألوهية والعبادة عن كل من سوى الله ﷻ، وإثباتها لله وحده لا شريك له وحصرها عليه .

هذا وقد دلت كلمة التوحيد لا إله إلا الله على توحيد الألوهية بالمطابقة وعلى توحيد الربوبية والصفات بالتضمن والملازمة .

المسألة العاشرة : الكفر بالطاغوت أحد ركني لا إله إلا الله :

الكفر بالطاغوت دلت عليه كلمة التوحيد وهو مرادف لجملة النفي في هذه الكلمة (لا إله) .

والطاغوت هو: كل ما تجوّز الحد من متبوع أو مطاع أو معبود .

والكفر به يكون بالقلب واللسان والجوارح .

وبسطنا المسائل المتعلقة بالطاغوت في فصل مستقل .

المسألة الحادية عشر: شهادة أن لا إله إلا الله ينقضها أمران :

الأول: ترك عبادة الله أو نفي جنس منها عن الله أو نفي استحقاقها لله.

الثاني: إثبات استحقاق أي نوع من أنواع العبادة لأي مخلوق .

فالأول هو الكافر والثاني هو المشرك ، وكل قول أو اعتقاد أو تصرف وعمل يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الردة .

المسألة الثانية عشر: مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله :

قولها باللسان والعمل بمقتضاها والالتزام بما دلت عليه من عبادة الله وحده وطاعته والإذعان لأمره والانقياد لشرعه والتسليم لرسوله والكفر بعبادة كل ما سواه وترك كل العبادات المبتدعة وعدم صرف شيء من العبادات لغير الله والبراءة من المشركين والكفار ومعبوداتهم وكفرهم .

قال ابن القيم : (وروح هذه الكلمة وسرها إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلا عليه ولا يرغب إلا إليه ولا يرهب إلا منه ولا يحلف إلا باسمه ولا ينذر إلا له ولا يتاب إلا إليه ولا يطاع إلا أمره ولا يتحسب إلا به ولا يستغاث في الشدائد إلا به ولا يلتجأ إلا إليه ولا يسجد إلا له ولا يذبح إلا له وباسمه ، ويجتمع ذلك في حرف واحد وهو أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله) الجواب الكافي ٢٣٣.

المسألة الثالثة عشر: شروط لا إله إلا الله :

لهذه الكلمة سبعة شروط ، لا تصح شهادته وتوحيده إلا بها وهي :

العلم ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص ، والمحبة ، والقبول ، والانقياد .

وقد شرحناها وحققنا مسائلها في مصنف مستقل .

المسألة الرابعة عشر: متى تنفع كلمة لا إله إلا الله صاحبها :

لا تنفع هذه الكلمة صاحبها وقائلها إلا إذا قالها بلسانه واعتقد معناها بقلبه وعمل بمقتضاها بجوارحه ولا يكون ذلك إلا إذا أتى بثلاثة أمور :

١- الإتيان بأركانها الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وترك الشرك قصدا.

٢- العمل بشروطها السبعة .

٣- عدم الإخلال بها ولا الإتيان بناقض من نواقضها .

وهذه القاعدة النافعة تخص المسلم الملتزم بها، أما الكافر فيدخل في الإسلام بمجرد قولها ثم إذا دخل في الإسلام والتزم به وعُرِّف بأركانه وقواعده طولب بذلك بأن لا ينقضها وأن يتقيد بشروطها وأركانها فإن التزم وإلا اعتبر مرتداً كافراً .

تنبيه : لا تنفع لا إله إلا الله إلا العالم بمعناها العامل بمقتضاها .

ولا بد في قبول كلمة التوحيد من ترك الشرك قصدا . وتقدم الكلام ص٦٧ .

المسألة الخامسة عشر: نواقضها :

لكلمة (لا إله إلا الله) نواقض كثيرة تبطلها ، وأصولها عشرة نواقض، وهي :

الشرك ، اتخاذ الوسائط والشفعاء ، بغض الله أو رسوله أو دينه أو شيء مما جاء به ، الاستهزاء بشيء من الدين ، الحكم بغير ما أنزل الله باعتقاد أن هدي غير الرسول أفضل من هديه وحكمه أو بالعمل بغير الشريعة ، من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ ، السحر ، مظاهرة الكفار على المسلمين ، عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم ، الإعراض عن الدين وعدم تعلّمه والعمل به .

وقد شرحناها وبيّنا حقائقها في كتاب مسقل .

المسألة السادسة عشر : كلمة التوحيد قول واعتقاد وعمل :

لما كانت لا إله إلا الله من التوحيد والتوحيد من الإيمان، والإيمان قول وعمل، كانت لا إله إلا الله تقوم على ثلاثة أركان .

الأول : قولها باللسان والنطق بها وهذا الذي يدخل به المرء في الإسلام ويعصم به الدم والمال للحديث :(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله).

ولا يعذر أحد عن التكلم بها إلا الأخرس، والأعجمي يلقّن بها ويفهّم معناها .

الثاني : اعتقاد معناها بالقلب بتصديقها ومحبتها وقبولها واليقين بها .

ومن اختل فيه هذا الشرط فهو المنافق الذي يقولها بلسانه ويكفر بها بقلبه بأي نوع من أنواع الكفر المتعلق بالقلب من التكذيب أو الشك أو البغض ونحوه .

الثالث : العمل بها والالتزام بمقتضاها وأركانها وعدم ارتكاب فعل يخل بها أو ينقضها بل عليه أن ينقاد لها ويخلص فيها .

هذا وقد ظن الجهال أن حديث : " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " ينافي أن تكون قولاً وعملاً ، وجعل المرجئة هذا الحديث عمدتهم فيما أتوا به من الباطل الذي أصلوه وهو أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة مهما ترك ومهما عمل ، وقد أجبنا عليهم في ردنا على المرجئة والأشاعرة .

المسألة السابعة عشر : قيام كلمة لا إله إلا الله على ثلاث مقامات :

الأولى : النسك والتعبد :

ويقوم هذا القسم على أغلب العبادات الباطنة من المحبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرها والظاهرة من الدعاء والصلاة والصيام والسجود والقيام والركوع والطواف والذبح والحج والنذر والصدقة والجهاد والحمد والذكر ويدل لهذا الأصل أدلة منها : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨.

الثاني : الحكم :

ويقوم هذا المقام على الحكم بما أنزل الله ﷻ والتحاكم إلى شرعه وقبوله ورفض ما سواه وطاعة الله ورسوله فقط، وهذا المقام يدخل فيه شهادة أن محمدا رسول الله والتوحيد في متابعته والاقتداء بهدية والعمل به والانقياد والتسليم والإذعان لحكم الله ورسوله .

وينقض هذا القسم تشريع القوانين وسن الدين وتحليل الحرام وتحريم الحلال والحكم بغير ما أنزل وطاعة المشركين المشرعين والتحاكم إلى غير شرع الله .

ومما يدل على وجوب التوحيد في الحكم والأمر والتشريع والطاعة والتحاكم:

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ يوسف: ٤٠ ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦ ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ الأنعام: ١١٤ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

الثالث : الولاية :

ويقوم هذا المقام على الولاء والبراء في الله بموالاة الله ورسوله ودينه وأولياءه ومعاداة أعدائه والبراءة منهم ومن دينهم ومعبوداتهم .

ومما يدخل في هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى التوحيد وإلتزامه والإلزام به والجهاد في سبيل الله وتكفير المشركين والكافرين والمرتدين.

يدل على وجوب التوحيد في الولاء أدلة منها: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ المائدة: ٥٥ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ الأنعام: ١٤ ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الكهف: ١٠٢ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾ الشورى: ٩ ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة ٤ ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾.

فتأمل كيف جاء التنصيص على الولاء والبراء بصيغة التوحيد (النفي والإثبات) لا ولي ولا ولاء إلا لله وفي الله ، وهذا يدل على أهمية هذا الأصل .

ومن الآيات الدالة على ركنية الولاء والبراء في الدين : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ .

المسألة الثامنة عشر : أسماء كلمة التوحيد لا إله إلا الله :

١- كلمة الإخلاص . ٢- كلمة التوحيد .

٣- كلمة التقوى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ الفتح: ٢٦.

٤- العروة الوثقى: ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

٥- كلمة الإحسان .

٦- دعوة الحق : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ الرعد: ١٤ .

٧- شهادة الحق: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ الزخرف: ٨٦ .

٨- القول الثابت: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ إبراهيم: ٢٧.

٩- كلمة الصدق: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ الزمر: ٣٣.

١٠- مقاليد السموات والأرض: قال ابن عباس : هي: لا إله إلا الله .

١١- الاستقامة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ . قول لا إله إلا الله .

١٢- العهد: ﴿ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ قال ابن عباس: قول لا إله إلا الله.

١٣- الكلمة العليا : ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ التوبة: ٤٠

١٤- كلمة الله: ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ التوبة: ٤٠.

١٥- النجاة : ﴿ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ ﴾ غافر: ٤١ ، هو قول لا إله إلا الله .

١٦- الكلمة الباقية : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً ﴾ الزخرف: ٢٨.

١٧- الكلمة الطيبة: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ إبراهيم: ٢٤.

١٨- الكلمة السواء : ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ .

المسألة التاسعة عشر : فضائل لا إله إلا الله :

يدخل المرء بها في الإسلام ويدخل بها الجنة وينجو من النار ويحقن دمه وعليها قامت السموات والأرض وبها يحصل الأمن والسعادة والرضا في الدنيا والآخرة ، وقدمنا بعض فوائدها في فضل التوحيد وتوحيد الألوهية.

تنبيه : جمع ابن عبدالهادي في فضائل كلمة التوحيد أكثر من مائتي فائدة .

المسألة العشرون لا إله إلا الله دعوة جميع الأنبياء والرسل :

والدليل لذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ وشهد بهذه الكلمة كل أهل العلم والأنبياء في مقدمتهم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨ .

واعلم أن أهل النار جميعهم دعوا للإله إلا الله والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ الصافات: ٣٥.

المسألة الحادية والعشرون : إعراب كلمة لا إله إلا الله :

(لا) هي لا النافية للجنس .

(إله) اسمها مبني معها على الفتح. والخبر محذوف تقديره بحق .

(إلا) أداة استثناء .

(الله) لفظ الجلالة مستثنى وهو مرفوع . والعامل فيه هو العامل في الخبر لأنه بدل منه أو هو عطف أو صفة . والعامل لا النافية للجنس .

المسألة الثانية والعشرون : فوائد من قول : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) .

(وحده) هذه الكلمة لتأكيد التوحيد الذي دل عليه لا إله إلا الله.

(لا شريك له) نفي للشريك الذي يصرف له العبادة شركاً مع الله وهذا تأكيد ثاني للتوحيد .

(له الملك) فيه دلالة على أن الذي يستحق العبادة هو المالك للعباد ولا يستحقها عبد مملوك ، والمالك الذي له الملك هو الله وحده المعبود وما سواه فهو عبد مملوك.

(وله الحمد) فيها الاعتراف بأن الشكر والحمد والمدح لله وحده المتفضل بالنعم على خلقه .

(يحيي ويميت) فيه دلالة على أن الذي يستحق العبادة هو المحيي المميت الخالق وهذه أخص صفات الربوبية فلا يستحق العبادة إلا من يحيي ويخلق ويميت.

(وهو على كل شيء قدير) فيه دلالة على أن الذي يستحق العبادة من له القدرة الكاملة .

وهذه أخص صفات الربوبية فلا يستحق العبادة إلا من يملك النفع والضر ويقدر عليهما .

وهذه الأربع هي خصائص الألوهية وأسباب استحقاق ربنا ﷻ للعبادة : الملك ، الإنعام ، الخلق والإحياء والإماتة ، القدرة .

المسألة الثالثة والعشرون: تفسير لا إله إلا الله عند المخالفين :

١- معنى كلمة التوحيد عند المتكلمين من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة ورافضة وغيرهم : [لا قادر على الاختراع إلا الله] وَ [لا رب إلا الله] .

وهم بذلك يفسرونها بالربوبية ، ويرجع ذلك لجهلهم بمعنى الإله الذي هو المعبود ، فيفسرونه بالخالق والمخترع والرب القادر .

٢- معناها عند الفلاسفة : [لا متحير فيه إلا الله] .

٣- معناها عند الحلولية والإتحادية وأصحاب الوحدة : [لا موجود إلا الله] فالله عندهم هو عين الوجود .

٤- معناها عند القبورية والصوفية لا إله في الوجود إلا الله .

ويعتبرون الإله والمعبود هو الذي يعتقد فيه إنه يخلق ويدبر ويؤثر استقلالاً ، أما دعاء الأولياء والاستغاثة بهم وطلبهم فهذا ليس عبادة كذلك القول بأن الأولياء لهم القدرة على النفع والتدبير من باب السبب لا التأثير والله أقدرهم على ذلك كرامة لهم ، وهذا ليس بشرك عندهم ولا يناقض كلمة التوحيد كما زعموا.

أما تفسير المخالفين لأهل السنة للتوحيد فتقدم في الفصل الأول .

مبحث : مسائل متعلقة بلفظ الجلالة (الله)

١ - هل هو مشتق أو جامد :

القول الأول : أن لفظ اسم الجلالة (الله) علم على الذات المقدسة موضوع له تبارك وتعالى، فهو لفظ مرتجل جامد ، وليس مشتقاً فهو علم على الله ﷻ لا يطلق على غير الله لا يشترك فيه معه غيره ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ مريم: ٦٥ ، والألف واللام فيه من بنيت الاسم وليست أل التعريف .

ونسب القرطبي وغيره هذا القول للشافعي والزجاج كما قال به ابن العربي وكثير من الشافعية كالجويني والخطابي والغزالي والرازي وحكاه سيبويه عن الخليل.

القول الثاني : أنه مشتق من الإله المعبود .

وقال بهذا الخليل وسيبويه والكسائي والفراء ونصره ابن القيم في البدائع وأكثر أئمة التفسير واللغة.

وهذا الرأي هو الذي يفهم من كلام ابن عباس حين قال : (الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين) رواه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره .

ومما يستدل به لهذا القول قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الأنعام: ٣ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ الزخرف: ٨٤ ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ الأعراف: ١٤٠ ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الطور: ٤٣ ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ النساء: ١٧١ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام: ١٠٢ ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٦٢ ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ المائدة: ٧٣.

فلفظ الجلالة (الله) أصله الإله فهو مشتق من الفعل أَلَه بمعنى عَبَدَ.

والإله يصح أن يقال مصدر ويقال صفة مشبهة، كما يقال ذلك في لفظة الرب.

ولفظ الله يصح أن يقال أنه مشتق من المصدر الإله، أو من الفعل ألَه .

قال الألوسي : (في تفسيره الله أصله الإعلالي أله كما في الصحاح أو الإله كما في الكشاف) .

وردّ ابن القيم في البدائع على قول ابن العربي إن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له وأن هذا غير مراد وإنما المقصود بالاشتقاق دلالته على الصفة .

وقال أصحاب هذا القول أن الله أصلها (الإله) ثم حذفت الهمزة للتخفيف ونقلت حركة الهمزة إلى لام التعريف ثم سكّنت وحذفت الألف للاتقاء ساكنين فبقيت لامين فأدغمت اللامان وحذفت الألف لكثرة الاستعمال فصارت الله، وفخّمت اللام إذا لم يكن قبلها كسرة وإن يسبقها كسرة فترقق ، وهو بذلك مثل لفظة الناس حيث أن أصلها أناس.

وهناك قول آخر في اشتقاق لفظ الجلالة (الله) صوبه الجوهري وهو أنه مشتق من لاه بمعنى قصد وحب وتولع به وتُعُلِق به وتُوجِه إليه وبمعنى ارتفع أيضا، ودخلت عليه أل التعريف فصار الله. وهذا قول ضعيف والأول هو الصواب.

وذكر البعض أن لفظ الله كلمة سريانية وهو قول باطل .

والقول بالاشتقاق هو الصحيح والله أعلم .

٢- اسم الجلالة الله لا يشاركه أحدٌ فيه ولا يطلق على أحد غيره ، بخلاف الرحيم والعزيز وبقية أسمائه .

قال سيبويه رحمه الله: (الله أعرف المعارف) .

ويستدل لذلك بقوله سبحانه ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾.

ولهذا الاسم خصائص كثيرة جداً وفضائل منها .

أن حروفه وحروف لا إله إلا الله جوفية ، تخرج من الجوف وكأنها تطلع الكلمة من القلب .

أنه ليس فيها حرف معجم ليسهل نطقها ولا يعسر لذا فلا يوجد كلمة أسهل في النطق من لفظ الله .

ومن خواصها أن القلب ينشرح بمجرد نطقها حتى ولو كان القلب لاه، أما إذا قالها مع تحرك القلب بمعناها وذكره للمقصود بها ﷻ فإنه يحصل في القلب من الأثر ما لا يخفى على مسلم .

أنه ذهب الكثيرون إلى أن اسم الله هو الاسم الأعظم أو أنه من اسم الله الأعظم مع اسم غيره .

٣- لا تذكر الله بمفردها إلا للتفكر أما الذكر فلابد من اقتران الحمد أو التسبيح أو التكبير أو التهليل أو الحوقلة أو الاستغفار بقول سبحان الله والحمد لله .

ولا يذكر اللفظ لوحده ويتقرب به إلا في طرق الصوفية الضالة ولم يرد شيء في دين الإسلام بذلك وإنما وردت مقترنة بالتعظيم والتسبيح والحمد .

٤- لا يحذف شيء من الاسم فلا يقال الّه كما يقوله العوام .

وفي النداء يقال الله ويا الله بالقطع والوصل .

٥- اللهم :

قال الفراء :معنى اللهم يا الله أم بخير .

وذهب الخليل وسيبويه أنها بمعنى يا الله وأن الميم المشددة عوض عن الياء .

الفصل السادس

شهادة أن مـحـمـداً رسول الله

(توحيد المتابعة)

المسألة الأولى : أسماء شهادة أن محمداً رسول الله :

١- تسمى شهادة أن محمداً رسول الله **بتوحيد المتابعة** أي متابعة الرسول ﷺ .

وقد ورد اسم المتابعة في مواضع من كتاب الله ﷻ منها : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ﴿ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ النحل: ١٢٣ ﴿ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ طه: ٩٠ ﴿ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ البقرة: ١٤٣ ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يس: ٢٠ ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١ ﴿ وَٱتَّبِعُونِ ﴾ الزخرف: ٦١ .

٢- **توحيد الرسول .**

٣- **توحيد المرسَل .**

وهو يدخل في عموم توحيد الله تعالى لأنه هو الذي أرسله فنوحد رسوله .

فائدة : ورود مصطلح توحيد المتابعة في الشرع :

مصطلح المتابعة ورد في مواضع من كتاب الله ﷻ ، وأن المتابعة المشروعة تكون للرسول وللكتاب الذي جاء به وللدين الذي بعث به .

وجاء الأمر بتوحيد المتابعة للرسول ﷺ في كتاب الله وسنة رسوله :

فقال تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ ﴾ الأعراف: ١٥٨ ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾ آل عمران: ٥٣ ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال: ٦٤ ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ يوسف: ١٠٨ .

وروي عنه ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) أخرجه الطبراني.

المسألة الثانية : حقيقة المتابعة والانقياد للرسول ﷺ وكيفيته :

المتابعة هي : أن يمتثل العبد أمر النبي ﷺ وأن يفعل العمل على الوجه الذي فعله ﷺ وعلى وفق أمره .

وتتحقق المتابعة بالإذعان لأمره والالتزام بطاعته، وعدم التولي عنه، واتباع كل ما جاء به، والعمل بسنته وهديه من دون زيادة ولا نقص، مع الرضا والتسليم في كل ذلك، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع .

وعصيان الرسول ﷺ امتناعا عن طاعته واتباعه والتولي عنه هو كفر بالله .

ويسمى العلماء مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله : بتوحيد المرسل أو توحيد المتابعة للرسول ﷺ .

ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله تقوم على أربع قواعد:

طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

وشهادة أن محمداً رسول الله من مقتضياتها :

تحكيم الرسول ﷺ والرضا بحكمه ولا يتم الإيمان بالرسول ﷺ إلا بذلك .

والرسول ﷺ يوحد في الحكم كما يوحد في الأمر والاتباع فمن توحيد المتابعة أن يطاع الرسول ﷺ في أمره ولا يقدم أحد عليه، ومن قال أنا لا أطيع الرسول ﷺ بل أطيع غيره، وأتبع وأقلد غير طريقته، أو اعتقد أنه يسع الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ، فقد كفر بأن محمداً رسول الله وبتوحيد المتابعة وبالتالي يعد كافرا بالله العظيم .

فتوحيد المتابعة : يشمل طاعة الرسول ﷺ ، واتباع أمره ، وتصديقه ، والأخذ بحكمه ، وكلها راجعة إلى متابعته ﷺ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ آل عمران: ٣١ .

واتباع الرسول ﷺ يكون في حكمه وأمره ونهيه وعدم التولي عن طاعته قال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران: ٣٢.

وقال ﷻ في الحكم خاصة ومقتضى توحيد المتابعة: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

الثالثة:علاقة الأخذ بهدي النبي ﷺ ومتابعته بالإيمان بنبوته والشهادة برسالته :

مما ينبغي أن يعلم أن الأخذ بهدي النبي ﷺ والمتابعة له داخلة في الإيمان بنبوة الرسول ﷺ وأنه مما يدخل في شهادة أن محمداً رسول الله وتوحيد المتابعة والانقياد والتسليم له ، وأن من ترك هدي الرسول ﷺ آخذاً بهدي غيره أو فضّل هدي غيره على هديه ﷺ فقد نقض توحيد المتابعة وتوحيد الرسول ونقض شهادته وأبطلها فمن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ، متابعته وطاعته والانقياد له .

المسألة الرابعة : معنى شهادة أن محمداً رسول الله:

معناها : الإيمان الصادق الجازم بأن محمداً ﷺ رسول من رب العالمين ووجوب طاعته وإتباعه وتصديقه ومحبته والرضا به وامتثال أمره وحكمه وعدم تقديم أحد عليه ولا تفضيل هدي غيره عليه، وأنه ﷺ آخر الرسل.

الخامسة: حكم متابعة النبي ﷺ وبيان وجوبها وعدم صحة الإسلام بدونها :

المتابعة للنبي ﷺ والانقياد لأمره واجتناب نهيه هو فرض الدين ومقتضى الإسلام والإيمان بنبوته ومدلول الشهادة له بالرسالة (شهادة أن محمداً رسول الله)

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧.

والمتابعة للرسول واجبة بالكتاب والسنة والإجماع .

تنبيه : أفعال النبي ﷺ الطبعية الجبلّية :

لا يدخل في توحيد المتابعة للرسول ﷺ متابعته في أفعاله الجبلّية الطبعية العادية كمحبته لأكل الدباء مثلا .

فالمتابعة خاصة بأقواله وأفعاله التشريعية .

مسألة : مكانة شهادة أن محمداً رسول الله :

لا تصح لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله، ولذلك كانت الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ركناً واحداً من أركان الإسلام وليست ركنين .

مسألة : محبة الله ورسوله شرطها الإتيان بتوحيد المتابعة .

والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ آل عمران: ٣١.

المسألة السادسة : الأدلة على وجوب متابعة الرسول ﷺ وطاعته :

ورد الأمر بطاعته واتباعه في أكثر من ثلاثين موضعا من كتاب الله كما قال الإمام أحمد .وقد ذكرتها متوسعاً في أدلة الناقض التاسع الخروج عن الشريعة .

وقد جاءت الدلالة عليها بأكثر من طريقة فمنها :

١- الأدلة الموجبة لطاعة الرسول ﷺ والملزمة باتباعه .

٢- الأدلة الدالة على كفر من تولى عنه وأعرض .

وإذا كان الله ﷻ قد كفر المعرض عن العمل بشريعته والمتولي عن طاعته، فكيف بمن ادعى ما هو أكبر من مجرد التولي وهو :

أنه لا يلزمه اتّباعه أصلاً وأنه خارج عن شريعته وأن ذلك يسَعَه ويجوز له.

كما يزعمه أرباب الدمقراطية والقوانين الوضعية والطرق الصوفية وغيرهم.

٣- الأدلة الدالة على أن الدين المعتبر هو الإسلام فلا يقبل الله من أحد غيره، وأنه قد رضيه وأكمله . وأن حقيقته تقوم على الانقياد لله ومتابعة رسوله والامتثال لأمره وطاعته والانقياد له .

٤- الأدلة الدالة على كون الرسول ﷺ مرسل إلى جميع الثقلين الإنس والجن وأنه لا نبي بعده فهو خاتم النبيين وأن الوحي والتشريع انقطع بموته .

وإليك شيئا من الأدلة التفصيلية :

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨.

قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ: ٢٨.

قال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١.

قال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧.

قال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب: ٢١.

قال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١.

وقال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب: ٣٦.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٦٤.

وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ٣٢.

قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ النساء: ١٤.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الأنفال: ١٣.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ ﴾ المجادلة: ٥.

قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء: ٦١.

قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ آل عمران: ٣١ .

قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩ .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران: ٨٥.

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣.

ومن السنة :

١- قال النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا دخل النار) . رواه مسلم .

٢- وقال ﷺ: (لا نبي بعدي) رواه البخاري .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠.

٣- وقال ﷺ في مرض موته : (أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) . رواه البخاري .

٤- وقال ﷺ : (من رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري .

٥- وقال ﷺ : (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون). رواه البخاري .

٦- وقال ﷺ لعمر حين أتاه بورقة من التوراة : (لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، والذي نفسي بيديه لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني). رواه أحمد والنسائي.

٧- وقال ﷺ : (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) رواه البخاري.

٨- قال ﷺ : (صلوا كما رأيتموني أصلي) رواه البخاري.

وقال : (خذوا عني مناسككم) وقال : (ومن توضأ نحو وضوئي هذا) .

وكل هذا دليل على المتابعة في السنة والهدي القولي والعملي .

٩- قال الرسول ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ) رواه مسلم .

١٠- وعن عائشة أن أسامة كلم النبي ﷺ في امرأة مخزومية سرقت فقال ﷺ : (إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف والذي نفسي بيده لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها) رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية عندهم : (إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد).

١١- ما أخبر الله ﷻ من الميثاق على الأنبياء بإتباع رسولنا ﷺ بأن يؤمنوا به ويتبعوه إن هم أدركوه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ آل عمران: ٨١.

قال علي بن أبي طالب ﷺ : (ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به وينصرنه).

١٢- أن عيسى بن مريم ﷺ إذا نزل من السماء آخر الزمان لا يعمل إلا بشريعة محمد ﷺ ويكون متبعاً له ولشريعته لا يخرج عنها، ويعمل بما أخبر به الرسول ﷺ من وضع الجزية فلا يقبلها وهذا من أمر الرسول فالعمل بالجزية يكون في هذه الأمة حتى ينزل عيسى فينسخ ويزول ولا يعمل به لأن أهل الذمة اليهود والنصارى بعد نزول عيسى لايصير لهم بقية حجة، فيلزمهم الإيمان بمحمد ﷺ بأمر عيسى، وإما أن يعرضوا ويأبوا فيكفروا ويقتلوا كبقية الكفار ولا تقبل منهم جزية.

فوضع الجزية من شريعة محمد ﷺ بالنقل والعقل وليس خروجاً عن شريعته .

الإجماع :

قال ابن تيمية: (وطاعة الرسول فيما أمرنا به هو الأصل الذي على كل مسلم أن يتعمده ، وهو سبب السعادة ، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة ، وطاعته في أمره أولى بنا من موافقته فيه باتفاق المسلمين) الفتاوى ٢٢/ ٣٢١ .

وقال أيضا: (وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها) الفتاوى ١٩/ ٨٥.

مسألة: من أمثلة المتابعة وانقياد الصحابة ﷺ للرسول ﷺ :

تركهم الخمر وقولهم انتهينا بمجرد سماع الأمر بتحريمه، والحجاب بمجرد نزول آيات الحجاب، واستقبالهم الكعبة وهم في صلاتهم لبيت المقدس ولم يتأخروا حتى يخرجوا من الصلاة، وإذعان أبي بكر ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ فعفا وأنفق على مسطح، وجلوس ابن مسعود ﷺ عند باب المسجد لما سمع النبي ﷺ يقول: اجلسوا.

المسألة السابعة: ما أرسل من رسول إلا لأجل أن يطاع ويعمل بشريعته ويتّبع:

والدليل على هذا الأصل أدلة كثيرة منها قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ النساء:٦٤ ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الحشر:٧ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ النور: ٥٤ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب: ٣٦ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ النور:٥١ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء:٦٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩ ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُولَٰٓئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٤٧ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى﴾ آل عمران: ٣١.

ومما يستفاد من الآيات نفي الإيمان عمن لم يعمل ويطع وينقد ويأتِ بالمتابعة الحقيقية وأن فاقد ذلك كافر وليس بمسلم ولا مؤمن.

المسألة الثامنة : كلام أهل العلم في توحيد المتابعة للرسول ﷺ والانقياد له:

قال ابن تيمية رحمه الله:(فمحمدٌ ﷺ أُرسل إلى كل أحد ، من الإنس والجن ، كتابيهم وغير كتابيهم ، في كل ما تعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة ، في عقائده وحقائقه ، وطرائقه وشرائعه ، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا طريقة إلا طريقته ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده ، وأحوال القلب وحقائقه وأقوال اللسان وأعمال الجوارح) الفتاوى ١٠/ ٤٣٠ .

قال ابن القيم في عدة الصابرين : (وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهراً وباطناً).

وقال في مفتاح دار السعادة : (لابد فيه من عمل القلب وهو حب الله ورسوله، وانقياده لدينه والتزام طاعته ومتابعة رسوله) .

وقال: (فلا يكون العبد متحققاً بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلاّ بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ، والثاني: الإخلاص للمعبود). المدارج ١/ ٨٣ .

فجعل تجريد المتابعة للنبي ﷺ هي أحد الشروط في قبول العمل عند الله ﷻ، وهي حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله .

قال ابن أبي العز: (لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين وينقاد إليهما ولا يعترض عليهما... فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقي

خبره بالقبول والتصديق فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة). شرح الطحاوية ص٢٠٠ .

وقال ابن تيمية في الصارم : (إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله كإبليس، وهذا مما يبين لك أن الاستهزاء بالله ورسوله ينافي الانقياد له، لأنه قد بلغ عن الله أنه أمر بطاعته، فصار الانقياد له من تصديقه في خبره فمن لم ينقد له فهو إما مكذب له أو ممتنع عن الانقياد لربه وكلاهما كفر صريح) .

المسألة التاسعة : تفاوت الناس في المتابعة :

المتابعة منها ما هو ركن ومنه المستحب ومنه ما تركه كفر ومنها ما تركه محرم.

قاعدة : على قدر متابعة المسلم للرسول ﷺ وامتثاله لأمره وتمسكه بهديه وسنته على قدر قربه منه ﷺ يوم القيامة .

المسألة العاشرة : خطأ من ظن جواز ترك السنة مطلقا :

ظن البعض أن تارك السنة بالكلية لا يعاقب بإطلاق معتمدا تعريف الفقهاء للسنة أن تاركها لا يعاقب، والصحيح أن الله توعد مخالف أمره وسنة رسوله مطلقاً ولو لم تصل للوجوب قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣.

ونص العلماء على أن من يعتاد ترك السنة يعاقب بناءً على الأحاديث الموجبة لمتابعة الرسول والتمسك بالسنة، وقد نقل اللكنوي في تحفة الأخيار كلام أهل العلم في ذلك . وكلام الفقهاء في آحاد المستحب لا ترك السنة بالكلية .

المسألة الحادية عشرة : كمال هديه ﷺ وشريعته:

إن كمال شريعة الرسول ﷺ وحسن هديه وأفضليته وخيريته وحسن سيرته وفضل طريقته مما لا يشك فيه عاقل بل هو مما أجمع عليه البشر قاطبة . وإذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام أتوا بأكمل الطرق والشرائع وأن أفضل الطرق والمناهج ما أتت به الأنبياء لكونها من عند اللطيف الخبير سبحانه، لذا وجب اتباعها والعمل بشرائعها والرضا بها ، فإذا كان هذا فيها فكيف بشريعة أفضل الخلق وخاتم الرسل الذي أخبر وهو الصادق أن خير الهدي هديه وأكمل الشرائع شريعته .

والأدلة الدالة على هذا الأصل أكثر من أن تحصى منها :

قوله ﷻ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣. فجعل الشرع والدين وإرسال الرسول وتبليغنا هديه نعمة تامة كاملة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران: ٨٥. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ النساء: ١٢٥ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا ﴾ المائدة: ٥٠ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت: ٣٣.

ما جاء في خطبته ﷺ يقول : (وأن خير الهدي هدي محمد ﷺ) رواه مسلم.

وقول الرسول ﷺ لعمر ﷺ عندما رآه حاملاً ورقة من التوراة: (لو كان موسى ابن عمران حيا ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه أحمد والنسائي .

وهذا فيه دليل على كمال هديه ﷺ . فإذا كان موسى عليه السلام الذي كلمه الله ﷻ لا يسعه إلا العمل بشريعة الرسول ﷺ واعتقاد كمال شرعه فكيف بغيره ؟

وعيسى عليه السلام لا يحكم إلا بشرع محمد ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان .

وهذا كله فيه دليل على كمال هديه وأفضليته .

ومن فضل هدي غير الرسول ﷺ فهو كافر بدليل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ النساء: ٥١.

وأدلة كمال هديه ﷺ وكون أكمل الهدي هديه وأن إرساله وهديه نعمة كاملة ولا يستغنى عنها أكثر من أن تحصى .

بل إن كمال هدي الرسول ﷺ وحسنه وأفضليته وخيريته مما أجمع عليه البشر قاطبة حتى المشركون قد علموا كمال خلقه ﷺ وحسن سيرته وفضل طريقته ، ولذلك قال أبو طالب : ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

وكانت قريش وهي على الكفر تسمي الرسول ﷺ الصادق الأمين وكل هذا يدل على كمال هديه .

فكيف بأقوام بعده يعتقدون أن طرق الصوفية خير من طريقة الرسول ﷺ وهدي الشيوخ خير من هدي الرسول ﷺ وأنه لا يجب اتباع طريقة الرسول ﷺ الذي رسمه للأمة بينما طريق الشيخ يكفر المريد إن خالفه ، وأن الطرق التي ابتدعها المبتدعة في العبادة أو الدعوة أو الجهاد خير من طريقته .

وكيف للمستغربين والمتفرنجين في زماننا من المعجبين بالكفار يفضلون طريقة أوليائهم من الغرب وأنظمته ومبادئه أو الأحكام التي يطبقها الغرب الكافر أو الدمقراطية أكمل وأفضل من أحكام الرسول ﷺ ومن الشريعة، أو من يقول : طريق الرسول ﷺ لا يصلح في هذا العصر، أو من يتأول ويقول : طريق الرسول ﷺ هذا هو الطريق الذي نحن عليه وهو يخالف طريق الرسول ﷺ في الحقيقة.

وهنا فائدة لطيفة :

وهي أن تفضيل هدية ﷺ مما اتفق عليه الناس، حتى الكفار والمشركون.

ولذلك العلمانيون الذين يفضلون هدي الغرب على هدي الرسول ﷺ أشد كفراً من قريش ، لأن كفار قريش قد اعترفت بأنه هو الصادق الأمين وفضلت حكمه في مواضع كثيرة وعلمت رجاحة عقله وكمال هديه وحسن أخلاقه ﷺ .

الثانية عشرة : علاقة المتابعة (شهادة أن محمداً رسول الله) بالإسلام والإيمان :

شهادة أن محمداً رسول الله داخلة في الركن الأول من أركان الإسلام وكذلك الركن الرابع من أركان الإيمان : الإيمان برسل الله .

والفرق بينهما أن المتعلق بالإسلام هو الإتباع والمتابعة للرسول ﷺ وتصديقه وطاعته وهذا متعلق بالعمل الظاهر والإسلام والانقياد والاستسلام.

أما المتعلق بالإيمان فهو التصديق بالرسل ومحبتهم وهذا متعلق بالباطن والقلب ، وما يستلزم ذلك من طاعتهم والعمل بشريعتهم وهذا هو الإيمان العملي.

فمبحث الاتباع للرسول ﷺ يبحث في التوحيد المتعلق بأركان الإسلام .

أما مباحث النبوات ومسائلها فتبحث في أبواب الإيمان والعقائد .

المسألة الثالثة عشرة: دخول الدين كله في توحيد المتابعة :

إن مما يدخل في توحيد المتابعة :

الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبقضائه وقدره .

توحيد الله في ألوهيته وفي ربوبيته وأسمائه وصفاته .

الاعتقاد الصحيح الجازم اللازم بالغيب كما جاء عنه ﷺ .

جميع أحكام الشريعة من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغيرها .

وبمعنى أوسع فإن المتابعة للنبي ﷺ تعني الإسلام كله فدلالتهما واحدة.

المسألة الرابعة عشر: أقسام المتابعة ولمن تكون:

جاء الأمر بتوحيد المتابعة في مواضع من كتاب الله ﷻ . وأن المتابعة المشروعة تكون لكل ما جاء عن الله ﷻ من رسوله وكتابه ودينه ، وجاء النهي عن ضدها وهي المتابعة الشركية التي تكون لغير ما جاء عن الله . وإليك بيان شيء من ذلك :

القسم الأول : المتابعة المشروعة : لكل ما جاء عن الله ﷻ :

أولاً: المتابعة للرسول ﷺ :﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ ﴾ الأعراف: ١٥٨ ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾ آل عمران: ٥٣ ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال: ٦٤ ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ يوسف: ١٠٨ .

ثانياً: المتابعة للقرآن والوحي : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ الأنعام: ١٥٥ ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ يونس: ١٠٩ .

ثالثاً: المتابعة للدين والشريعة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ النساء: ١٢٥ ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَ اللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٦٢ ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ طه: ١٢٣.

القسم الثاني : المتابعة الممنوعة :

المتابعة الممنوعة التي تكون لغير ما جاء عن الله: ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ ﴾ الحج: ٣ ﴿ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ القصص: ٥٠ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٠ ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

المسألة الخامسة عشرة : وجه دخول شهادة أن محمداً رسول الله في التوحيد :

لأنها قائمة على توحيد الرسول ﷺ وإفراده بعدم إثبات رسول بعده ولا متبوع غيره إذ معناها لا أتبع ولا أطيع إلا الرسول وهذا هو حقيقة التوحيد .

والأدلة الدالة على إفراده بالاتباع كثيرة جداً ومن ذلك :

قول النبي ﷺ : (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي) .

والميثاق الذي أُخذ على الأنبياء بنصرته واتّباعه إذا هم أدركوه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ الحشر: ٧.

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب: ٣٦ .

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥.

قال ابن أبي العز الحنفي : (فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسِل ، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ) فجعل رحمه الله المتابعة نوعاً من أنواع التوحيد ، شرح الطحاوية ٢٠٠.

المسألة السادسة عشرة : التوحيد والشرك في المتابعة:

المتابعة يتعلق بها التوحيد والشرك يحصل فيها. ومن الأدلة على ذلك :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٣

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ يونس: ٦٦

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ الأنعام: ١٥٣

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٠٦

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ لقمان: ٢١

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ محمد: ٣.

المسألة السابعة عشرة : الانقياد للرسول ﷺ هو في حقيقته انقياد لله تعالى :

وذلك لأن الرسول ﷺ مبلّغ عمن أرسله وهو الله ﷻ، فأمر الرسول وشرعه وحكمه هو في الحقيقة أمر لمن أرسله وحكّمه وشرّع له، وإذا كان كذلك فالانقياد للرسول انقياد لمرسله وطاعة له كما قال ﷻ: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠.

قال ابن القيم في المدارج : (الرضا بنبيه ورسوله يتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه) .

المسألة الثامنة عشرة : مقتضى (شهادة أن محمداً رسول الله):

١ - تصديقه فيما أخبر.

٢- طاعته فيما أمر.

٣- اجتناب ما نهى عنه وزجر .

٤- ألا يعبد الله إلا بما شرع .

قلت ومن طاعته ﷺ الإيمان به ، ومحبته ، والقيام بحقوقه ، وأن لا يبتدع في الدين والشرع ، وأن يعتقد أنه آخر الرسل ، وأنه لا تقدم طاعة أحد على طاعته، ومعرفة سيرته وهديه ودينه ، وأن لا نغلو فيه ولا نرفعه فوق منزلته ﷺ .

تنبيه : تقدم معنى شهادة أن محمداً رسول الله وحقيقتها.

المسألة التاسعة عشرة : لوازم وحقوق شهادة (أن محمداً رسول الله) :

١- الحكم بما أنزل الله والتحاكم إلى شريعته وتحكيم هديه وسنته في كل شيء.

٢- موالاة أحبابه المؤمنين به ، ومعاداة الكافرين به والمعرضين عن سنته .

٣- اتباعه والاقتداء به، وعدم الابتداع فلا نعبد الله إلا بما شرعه لنا رسوله .

٤- الجهاد في سبيل الله وقتال الكافرين به المنتقصين له ولهديه وقتل سابه .

٥- محبته ﷺ وتقديم محبته على محبة النفس والولد والمال .

٦- الرضا بكل ماشرع مع التسليم والقبول والانقياد وعدم تقديم شيء عليه.

٧- عدم الوقوع في الغلو فيه أو الشرك به .

٨- كثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ .

المسألة العشرون: حقوق الرسول ﷺ:

١- الإيمان به ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ التغابن: ٨.

٢- طاعته : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ المائدة: ٩٢ .

٣- محبته : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ التوبة: ٢٤ .

وقال ﷺ : (وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) متفق عليه.

٤- توقيره وتعزيره : ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ الفتح: ٩.

٥- وجوب قتال من لم يؤمن به قال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) متفق عليه.

٦- وجوب نصرته : ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ الحشر: ٨ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ التوبة: ٤٠.

٧- إتباعه سنته والاقتداء به: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ آل عمران: ٣١.

٨- امتثال أمره واجتناب نهيه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧.

٩- تحكيمه في كل شيء والتسليم والرضا بحكمه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

١٠- معرفة سيرته وهديه.

١١- قتل سابه ومنتقصه .

المسألة الحادية والعشرون : الحكمة من إرسال الرسل :

١- تبليغ الناس بمراد الله ﷻ.

٢- دعوتهم لعبادة الله وحده وتوحيده في القصد والعمل والكفر بالطاغوت.

٣- إنذار الناس من المحرمات وما يغضب الله .

٤- الانقياد لله ﷻ وتطويعهم له .

٥- دعوة الناس لكل خير وصلاح .

٦- إقامة الحجة وقطع العذر .

٧- سياسة الأمة.

٨- دعوة الأتباع للعمل للدين والصبر عند ملاقاة الأعداء وتحمل الأذى والتكذيب وأن الصراع بين الحق والباطل والصد عن سبيل الله سنة في الخلف وهي تستوجب جهاد المعاند ونصرة الدين: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام: ٣٤.

الثانية والعشرون: حاجة الناس للرسل أشد من حاجتهم للطعام والنفس :

لأنهم الطريق الوحيد الموصل لمطلوب الله ومراده وسبب القرب من الله والسعادة في الدارين .

الثالثة والعشرون: دين الأنبياء واحد وهو الإسلام والتوحيد وشرائعهم شتى:

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

وقال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) رواه البخاري.

المسألة الرابعة والعشرون: نواقض شهادة (أن محمداً رسول الله) :

١- عدم الإيمان به ﷺ ، وتكذيبه وجحود رسالته ونبوته، أو الريب والشك في ذلك .

٢- عدم اعتقاد أنه خاتم الأنبياء والرسل ، أو عدم تيقن أنه رسول للثقلين الإنس والجن وكون الجميع ملزم باتباعه .

٣- تفضيل هدي غيره على هديه .

٤- من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعته وسنته أو يوجد من يسعه ذلك .

٥- التولي عن طاعته والإعراض عن متابعته وعن سنته وترك الانقياد له .

٦- الطعن فيه وسبه ولمزه أو القدح في شيء من سنته وأفعاله وهديه وحكمه.

٧- بغضه أو بغض أصحابه أو شيء مما جاء به .

٨- الاستهزاء به أو انتقاصه أو لمزه أو النيل من عرضه أو قذف والديه وأزواجه .

٩- تكذيب أخباره .

١٠- اعتقاد وجود من هو أفضل منه كما تقوله الفلاسفة والصوفية الغلاة، وزعمهم أن النبوة مكتسبة .

١١- عدم التحاكم لأمره وحكمه وشريعته. أو عدم التسليم لحكمه وأمره وشرعه ، وأعظم من ذلك كله تشريع القوانين المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ.

١٢- تعمد مخالفته ومعاندته والابتداع في دينه وعدم الاقتداء به .

١٣- عبادته والاستغاثة به وطلب الشفاعة منه وغيره ذلك من الشرك الذي حصل فيه بسبب الغلو فيه ﷺ ورفعه لمقام الألوهية.

١٤- الشرك في توحيد متابعته وذلك بتقديم طاعة غيره على طاعته .

١٥- موالاة أعدائه من الكافرين به .

١٦- منع الناس من اتباع سنته وصد الناس عن هديه .

الخامسة والعشرون: علاقة المتابعة (شهادة أن محمداً رسول الله) بالنواقض :

توحيد المتابعة له علاقة بالناقض الأول الشرك ونقض التوحيد .

وله علاقة بالناقض الرابع ناقض الحكم والهدي . والحكم بغير ما أنزل الله.

وله علاقة بناقض البغض وناقض الاستهزاء .

وله علاقة بالناقض التاسع من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ وأنه يسعه الخروج عن شريعته.

وهذا الناقض قائم على نقض توحيد المتابعة من أصله .

وله علاقة بالناقض العاشر الإعراض وسيأتي .

المسألة السادسة والعشرون : دخول شروط كلمة التوحيد فيها :

كما أن الشروط السبعة تشترط لصحة كلمة التوحيد كذلك هي تعتبر شروطا لصحة شهادة أن محمداً رسول الله، إذ لا بد من العلم واليقين بها والصدق والإخلاص فيها وقبولها والانقياد لها .

المسألة السابعة والعشرون: أركان شهادة أن محمداً رسول الله :

لها ركنان : الإيمان بالرسالة والعبودية :

الركن الأول : الإيمان برسالته (أن محمدا رسول الله):

ويقتضي الإيمان بهذا الركن : طاعة الرسول ﷺ والاقتداء به واتباعه وملازمته والانقياد لشرعه والإذعان لأمره والاستسلام لحكمه والتسليم لهديه وتصديق أخباره وتوقيره ومحبته ، وعدم التقديم بين يديه ، والدعوة لدينه وتبليغ سنته والدفاع عنه وقتل متنقصيه، واعتقاد أنه أفضل الخلق وأحبهم إلى الله وأنه خاتم الرسل وإمام المتقين وأنه معصوم.

أدلة هذا الركن :﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبا: ٢٨ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الأعراف: ١٥٨ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٦٤ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧.

وممن نقض هذا الركن المعجبين بالمناهج الغربية الكافرة والمتبعين لها .

الركن الثاني : الإيمان بأن محمداً عبدالله :

ويقتضي هذا الركن ألا نغلو في الرسول ﷺ ولا نطريه ولا نرفعه عن منزلته التي وصفه الله بها فلا يوصف بصفات الربوبية ولا يعطى حق العبادة ولا ينزّل منزلة الإله المعبود .

وقد وقع الكثير من هذه الأمة في نقض هذا الركن وهدمه فعبدوا الرسول ﷺ من دون الله ودعوه واستغاثوا به بعد موته . واستنصروه على الأعداء ورفعه بعض غلاتهم إلى أن جعلوا الرسول ﷺ يعلم الغيب ويملك الخلق ويتصرف في الكون ويدبر الأمر وبيده خزائن السموات والأرض واتخذوا قبره عيداً ووقعوا في مخالفة أمره وهديه وانتهكوا نهيه حين قال ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله) رواه البخاري . وقوله تعالى عنه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الكهف: ١١٠ ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ الأعراف: ١٨٨، ويمثل هؤلاء المخالفين الصوفية القبورية المشركة .

المسألة الثامنة والعشرون: البدع فيها معارضة لتوحيد المتابعة:

مما يعارض متابعة الرسول ﷺ والانقياد له الابتداع في الدين، والتقليد المذهبي مع الإعراض عن النصوص وغيره والأخذ بالرأي والعقل وترك النص .

المسألة التاسعة والعشرون : مصطلح التولي والإعراض :

التولي عن الرسول والإعراض والعصيان والتقديم بين يديه ومعاندته، كلها ضد ما أمر الله به تجاه رسوله من الاستجابة والأخذ والطاعة والقبول والاتباع .

المسألة الثلاثون : المتابعة الباطنة والظاهرة :

تنقسم المتابعة للرسول ﷺ إلى قسمين:

الأول : المتابعة الظاهرة ، وهذه متعلقة بالجوارح .

الثاني : المتابعة الباطنة ، وهذه متعلقة بالقلب.

ومتابعة الباطن تستلزم متابعة الظاهر خلافا للمرجئة.

وتحصل المتابعة ظاهرا مع انعدامها باطناً في أهل النفاق الأكبر .

وتقدم كلام ابن تيمية في ذلك .

المسألة الحادية والثلاثون: أقسام توحيد المتابعة وآلاتها :

تتكون المتابعة من ثلاثة أقسام حسب آلتها :

١- المتابعة العملية : وهي التي تكون عملا بالجوارح .

ومن أدلتها : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ .

٢- المتابعة القولية : وهي التي تكون قولاً باللسان .

ومن أدلتها : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور:٥١.

٣- المتابعة القلبية الاعتقادية : وهي التي تشملها عقيدة القلب .

ومن أدلتها :

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

مبحث : تنحية الشريعة وعدم الحكم بما أنزل الله يناقض توحيد المتابعة ويعتبر كفراً بأن محمداً رسول الله

من حكم بغير ما أنزل الله فإنه لم يصدق الرسول ﷺ في إخباره بكفر الذين حكموا بغير ما أنزل الله ، ولم يطع الرسول ﷺ في أمره حيث أمر أن نحكم بما أنزل الله، ولم يجتنب ما نهى عنه الرسول ﷺ، ومما نهى عنه الرسول ﷺ الحكم بغير ما أنزل الله فإذا كان الرسول نهى عمر أن ينظر إلى التوراة ويأخذ منها شيئاً، مع كون أصلها منزل من عند الله فما بالك بالقوانين الوضعية المصادمة لما أنزل الله والتي وضعها المشركون المشرعون للحلال والحرام .

كما أنه لم يعبد الله بما شرع فمن شرع غير شريعة الله ﷻ وحكم بغير ما أنزل الله ﷻ فقد وضع شرعا غير شرع الرسول ﷺ ولم يعبد الله بما شرعه رسوله ﷺ ولم يتبعه في دينه الذي أمرنا الله به .

وعلى ذلك فالحكم بغير ما أنزل الله ناقض لمقتضيات الإيمان بشهادة أن محمداً رسول الله الأربع جميعها، ومبطل للحكمة التي من أجلها بعثت الرسل .

ومن لم يحكم بما أنزل الله فما تابع الرسول ﷺ ومن ثم لا يعد شاهدا بأن محمدا رسول الله والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ النور: ٥١ أي لا يقبل لهم قول ولا عمل إلا أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأنقدنا وتابعنا الرسول ﷺ وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ ومن أطاع غير الرسول ﷺ وأطاع الحكام والمشرعين فقد أشرك قال ﷻ :

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ أشرك في المتابعة وأشرك في توحيد الألوهية وأشرك في توحيد الربوبية .

ولا يمكن أن يجتمع في قلب المؤمن الموحد إيمان بحكم الله تعالى مع عدم الكفر بحكم ما سواه أو قال : لا أتعرض لأحكام القوانين الوضعية ولا أكفر بها وولا أكفر بأصحابها لا يمكن أن يكون هذا في قلب مؤمن فلا يقبل الله عز وجل من مؤمن إيماناً بحكم الرسول ﷺ حتى يكفر بحكم الطاغوت الجاهلي كما أمرنا الله ﷻ في خطابه لعباده: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ .

فلا قسم غير ذلك، إما حكم الله ﷻ يجب العمل به والإذعان له ، أو حكم الطاغوت الجاهلي ويجب الكفر بها واجتنابها واعتزالها .

قاعدة : تحكيم الشريعة واجب على الفور :

الحكم بالشريعة ركن في التوحيد والبراءة من الحكم بغيرها من الكفر بالطاغوت الذي يجب أن يكون ملازماً للمسلم و أن يكون مقصوداً بذاته .

ومما يجب أن يعلمه كل مسلم أنه من لم يأتي بهذه الأصول مجتمعة وهي وجوب طاعة الرسول ﷺ والتحاكم لشريعته وترك الحكم بغيرها فهو كافر مرتد والعياذ بالله وداخل في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥ وقدمنا شيء من ذلك في مسألة كمال هديه ﷺ ، فمن يمتنع عن طاعته ويتعمد مخالفته ويتعند لأمره ويترك متابعته فقد شاق الله ورسوله .

مبحث: الإيمان بالنبوة والرسل والأنبياء

المسألة الأولى : تعريف النبي والرسول :

في اللغة : النبي مشتق:

١- من النبأ وهو الخبر .

٢- من النبوة وهي الرفعة والعلو .

٣- من النبي وهو الطريق .

والنبي فيه هذه الثلاث الصفات فهو مخبر عن الله ، كما أن منزلته عالية ورفيعة ، وهو طريق ووسيلة إلى الله .

والرسول : من الرسل وهو البعث والانبعاث ومن الرسل وهو التتابع .

تعريف النبي والرسول في الشرع .

هو الذي يبعثه الله إلى الناس ويوحي إليه ويأمره بالبلاغ والدعوة .

المسألة الثانية: الفرق بين الرسول والنبي :

١- أن النبي خاص بالبشر أما الرسول فهو يطلق ويتعلق بالبشر والملائكة إذ منهم ملائكة بنص القرآن .

٢- الفرق بين النبي والرسول البشري .

قيل هما اسمان لمعنى واحد .

وقيل بينهما فرق وهذا الصحيح . والدليل على وجود فرق بينهما قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢ .

وحديث أبي ذر في عدد الأنبياء والرسل.

ومما قيل في التفريق بينهما : أن الرسول يبعث بشرع جديد، أو يأمر بالتبليغ، أو يرسل، أو ينزل له كتاب . وهذا بخلاف النبي فيأتي بشرع من قبله ولا يختص بشرع يخصه ولا ينزل له كتاب وقد لا يؤمر بالتبليغ فهو بمثابة العالم في هذه الأمة.

وهذه الفروق كلها ضعيفة ويدخلها النقض والاعتراض ، فقد ينزل للنبي كتاب كزبور داود ولم يذكر الله أن هود وصالح أعطوا كتباً مع أنهم رسل .

وقد يكون الرسول على شرع من قبله كما كان عيسى على شريعة موسى إلا في القليل .

أما القول بأن النبي قد لا يؤمر بالبلاغ ولا يكون مرسلا ومبلغا فهذا القول باطل ، فالنبي مرسل ومبلغ ومنذر وإلا ما الحكمة من كونه نبي ووما يدل على أن النبي مرسول : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾.

والصحيح أن الرسول هو من يرسل لقوم مشركين وكفار .

والنبي هو من يبعث لقوم موافقين للنبي في التوحيد مسلمين مثل أنبياء بني إسرائيل .

وهذا الذي حققه شيخ الإسلام في كتابه النبوات .

المسألة الثالثة: العقيدة في الرسل :

يجب على كل مسلم أن يحب الرسل وأنهم أفضل الخلق وأحبهم إلى الله، ويعتقد أنهم بلغوا الرسالة وأدو الأمانة وجاهدوا في الله حق الجهاد وأوذوا في سبيل الله فصبروا .

المسألة الرابعة: خصائص الرسول ﷺ:

١- أنه أفضل الخلق وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء .

٢- أن الله بعثه بالحنيفية السمحة ونسخ الله بشرعه كل الشرائع .

٣- أن الله أنزل إليه أفضل الكتب وتعهد بحفظه .

٤- أنه خاتم الأنبياء لا نبي بعده .

٥- أن الله رفع ذكره فقرن اسمه باسمه وجعل الثواب الجزيل لمن صلى عليه .

٦- أنه صاحب الشفاعة يوم القيامة وله المقام المحمود والوسيلة .

٧- أن الجنة لا تفتح إلا بعد شفاعته .

٨- أبيحت له الغنائم ونصر بالرعب وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً .

٩- أنه بعث للأنس والجن والعرب والعجم ، وأخطأ من زعم أنه مرسل إلى الملائكة لكونهم جبلوا على الطاعة ورسلهم منهم .

١٠- أن له الحوض والكوثر .

١١- أن الله اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولا يصح أنه رأى الله .

١٢- أن الميثاق أخذ على الأنبياء بالإيمان به ونصرته وإتباعه إن أدركوه .

١٣- أن الله بتر شانئوه فجعل شانئه ومعاديه أبتر مقطوع .وكفاه المستهزئين وأعدائه ونصره عليهم .

١٤- أن أمته أفضل الأمم وأكثر أهل الجنة .

١٥- أنه العاقب والحاشر وأحمد ومحمد .

١٦- أن يبلّغ السلام من أمته بعد موته.

١٧- أن الأرض لا تأكل جسده .

١٨- أنه شاهداً على أمته يوم القيامة .

١٩- أن من رأه في المنام فقد رأه حقاً .

٢٠- أن الكاذب عليه متوعد بالنار .

٢١- علو أخلاقه ورحمته بأمته .

كما أن له الكثير من المعجزات كإنشقاق القمر له وتكثير الطعام ونبع الماء من بين أصابعه .

وله كثير من الخصائص التي يعسر حصرها وهي على أقسام :

منها التي تخصه عن الأنبياء .

ومنها الخصائص التي تخصه عن أمته كالجمع بين تسع زوجات وطيب عرقه والتبرك بآثاره وإسلام قرينه وأنه لا ينام قلبه ويرى من خلفه .

مسألة : انقسام الناس في النبي ﷺ إلى طرفين ووسط :

فهناك من غلا فيه ووقع في الشرك فيه واتخذه إلها مع الله، فزعم أنه أول الخلق وأنه خلق من نور، وأنه يعلم الغيب ويتصرف في الخلق ويغفر الذنوب، وأنه حي في قبره كحياته الدنيوية . ومنهم من استحب زيارة قبره ﷺ مع كل دخول للمسجد مع أنه نهى عن اتخاذ قبره عيداً ومخالف لمنهج الصحابة والتابعين .

وهناك من جفا فيه وفي خصائصه وحقوقه فأنكروا ختم الرسالة به ، ومنهم من جوز تحكيم غير شرعه ، ومنهم من فضل الأولياء عليه، ومنهم من ابتدع عبادات فضلوها على هديه وعبادته .

المسألة الخامسة: حقوق الرسول ﷺ خاصة والأنبياء عامة :

١- الإيمان به: قال ﷻ: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ التغابن: ٨.

٢- طاعته : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ المائدة: ٩٢ .

٣- محبته : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ التوبة: ٢٤

وقال ﷺ : (وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما).

٤- توقيره وتعزيره : ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ الفتح: ٩.

٥- وجوب قتال من لم يؤمن به قال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله).

٦- وجوب نصرته : ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ الحشر: ٨ ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ التوبة: ٤٠.

٧- إتباعه سنة والاقتداء به: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ آل عمران: ٣١.

٨- امتثال أمره واجتناب نهيه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧.

٩- تحكيمه في كل شيء والتسليم والرضا بحكمه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾.

١٠- معرفة سيرته وهديه.

١١- قتل سابه ومنتقصه .

المسألة السادسة: الحكمة من إرسال الرسل :

١- تبليغ الناس بمراد الله ﷻ.

٢- دعوتهم لعبادة الله وحده وتوحيده في القصد والعمل والكفر بالطاغوت.

٣- إنذار الناس من المحرمات وما يغضب الله .

٤- تبشير من آمن بالله بالجنة.

٥- دعوة الناس لكل خير وصلاح .

٦- إقامة الحجة وقطع العذر .

٧- سياسة الأمة.

٨- دعوة الاتباع للعمل للدين والصبر عند ملاقاة الأعداء وتحمل الأذى والتكذيب وأن الصراع بين الحق والباطل والصد عن سبيل الله سنة في الخلف وهي تستوجب جهاد المعاند ونصرة الدين: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام: ٣٤.

المسألة السابعة: حاجة الناس للرسل أشد من حاجتهم للطعام والنفس :

لأنهم الطريق الوحيد الموصل لمطلوب الله ومراده وسبب القرب من الله والسعادة في الدارين .

المسألة الثامنة: دين الأنبياء واحد وهو الإسلام والتوحيد وشرائعهم شتى :

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

وقال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) رواه البخاري.

المسألة التاسعة : لا يعذب الله أحد إلا بعد بعثة الرسل وبعد بلوغ الحجة الرسالية يدل لذلك قوله تعالى﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥ .

المسألة العاشرة : الإيمان بالرسل مفصل ومجمل :

الإيمان المفصل متعلق بالرسول ﷺ كذلك من عرف من الأنبياء .

الإيمان المجمل ويتعلق بالإيمان بالرسل إجمالاً والإيمان بما لم يعرف من سيرهم وخواصهم .

الحادية عشرة: لا تنافي بين نزول عيسى آخر الزمان وختم الرسالة بمحمد ﷺ.

والجواب :

١ - أن عيسى عليه السلام قبل الرسول ﷺ وليس بعده وهو حي وقد رفعه الله إليه وينزل آخر الزمان لا أنه يبعث من جديد .

٢ - ثم إنه يعمل بشريعة محمد ﷺ وبالقرآن ولا يعمل بالإنجيل ولا بشريعته فيكون بذلك تابعاً لمحمد ﷺ .

المسألة الثانية عشرة : المخالفات في باب النبوة والنواقض المتعلقة بها :

١- إنكارها وهم أعداء الرسل والشيوعيين .

٢- إنكار عالمية رسالة محمد ﷺ وهذا عند بعض اليهود والنصارى وأن نبوته خاصة العرب .

٣- أن الرسالة فيض واكتساب وقوة فعل وسعة خيال وهؤلاء الفلاسفة .

٤- أنه يجوز الخروج عن شريعتهم وهذا قول الصوفية والمبتدعة والمشرّعون والمحللون المحرمون وأصحاب القوانين الوضعية .

٥- الغلو فيهم بعبادتهم من دون الله وإعطائهم صفات الألوهية والربوبية كما هو مذهب الصوفية .

٦- أن النبوة لم تختم بل باقية كما يقوله القاديانية والإسماعيلية والبهائية .

٧- النبوة لابد لها من حجج ولا تعرف إلا بالمعجزات وهذا قول الأشاعرة.

٨- من يقدم العقل على الشرع والأحاديث كما يفعل ذلك المتكلمون وأصحاب الرأي.

المسألة الثالثة عشرة: النبوة صفة ثبوتية إضافية :

النبوة صفة قائمة بالنبي مثل الكرم والجمال وغير ذلك من الصفات الثبوتية، وليست النبوة مجرد صفة اعتبارية تطلق على النبي بمجرد الوحي له كما تقوله الأشاعرة وقد نص على ذلك ابن تيمية في النبوات . وبينا المسألة في ردنا على الأشاعرة .

المسألة الرابعة عشرة: النبوة اجتباء واصطفاء وليست مكتسبة .

النبوة فضل من الله يؤتيها الله من يشاء من عباده فيرسل أفضل خلقه وأحبهم إليه وأطوعهم له وأعرفهم به ، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ الأنعام: ١٢٤ وقال: ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ ص: ٤٧.

وليس لهم في النبوة كسب وعمل كما تزعمه الفلاسفه بقولهم الكفري أن النبوة مكتسبة وقد ينالها الإنسان بالحكمة والخيال والعمل .

والدليل قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الحج: ٧٥ ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ آل عمران: ١٧٩ ، والاجتباء أرفع من الأصطفاء .

المسألة الخامسة عشرة : شروط النبوة :

يشترط في النبي الصدق والأمانة والنسب والخلق والذكورة والإنسية والقروية فلا يرسل البدوي والمرأة والجن ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ يوسف: ١٠٩.

ولا يشترط أن يكذبه قومه .

كما يشترط أن يكون معصوماً من الكبائر والكذب والإقرار على الصغائر والخطأ وليس الرسل كاملون بل مخلوقين ناقصين يعتريهم النوم والمرض والسهو والتعب وبقية الصفات البشرية.

المسألة السادسة عشرة : عصمة الرسل :

العصمة في اللغة :وردت بمعنى المنع والحفظ والحبل وكل ما أمسك الشيء .

وشرعاً هي : لطف من الله تحمل النبي على فعل الخير وترك الشر مع وجود الاختيار .

الجوانب التي عصمت فيها الرسل .

١- العصمة هي : المنعة والحفظ من حصول الزلل في التبليغ والدعوة وبيان الدين والشرع .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٤.

وقوله : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ الحاقة: ٤٤.

وقوله : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٤.

٢- العصمة من الكفر والشرك :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥ ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥.

٣- الضلال والغواية والفساد :

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤.

٤- الكذب والخيانة : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: ٣٣ وقال ﷺ : (إني لا أقول إلا حقاً) رواه أحمد.

٥- كبائر الذنوب بعد البعثة .

أما الخطأ والسهو والصغائر والغلط في الاجتهاد فيحصل منهم لكن لا يقرون عليه وقد لام الله ﷻ نبيه في مواضع منها .

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ عبس: ١ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الأنفال: ٦٧ - ٦٨ ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٨٠ ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ المنافقون: ٦ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ التوبة: ٨٤ ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٤٣.

وقوله ﷺ : (أنتم أعلم بأمور دينكم) .

وكذلك لومه ﷻ ليونس وعقابه له بالحوت .

المسألة السابعة عشرة: الطعن في الرسول طعناً في مرسله وهو الرب ﷻ :

لأن الطعن في الرسول طعن في مرسله كم أن في ذلك قدح في ربوبية الله تعالى وصفاته وكماله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١.

المسألة الثامنة عشرة: التكذيب بواحد من الرسل تكذيب بهم كلهم .

والدليل قوله تعالى : (﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٢٣

فعاد لم يرسل لهم غير هود ولكن لما كذبوه ، استلزم تكذيب إخوانه من الرسل ، وفي هذا إبطال لزعم اليهود والنصارى الذين يزعمون الإيمان برسلهم وتكذيب محمد ﷺ .

المسألة التاسعة عشرة : ختم النبوة بمحمد ﷺ : والدليل :

قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الأحزاب: ٤٠.

قال ﷺ : (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون). رواه البخاري .

وقال ﷺ : (لا نبي بعدي) رواه البخاري.

ومن خالف ذلك ولم يتيقن أن الوحي والنبوة ختمت به فهو كافر مرتد .

المسألة العشرون : عدد الأنبياء :

جاء في حديث أبي ذر عند أحمد وغيره بسند ضعيف :

أن أول نبي آدم،وهو نبي مكلم، وأن عدد الأنبياء ١٢٤ ألف والرسل ٣١٥.

تنبيه : **مسألة** : طرق معرفة الرسل ، والفرق بينه وبين الساحر ، ضابط المعجزة وطريق دلالتها ، عدم زوال النبوة بالموت.

ومخالفة الأشاعرة في ذلك. وقد بينتها في كتاب الأشاعرة .

الفصل السابع

الكـفـر بالـطـاغـوت

المسألة الأولى : تعريف الطاغوت :

أولاً : معنى الطاغوت لغةً :

الطاغوت: على وزن فعلوت، وهو أحد الأوزان الدالة على المبالغة ، مثل جبروت وملكوت.

ولفظ الطاغوت مشتق من الفعل : طغى يطغى طغْيا ويطغو طغيانا، إذا جاوز القَدْرَ وتعدى حده في العصيان وارتفعَ وغَلا في الكفر. ومنه طغى الماء والبحر كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ أي تجاوز حده وزادت أمواجه، وكل شيء جاوز القَدْرَ فقد طغى. وكل من جاوز حدَّه في العصيان فهو طاغ .

وسُمّي الطاغوت طاغوتاً لأنه طغى وتجاوز الحد في الكفر .

أما في الاصطلاح : له تعريفات أضبطها اثنان :

الأول : الطاغوت هو كل ما تجوّز به الحد من متبوع أو مطاع أو معبود .

الثاني : كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ بذلك ، ولو في باب من العبادة .

١- فمن يُعبد من جهة الحب والموالاة والمعاداة فهو طاغوت .

٢- ومن يُعبد من جهة الطاعة والاتباع والتحاكم والتشريع فهو طاغوت .

٣- ومن يُعبد من جهة الدعاء والخشية والنذر والنسك فهو طاغوت .

٤- ومن يُعبد من جهة الإقرار له بخصائص الإلهية أو بعضها فهو طاغوت.

ويدخل في هذا التعريف كل من أمر بكفر أو قرره .

فائدة : تفريق بعض السلف بين الجبت والطاغوت :

فالجبت فعل الطاغوت من شرك وسحر والطاغوت المعبود والساحر.

المسألة الثانية : صيغة الطاغوت :

والطاغوت صيغة تستخدم وتطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث .

قال الواحدي : قال أهل اللغة: الطاغوت كل ما عُبد من دون الله ، يكون واحداً وجمعاً ويُذكّر ويُؤنّث ، قال تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠.فهذا في الواحد . وقال تعالى في الجمع :﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ البقرة: ٢٥٧.

وقال في المؤنث: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ﴾ الزمر: ١٧.

وجمع الطاغوت : طواغيت، وطواغي وفي الحديث : (لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطوغي) وفي رواية: (ولا بالطواغيت)، فالطواغي جمع طاغية، وهي ما كانوا يعبدونه من الأصنام وغيرها ، ومنه : (هذه طاغية دَوْس وخثعَم) أي صنمهم ومعبودهم، ويجوز أن يكون أراد بالطواغي من طغى في الكفر وجاوز الحدَّ، وهم عظماؤهم وكبراؤهم . انظر لسان العرب .

المسألة الثالثة: الفرق بين الكفر والطاغوت :

ليس كل كافر طاغوتاً وليس كل كفر يعتبر بواحا فالكفر منه المجرد والمغلظ والكافر منه العادي ومنهم الطاغوت ومنهم دون ذلك .

ولذلك فالطاغوت هو ما زاد عن الحد في الكفر .

كما أنه يطلق اسم الطاغوت أحيانا على من ليس بكافر، ويراد منه معناه اللغوي وهو مجاوزة الحد والتعدي كإطلاقات بعض السلف على أئمة الجور كالحجاج وغيره، فإنهم أطلقوا عليه اسم الطاغوت ووصفوه بالطغيان .

الرابعة: ليس كل معبود يسمى طاغوت :

الطاغوت يكون حيا وجمادا ، والمعبود إذا كان حي وكانت عبادته برضاه فهو طاغوت وإلا فلا ، فالملائكة وعيسى ليسوا طواغيت ولا يسمون طواغيت.

وقد وهم البعض حين قال أنهم جعلوا طواغيت بعبادة المشركين لهم كما قال الرسول ﷺ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) رواه مالك وأحمد .

فيصير الطاغوت في عبادة الناس لا في ذوات المعبودين وهذا التوجيه بعيد، فالوثن في ذات القبر وترابه وليس صاحبه، ثم هناك فرق بين الطاغوت والوثن .

ثم إن العبادة في الحقيقة وقعت للشيطان فهو إله ومعبود كل مشرك في الحقيقة قال ﷻ: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ سبأ: ٤١ ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا﴾ النساء: ١١٧.

المسألة الخامسة : مرادفات الكفر بالطاغوت :

جاءت عبارات شرعية مرادفة للكفر بالطاغوت،منها:

التوحيد ، لا إله إلا الله ، النهي عن الشرك ، الكفر بما يعبد من دون الله، الإخلاص ، عبادة الله وحده ، الإيمان بالله وحده .

والتوحيد مرادف الكفر بالطاغوت:

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الفتح: (التوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله) .

المسألة السادسة : أقوال أهل العلم في تعريف الطاغوت :

قال الإمام مالك : (الطاغوت هو كل ما يعبد من دون الله) تفسير ابن كثير .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره : (الطاغوت كل ذي طغيان على الله ، فيعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو وثناً أو كائناً ما كان من شيء، وأرى أصل الطاغوت، الطغووت من قول القائل : طغا فلان يطغو، إذا عدا قدره فتجاوز حده) وقال فيه : (الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له).

قال ابن تيمية : (الطاغوت فعلوت من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد وهو الظلم والبغي. فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك طاغوت، ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح: (ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت) والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله، أو مطاعا أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت، ولهذا سمى من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت، وسمي فرعون وعاد طغاة) . الفتاوى ٢٨/ ٢٠٠ .

وقال: (ما عُظم بالباطل من دون الله تعالى) بيان تلبس الجهمية (١/ ٤٥٠).

قال ابن القيم : (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من

عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى طاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) . إعلام الموقعين ١/ ٥٠ .

قال محمد بن عبد الوهاب : (الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله).

قال النووي في شرح مسلم : (قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وأهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى) .

قال ابن الأثير: (ما تجاوز به العبد حدّه في الكفر) النهاية ٣٥٤.

قال القرطبي في تفسيره: الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال.

قال عبد الله أبابطين : (الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه، ويشمل كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله، ويشمل الكاهن والساحر وسدنة الأوثان الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم، بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال.. وأصل هذه الأنواع كله وأعظمها : الشيطان، فهو الطاغوت الأكبر). الدرر ٢/ ١٠٣.

قال الشنقيطي في تفسيره : (التحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان) .

السابعة : أدلة الكفر بالطاغوت : وردت في ثمانية مواضع من كتاب الله ﷻ :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ الزمر: ١٧ .

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ النساء: ٥١.

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٦٠.

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٧.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ النساء ٦٠.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٧٦.

الآيات الثمانية بينت سبعة أحكام في التعامل مع الطاغوت: وجوب الكفر به، واجتنابه ، وكفر من آمن به ، أو عبده ، أو تحاكم إليه ، أو تولاه ، أو قاتل في سبيله .

وورد التحذير من الطغيان وذم الطغاة وتوعدهم بالعقوبة في آيات عدة منها:

﴿ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ هود: ١١٢ ﴿ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ الطور ٣٢ ﴿ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ المائدة ٦٨ ﴿ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ النبأ: ٢٢ ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ النازعات: ١٧ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ الشمس: ١١.

ومن الأدلة على الكفر بالطاغوت في السنة :

١- عن أبي هريرة قال: قال ﷺ : (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة) رواه البخاري .

والحديث يدل على عدم تسمية الشمس والقمر طواغيت مع كونها معبودات ولعل وجه ذلك أنها آية من آيات الله الدالة على ألوهية الله وعبدت بدون رضاها، وإن جاز أن تسمى طواغيت كان عطف الطواغيت عليها عطف العام على الخاص .

٢- عن عبدالرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم) . رواه مسلم وفي رواية عند احمد (ولا بالطواغيت) .

٣- وقال النبي ﷺ للذي سأله عن نذره بالنحر ببوانة : (هل كان بها وثن أم طاغية فقال لا قال أوف بنذرك) رواه أحمد .

٤- أن النبي ﷺ أمر عثمان بن أبي العاص أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طواغيتهم . وهو محل مسجد ابن عباس اليوم . رواه أبو داود .

٥- امتناع الرسول ﷺ وعدم إذنه لوفد ثقيف استبقاء اللات وأن يبقيه لهم شهرا واحدا . قال ابن القيم معلقا على هذا الحكم : (لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها يوما واحدا فإنها شعائر الشرك) الزاد ٢/ ٢٠٠.

٦- وقال جابر : كانت الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها في جهينة واحد وفي أسلم واحد وفي كل حي واحد كهان ينزل عليهم الشيطان .

٧- وقال عمر : الجبت السحر والطاغوت الشيطان .

٨- وقالت عائشة عن آية السعي بين الصفا والمروة : أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية .

وكل ما سبق من الآثار في صحيح البخاري .

وقال سعيد بن المسيب: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا تحلب والسائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم ، والفرع أول النتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم .

٩- قال علي بن أبي طالب ﷺ: (انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ اجلس وصعد على منكبي فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: اصعد على منكبي. قال فصعدت على منكبيه، قال فنهض بي قال فإنه يخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ: اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس) . رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار بإسناد حسن .

وبوّب له الهيثمي في مجمع الزوائد: (باب تكسيره ﷺ الأصنام) وذكر رواية : (كان على الكعبة أصنام فذهبت أحمل رسول الله ﷺ فلم أستطع فحملني فجعلت أقطعها) وفي رواية زاد :(فلم يوضع عليها بعد، يعني شيئاً من تلك الأصنام) .

قال الهيثمي ورجال الجميع ثقات وذكره الطبري في تهذيب الآثار ص٢٣٦ .

١٠- قوله ﷺ لعمرو بن عبسة: (أرسلني بكسر الأوثان) رواه مسلم .

ومن فقه هذا الحديث أن الكفر بالطاغوت لا يؤخر.

١١- دخل الرسول ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل) رواه البخاري .

فكسر الأصنام بعد أن أظفره الله على المشركين ولم يستبق صنما ولا وثنا ولا قبرا إلا وأرسل في إزالته وبعث البعوث بهدم الأصنام ، بل إنه لم يأذن في إبقاء اللات وامتنع من تركها ولو شهرا حين طلبت ثقيف منه ذلك ورفض طلبهم واقتدى بإبراهيم في تكسيره للأصنام .

١٢- فعل الرسول ﷺ :

حيث كان النبي ﷺ متبعاً إبراهيم آخذاً بملته مقتد بهديه فما داهن ﷺ الكفار لحظة واحدة وما سكت عن باطلهم أو عن آلهتهم، بل كان همه وشغله الشاغل طوال حياته قبل الهجرة وبعدها، وكان أول ما دعا إليه اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، ويدل لهذه الحقيقة أدلة منها قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٦. ولقد صدق فيه وصف الملائكة كما في البخاري: (أنه فرّق بين الناس) .

١٣- أن الجهاد شرع من باب الكفر بالطاغوت ، قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩.

١٤- قوله ﷺ : (من لقي الدجال فليتفل في وجهه) رواه أبو داود .

وهذا من صور الكفر بالطاغوت .

١٥- قطع عمر ﷺ لشجرة بيعة الرضوان سداً لوسائل الشرك.

١٦- وعن عروة أنه سأل عبد الله بن عمرو : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سفّه أحلامنا وشتم آبائنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، قال: فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى فمر بهم الثانية فغمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: **(تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح)** فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وصاه قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: نعم، أنا الذي أقول كذا، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق ﷺ ، دونه يقول وهو يبكي: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله). ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط. رواه أحمد.

المسألة الثامنة: أقوال أهل العلم في المسألة :

قال محمد بن عبد الوهاب: (لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء ـ أي الطواغيت المعبودون من دون الله ـ وتكفيرهم) الدرر ١٠/ ٥٣.

وقال:(أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾) .الدرر ١/ ١٦١.

وقال في كتاب التوحيد : (وهذا من أعظم ما يُبين معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو تردد لم يُحرم دمه) .

وقال فيه: (المسألة الكبيرة : أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت) .

قال ابن القيم: (لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا فإنها شعائر الشرك والكفر وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبته، وهكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركا عندها وبها) زاد المعاد ٢/ ٢٠٠.

وقال: (فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) نقله عنه سليمان بن عبدالله تيسير العزيز ٣٣ .

وقال سليمان بن عبد الله: (لأن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله أن لا يُعبد إلا الله وأن لا يعتقد النفع والضر إلا في الله ، وأن يُكفر بما يُعبد من دون الله ويتبرأ منها ومن عابِديها) التيسير ١٥٢.

وقال عبد الرحمن بن حسن:(التوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله ، والكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة، والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه) فتح المجيد ٣٩٣ .

وقال : (التحاكم إلى الطاغوت إيمان به) .

وقال :(دلت الآية على أنه لا يكون العبد مستمسكاً بلا إله إلا الله إلا إذا كفر بالطاغوت ، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم ، لأنه لم يتمسك بلا إله إلا الله ، فتدبر واعتقد ما يُنجيك من عذاب الله وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً) الدرر ١١ / ٢٦٣.

وقال ابن سحمان: (فبيّن تعالى أن المُستمسك بالعروة الوثقى هو الذي يكفر بالطاغوت ، وقدم الكفر به على الإيمان بالله ، لأنه قد يدعي المدعي أنه يؤمن بالله وهو لا يجتنب الطاغوت وتكون دعواه كاذبة ، وأخبر أن جميع المرسلين قد بُعِثوا باجتناب الطاغوت ، فمن لم يجتنبه فهو مخالف لجميع المرسلين) الدرر ١٠/ ٥٠٢.

وقال بعده :(والمراد من اجتناب الطاغوت : بغضه وعداوته بالقلب وسبه وتقبيحه باللسان وإزالته باليد عند القدرة ومُفارقته ، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق) .

المسألة التاسعة: الكفر بالطاغوت أول ما فرض الله والرسل أجمعت عليه :

أول ما افترض الله على عباده الكفر بالطاغوت ، وإليه دعا جميع الرسل وقد أجمعت الرسل على أن الدين لا يقبل إلا به، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ .

العاشرة: حكم الكفر بالطاغوت وكونه شرطاً لصحة التوحيد والإيمان ولا يعتبر الإسلام إلا به وهو أول ما فرض الله:

يعتبر الكفر بالطاغوت الركن الأعظم في التوحيد إذ التوحيد لا يسمى توحيداً إذا لم يقم على النفي وهو الكفر بالطاغوت، وإذا كان التوحيد لا يتحقق بدونه فإن الدين لا يصح والإسلام لا يقبل إلا به، وقد دلت النصوص على هذا الأصل وحكا أهل العلم الإجماع عليه ، فالكفر بالطاغوت والنفي والإثبات في التوحيد تكون مقترنة ولا تنفك عن بعض، ولا يتصور تعاقب زمني بينها بل تكون في وقت واحد فهي متلازمة، فلا تكون عبادة لله إلا بالكفر بعبادة غيره وكل أمر بالعبادة لله فالمقصود بها التوحيد . (لا إله إلا الله)

قال ﷻ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾البقرة٢٥٦

والعروة الوثقى: كلمة التوحيد والإيمان والإسلام، ومفهوم الآية من لم يكفر بالطاغوت، لا يكون مستمسكا بالعروة الوثقى وآتيا بالتوحيد، فهو كافر غير مسلم.

وعليه فمن لم يكفر بالطاغوت يكون كافراً مشركاً ، ووجه ذلك أن الكفر بالطاغوت ركن في التوحيد لا يقبل ولا يصح إلا به ، فالتوحيد يقوم على عبادة الله مع الكفر بالشرك، ومن لم يعبد الله فهو كافر ومن لم يكفر بعبادة ما سواه فهو مشرك.

الحادية عشرة: حكم من يقول (لا إله إلا الله) لكنه لم يكفر بالطواغيت :

من يقول : (لا إله إلا الله) لكنه لا يكفر بالطاغوت فهو كافر غير مسلم .

مسألة : هل يصح أن يؤمن العبد بالله مع عدم كفر بالطاغوت ؟

والجواب : أنه قد يجتمع عدم الكفر بالطاغوت مع الإيمان بربوبية الله ، كما يجتمع الشرك مع الإيمان بربوبية الله ، ويصدق فيه قوله ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ يوسف:١٠٦، كما قال السلف في تفسيرها، أما الإيمان الصحيح بالله والتوحيد الحقيقي فلا يكون إلا بالإيمان بتوحيد الألوهية والربوبية معاً .وأما حديث: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله) رواه مسلم . فهذا العطف للتأكيد لا المغايرة، لأن الكفر بما يعبد من دون الله من معاني كلمة التوحيد.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فقوله : وكفر بما يعبد من دون الله تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله. واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾، الرشد دين محمد ﷺ ، والغي دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له). مجموعة التوحيد .

وقال : (دين النبي ﷺ التوحيد، وهو معرفة لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل بمقتضاها، فإن قيل: كل الناس يقولونها، قيل: منهم من يقولها ويحسب أن

معناها لا يخلق إلا الله ولا يرزق إلا الله وأشباه ذلك، ومنهم لا يفهم معناها، ومنهم من لايعمل بمقتضاها،ومنهم من لايعقل حقيقتها، وأعجب من ذلك من عرفها من وجه، وعاداها وأهلها من وجه، وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها،يا سبحان الله العظيم! أتكون طائفتان مختلفتان في دين واحد وكلهم على الحق؟ كلا والله، فماذا بعد الحق إلا الضلال). الرسائل الشخصية ١٨٢ .

الثانية عشرة: لا يجتمع إيمان بالله مع إيمان بالطاغوت وعدم الكفر به:

لا يجتمع إيمان بالله مع إيمان بالطاغوت، ولا عبادة الله مع عبادة الطاغوت ولا التوحيد مع الشرك فما ثم إلا عبادة الله أو عبادة الطاغوت ، فإذا آمن بأحدهما كفر بالآخر، لأن الرب ﷻ هو الإله الحق يجب الإيمان به، ومن الإيمان به أن يكفر بكل إله سواه، ومن آمن بإله غيره واعترف بالطاغوت وآمن به فقد كفر بالله لا محالة ، بل ولو لم يؤمن بالطاغوت لكن ترك الكفر به فإنه يعتبر كافر بالله غير مؤمن به .

قال ابن تيمية : (فأما من ترك عبادته بما أمر به واتبع هواه فهو لا يعبد الله وإنما يعبد الشيطان ويعبد الطاغوت) الفتاوى ١٦/ ٥٦٥ .

قال الشيخ عبد اللطيف: (من فعل الشرك فقد ترك التوحيد فإنهما ضدان لا يجتمعان ونقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان) منهاج التأسيس ص٦.

قاعدة: الكفر بالطاغوت يقابل الإيمان بالله وعبادته :

أثبت ﷻ وجود المؤمن بالطاغوت بقوله﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ النساء٥١، والمؤمن ضد الكافر فمن آمن بالطاغوت فإنه لم يكفر به ومن كفر به فإنه لم يؤمن به .

المسألة الثالثة عشرة : موقع الكفر بالطاغوت من لا إله إلا الله :

أولا : علاقة الكفر بالطاغوت بأركان لا إله إلا الله :

الكفر بالطاغوت هو أحد ركني لا إله إلا الله وهو ركن النفي فيها، فهو يقابل النفي (لا إله) في لا إله إلا الله : فلا إله هي بمعنى الكفر بالطاغوت، والكفر بالطاغوت هو أحد ركني التوحيد وهو ركن النفي فيه والمتضمن (لا إله) الذي معناه نفي الألوهية بجميع أفرادها وخصائصها من الحكم والتنسك والتقرب والدعاء والتشريع والمحبة والموالاة وغيرها عن كل أحد سوى الله ﷻ .

ثانيا : دخول الكفر بالطاغوت ضمناً في شروط لا إله إلا الله وعلاقته بها :

الأولى : من جهة المحبة لله وبغض الطاغوت وعداوته .

الثانية : من جهة الإخلاص القائم على التوحيد ونفي الألوهية الباطلة.

الثالثة : من جهة الانقياد .

وضده يعتبر من نواقض (لا إله إلا الله) الهادم لأركانها وشروطها .

ثالثا : علاقة الكفر بالطاغوت بالنواقض :

- يتعلق بالشرك عموما من جهة عبادة الطاغوت وإقراره وهذا من الشرك .

- يتعلق بناقض عدم تكفير المشركين وتصحيح مذهبهم فإن من لم يكفر المشركين يعتبر غير كافر بالطاغوت .

- يتعلق بموالاة الكفار ومظاهرتهم إذ أن هذا من أعظم صور الإيمان بالطاغوت وعدم الكفر به والبراءة منه .

وعموما فعدم الكفر بالطاغوت من نواقض (لا إله إلا الله) .

المسألة الرابعة عشرة: أهمية الكفر بالطاغوت ومنزلته من الدين والإيمان :

اعلم أن الكفر بالطاغوت الركن الأعظم في التوحيد إذ التوحيد لا يسمى توحيداً إذا لم يقم على النفي وهو الكفر بالطاغوت، وإذا كان التوحيد لا يتحقق بدونه، فإن الدين لا يصح ولا يقبل الإسلام إلا به ، وقد نص العلماء على هذا الأصل وحكوا الإجماع عليه .

قال سبحانه: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ . والعروة الوثقى هي شهادة (لا إله إلا الله) ، ومفهوم الآية أن من لا يكفر بالطاغوت لا يعتبر مستمسك بلا إله إلا الله ولا هو ممتثل لها .

وهذه حقيقة ملة إبراهيم، فهي قائمة على الكفر بالطاغوت، وعلى إبداء العداوة والبغضاء وإظهارها، والله جعلها الطريق الوحيد لأهل الإيمان، فمن رغب عنها فليس إلا كافر سفيه.

فالكفر بالطواغيت يعد أصل الأصول، وأعظم ركن في الإسلام، وقد جاءت به الرسل جميعاً، وهو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة في جميع مجالاتها وتفرعاتها، فلا يصح الإيمان ولا يُقبل عمل بدون ذلك، وهو أول ما يجب ، وهو الغاية التي من أجلها خُلقت الخلائق وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وعليه فطرت الخلائق ، وبه يُعقد الولاء والبراء، وفي سبيله شُرع الجهاد وجردت السيوف وأهدرت الدماء، به تحصل النجاة في الدنيا والآخرة، ولا يُعصم الدم إلا بعد الكفر بكل معبود سوى الله أيا كان نوع المعبود وصفته وحاله، ونوع العبادة التي تصرف له .

ومن الأدلة المبينة لهذا الأصل ما قاله ربنا تقدس وتعالى في مواضع من كتابه:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الروم: ٣٠ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

فمسألة التوحيد والكفر بالطاغوت، كانت الغاية العظمى للرسل حتى استغرقت كل وقتهم، لا يصرفهم عنها صارف أو شاغل، لا مساومة فيها، وليس عندهم فيها أنصاف الحلول، ولأجلها أمروا بسل السيوف وتجهيز الجيوش، وبذل النفوس، فلا بد مِن أن تحسم، مَن المعبود بحق الطواغيت أم الله الواحد القهار؟.

فاحذر أيها المسلم يا من تطلب النجاة في الآخرة أن تفرط فيه فتركن إلى الطواغيت، أو تُشغل عنه إلى ما هو دونه قبل أن تستوفيه حقه ، ولا يغرنك اشتغال القوم بالدعوة والتصدر للفتيا والتدريس مع جهلهم بمدلول الإسلام وحقيقة الشرك، ومعنى (لا إله إلا الله) ، فزهدهم في هذا العلم جرهم إلى الإشراك بالله، وصار سعي أكثر الدعاة لا فائدة فيه، ومخالفا لمنهج الأنبياء والله المستعان .

وقد عملت شياطين الإنس والجن على صرف الناس عن التوحيد الخالص، حيث تأمرهم بعبادة غير الله ﷻ وتزين لهم اتخاذ الأولياء والشركاء والأنداد في دعاء غير الله والتحاكم إلى شرع غيره ، كما جاء في الحديث القدسي عند مسلم .

مسألة : الحكمة من كون أول ما افترض الله على عباده الكفر بالطاغوت :

لأجل تحقيق الغاية من الخلق وهي القيام لله بالعبودية الحقة وإفراده بها.

المسألة الخامسة عشرة : علة تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله :

جاءت آيات بتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله كقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٥٦ وجاءت آيات أخرى بتقديم الإيمان على الكفر بالطاغوت كقوله تعالى : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ .

والكفر بالطاغوت مقدم على الإيمان بالله وهو بأن يكفر بكل إله سوى الله ﷻ ثم يبدأ بإثبات الألوهية لله ﷻ، وهذا مقتضى (لا إله إلا الله) والبدء بالنفي قبل الإثبات من وسائل الحصر. وقدم الله ﷻ الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله لأهميته وحتى لا يظن أحد أنه سيدخل في الدين أو يقبل منه إيمانه وإسلامه وهو لم يحقق الكفر بالطاغوت، كما هو من باب التحلية بعد التخلية، إذ قبل التوحيد لابد من إزالة الشرك والتطهر من شوائبه وأدرانه .

فتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ﷻ له فوائد ودلالات عظيمة منها:

أولاً: عدم الاستهانة بمبدأ الكفر بالطاغوت، وبيان أنه أصل يبنى عليه غيره.

ثانياً: أنه لا بد من أن يسبق الإيمان الكفر بالطاغوت، ولو قُدم الإيمان على الكفر بالطاغوت فإن الإيمان لا ينفع صاحبه في شيء إلا بعد الكفر بالطاغوت والتخلي عن الشرك.

ثالثا: أن الإيمان بالله وحده والإيمان بالطاغوت لا يمكن اجتماعهما في قلب واحد، فالإيمان بأحدهما يستلزم انتفاء الآخر، وفي الحديث: (لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب واحد) صححه الألباني ، فإما إيمان بالله وكفر بالطاغوت، وإما إيمان بالطاغوت وكفر بالله تعالى .

المسألة السادسة عشرة : ضوابط الطاغوت وصفاته :

١- من ادّعى صفة من صفات الله الخاصة به سبحانه .

كالعبادة والألوهية أو الربوبية أو علم الغيب أو العلم الشامل أو التشريع والحكم أو القدرة التامة أو النفع والضر أو الكمال.

وليس كل كفر ولا كل كافر طاغوت ، فالطاغوت هو ما زاد عن الحد في الكفر والظلم وطغى وتجبر.

٢- كل من هو رأس في الضلال يدعو للباطل ونشر الظلم والفساد .

٣- من يعبّد الناس لغير الله ، كالساحر ودعاة الشرك .

المسألة السابعة عشرة: أخص صفات الطاغوت ثلاثة :

١- من يدعي صفة من صفات الله ﷻ كالعلم الشامل والسابق والغيبي والقدرة المطلقة والحكم والتشريع والأمر والطاعة والاتباع والمحبة .

٢- الإضلال والإفساد وصد الناس عن الدين .

٣- من ينفي صفات الله ﷻ عنه ويجرد الحق من صفاته .

تنبيه: قد يتصور حصول الجهل ببعض أفراد الطاغوت وبعض صور الكفر به لذلك كان لزاما عليك أن تعرف صفاته وضوابطه .

المسألة الثامنة عشرة : أقسام الطاغوت : الطاغوت ثلاثة أقسام :

١- طاغوت العبادة : ويدخل فيه كل ما عُبد من دون الله ، فإن كان من الأحياء الملائكة أو الإنس أو الجن فلا بدّ من رضاه حتى يُسمى طاغوتا ، وإن كان من الجمادات أو الحيوانات فلا يشترط رضاه ويسمى طاغوتا مطلقا .

٢- طاغوت الاتباع : ويدخل فيه الكهان والسحرة وعلماء الضلالة وعبّاد الغواية الذين يُتبعون فيما يقولون، ويحيدون عن شرع الله ﷻ .

٣- طاغوت الطاعة : ويدخل فيه الحكام والأمراء والرؤساء الذين يحكمون بغير ما أنزل الله وينحون شريعة الله ودينه ويتحاكم الناس لهم ، ويحرمون ما أحل الله أو يحلون ما حرم الله سبحانه فيطيعهم المشركون بهم.

فكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، وكل ما أطيع من دونه فهو طاغوت، وكل ما اتبع من دون الله فهو طاغوت.

قال ابن سحمان : (الطاغوت ثلاثة أنواع : طاغوت حكم وطاغوت عبادة وطاغوت طاعة ومتابعة) . الدرر ١٠/ ٥٠٢ .

قال ابن القيم: (هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع).

وعلى هذا التعريف فالطاغوت ثلاثة أقسام :

١- المعبود : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ الزمر١٧ ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ المائدة: ٦٠.

٢- المتبوع: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ﴾ البقرة: ٢٥٧ ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٧٦ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٥١.

٣- المطاع والمتحاكم إليه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠ .

المسألة التاسعة عشرة: رؤوس الطواغيت :

قال محمد بن عبد الوهاب : الطواغيت كثيرة ورؤوسها خمس :

الأول : الشيطان لعنه الله .

الثاني : الحاكم الجائر المشرّع والمغير لأحكام الله تعالى ، والدليل قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠.

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤.

الرابع : الذي يدعي علم الغيب .

الخامس : الذي يعبد من دون الله وهو راض .

وهذا النوع على قسمين :

١- الداعي الملزم : وهو من يدعو الناس لعبادة نفسه .

٢- الراضي : من يرضى بعبادته وإن كان لا يدعو الناس لها.

فقد جعل إمام الدعوة رؤوسها خمسة وهي :

الشيطان والمشرع والحاكم بغير ما أنزل الله ومدعي علم الغيب ومدعي الألوهية الداعي لعبادة نفسه أو من يرضى بذلك .

وجعل اثنين منها في الحكم والتشريع مما يدل على خطورته.

المسألة العشرون : بعض صور الطواغيت التي تُعبد من دون الله تعالى:

١ – الشيطان :

إبليس اللعين ، الذي أقسم وقطع على نفسه أن يفتن العباد عن عبادة الله تعالى إلى عبادة ما سواه.

فإن قيل : الطاغوت هو الذي يُعبد ، فأين تكمن عبادة الناس للشيطان؟

قيل: إن عبادته تأتي من جهة أن الشرك إنما حصل بطاعته واتباعه على الكفر والشرك، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ يس: ٦٠ .

كما أن المعبود لكل مشرك هو الشيطان في الحقيقة كما أخبر سبحانه عن الملائكة الذين عبدوا في قوله: ﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤١.

٢ – كل ما يعبد من دون الله ﷻ:

اعلم أن الطواغيت التي تعبد من دون الله في هذا الزمان قد تعددت واختلفت أنواعها وأشكالها، وهي أكثر من أن تحصر ، وكل ما عبد من دون الله ولو في باب من أبواب العبادة وهو راض بذلك فهو طاغوت .

٣ – المطاع لذاته من دون الله تعالى:

من يظن أنه مستحق للطاعة المطلقة، وعبادته من جهة طاعته من غير تعقيب أو رد سواء كان موافقا للحق أم لا وإذا كان الله سمّى المطيع مشركا كافرا كما في قوله : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فكيف بالـمُطاع نفسه إنه أشد كفرا، ولأجل تجاوز حده ورفع نفسه عن مرتبة البشر المخلوقة القائمة على العبودية إلى درجة الرب الذي له وحده الخلق والأمر والطاعة المطلقة له لهذا استحق أن يسمى بالطاغوت .

٤- المحبوب لذاته من دون الله تعالى :

المحبوب لذاته من دون الله معبود من جهة عقد الولاء والبراء لأجله ، فيُحب فيه ويُبغض فيه، ويُوالى فيه ويُعادى فيه . ومن كان كذلك فهو طاغوت، وقد جُعل منه نداً لله تعالى فيما يجب له سبحانه من الموالاة والمحبة .

وقد تختلف صوره، فقد يكون شخصاً أو وطناً أو مالاً، أو حزباً أو غير ذلك، والقاعدة أن كل من عُقد فيه الولاء والبراء من دون الله يسمى طاغوتاً.

٥- المشرع من دون الله ﷻ:

من جعل نفسه ربا وإلها ندا لله يسن الدين ويضع الشرائع ويحلل ويحرم ويأمر وينهى مضاهيا بذلك صفة الأمر وتشريع الدين الذي تفرد الرب ﷻ به، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩ .

والمشرع ادّعى أخص صفات الله ﷻ لذا سماه الله ﷻ رباً وطاغوتا كما في قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١. ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٦٤.

٦- الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى :

الحاكم بغير ما أنزل الله الذي قدم شرع الطاغوت على شرع الله وحسنه للناس، واعرض عن حكم الله وصد الناس عنه، واستبدله بحكم الجاهلية. قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠.

وإذا كان الله كفر المتحاكم لغير الله كما في آية ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ وجعل من يطيع الآمر مشركاً كما في آية ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١ ، فما هو حكم الله ﷻ في المشرع والحاكم ؟!

ويزيد كفر الحاكم إذا كان كارها لشرع الله أو أنه حارب وعادى شرع الله أو قام بحماية قوانين الكفر والقتال دونها.

٧- المضل والمفسد :

الصد عن سبيل الله وحرب دينه وأذية أوليائه والدعوة للكفر والفسق والضلال والسعي في نشر الفساد وإشاعة الفواحش وتلبيس الحق بالباطل .

وهذه صفة يتصف بها كثير من شياطين الإنس الذين جندوا أنفسهم أنصاراً للشرك والكفر والضلال. كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ البقرة: ٢١٧ فالإضلال والإفساد من أخص صفات الطاغوت .

٨- الساحر :

هو طاغوت لأمرين : لكونه يصرف الناس عن عبادة الله ويعبّدهم للشيطان، ويأمرهم بالشرك ، إضافة لادعائه علم الغيب والقدرة الكاملة على التأثير ، فينزل الضر فيمن يشاء، ويرفع الضر عمن يشاء، وهذه من أخص صفات الله ﷻ.

٩- الكاهن : وهو الذي يتكهن ويدّعي علم الغيب، أخص صفات الله ﷻ .

١٠- الهوى :

يكون الهوى طاغوتا ومعبودا إذا كان هو الفيصل في الفعل والترك والحاكم على الشرع والمقدم على طاعة الله تعالى ومحبته.

وهناك طواغيت فرعية تعتبر داخلة في فروع ما سبق من الطواغيت :

القومية والوطنية:

القومية تقوم على الكفر بما يوجبه الإسلام من إقامة الموالاة والمؤاخاة على أساس الدين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ .فهم إخوة وأولياء وإن اختلفت قومياتهم وديارهم، والتمايز ليس بغير الدين وبالتقوى كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات: ١٣.

وجعلوا لها أحكاما وحقوقا لهذا كانت طاغوتا ومعبودا من دون الله يُعقد الولاء والبراء فيه وتقوم الأحكام والحقوق على أساسه، حتى إن عابديه جعلوا له أحكاماً محل أحكام الشريعة، فجاءوا بها أسموه بالوحدة الوطنية وأخي المواطن وابتدعوا للوطن عيداً يضاهئون به عيد المسلمين، وعادوا وسالموا وقاتلوا في سبيله، وهذا قتال في سبيل الطاغوت كما أخبر ﷻ عنهم، وتبرعوا في سبيله وماتوا في سبيله ويقولون للميت فيه شهيد الوطن، وغير ذلك مما لا يجوز فعله لغير الله .

ولهؤلاء يقال : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ التوبة: ٢٤ .

فوالوا في المساكن والطين ولم يوالوا في المناسك والدين.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (إن من لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة وبين المسلمين إلا بالوطن، وجعل أحكامهم واحدة فهو كافر)١/ ١٤٥.

الإنسانية :

والإنسانية تعني : أن الناس كلهم سواسية في الحقوق والواجبات، وإن اختلفت انتماءاتهم الدينية والعقدية، فيستوي فيها أتقى الناس مع أكفر الناس .

وعندما تصبح الإنسانية شعاراً يعقد عليها الولاء والبراء، وتقدم في سبيله الأرواح ويُعلن لها الحرب والسلم، ووصل بعباد الإنسانية أنهم يتحرجون من تسمية الكافر ونداءه بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وسموه بالآخر والغير والمخالف ، فالإنسانية بهذه الصورة تعتبر طاغوتا يعبد من دون الله .

ولهؤلاء يقال : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ القلم: ٣٥ ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ ص: ٢٨.

والله ﷻ وإن كان حرّم ظلم الكافر إلا أنه نهانا عن توليه ومساواته بالمسلم في الأحكام فجعل ديته نصف دية المسلم أو ربعها، ولا يقتل المسلم بالكافر دون العكس، ولم يعطه حق الإرث والشفعة وغيرها بينما خص المسلم بحقوق لا يشاركه الكافر فيها، ومن ذلك قوله ﷺ : (حق المسلم على المسلم ست) .

ومع ذلك فالإنسانية لا حقيقة لها فإن عداوة الكفار للمسلمين قائم ولن يتغير : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٧ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٠ ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ آل عمران: ١١٩.

العصبية القبلية :حيث يعقد التناصر والولاء والمحبة على أساس الانتماء إلى القبيلة بغض النظر عن الدين وسلامة الاعتقاد .

وفي جميعها (الوطنية القومية القبلية) يقال ما قاله الرسول ﷺ :

(ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية) رواه النسائي. وقوله ﷺ : (فادعوا بدعوى الله التي سماكم : المسلمين المؤمنين عباد الله) رواه النسائي.

ومن تأمل النصوص علم جهل كثير من دعاة القبْيَلة والمفتخرين بها فالنبي ﷺ مثلاً قال: حب الأنصار من الإيمان ، ولم يقل حب الأوس والخزرج من الإيمان لوجود المؤمن فيهم والكافر بخلاف الأنصار الذين هم من الأوس والخزرج .

وقد قال ﷺ : (لا فضل لعربي على اعجمي إلا بالتقوى).

العلمانية :

وجه كونها طاغوتا أن فيها منازعة الله في حكمه والتمرد على شرعه، والامتناع عن العمل بدينه ومدح تحكيم القوانين الوضعية. فليس للدين دخل في السياسة والاقتصاد والمواثيق الدولية وقالوا كما قال الكفار الأولون ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾ هود: ٨٧.

اللبرالية : وتقوم على الحرية وفك رباط العبودية لله وعدم الدخول في الانقياد للشريعة والالتزام بالدين، لاحكما ولاامتثالا، فأنف دعاتها من الانقياد لرب العالمين وانسلخوا من لباس الطاعة، فاللبرالية بهذا الاعتبار من أعظم أبواب الطاغوت .

الديمقراطية : وجه كونها طاغوتا أنها تنازع الله صفة الحكم والتشريع ، وأصحابها يقاتلون في سبيلها ويتظاهرون من أجل تحقيقها.

المجالس النيابية التشريعية :

كون هذه المجالس بأعضائها طاغوتا، فهو من جهة الإقرار لها بخاصية التشريع وطاعتها واتباعها في ذلك .

الأحزاب :

وما أكثرها في زماننا وهي تضاهي حزب الله ، وكلها تقوم على تضييع الأخوة في الدين وتحارب الدعوة للتوحيد والجهاد فيه ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ الروم: ٣٢، ومن أكثرها انتشارا اليوم حزب الإخوان فقد عمت وأعمت نعوذ بالله منها ومن دعاتها وجعلنا من دعاة التوحيد .

ويكون الحزب طاغوتا من دون الله من جهتين :

الأول : عندما تطاع الأحزاب لذاتها، ويقبل كل ما يصدر عن الحزب وتجب طاعته مطلقا ولو كانت مخالفة للحق .

الثاني : عندما يُعقد الولاء والبراء في الحزب، فيُعطى الولاء والود والنصرة من ينتمي إلى الحزب ما لا يعطاه من هو خارج عنه .

وبعد : فهذه بعض طواغيت زمانك فاحذرها وتجنبها واكفر بها وحذِّر منها واعلم أنه قد عدل أكثر الناس عن عبادة الله إلى عبادة هذه الطواغيت وطاعتها واتباعها والتحاكم إليها وعقد الموالاة والمعاداة لأجلها وتركوا الدخول في دين الله وحزبه إلى الدخول في دين الطاغوت وحزبه والله المستعان ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ المائدة: ٥٦ .

قال ابن القيم : (فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) نقله عنه صاحب كتاب تيسير العزيز ٣٣ .

المسألة الحادية والعشرون : أنواع الطاغوت :

١- الجماد وغير العاقل : والتي لا توصف بكفر ولا إيمان كالأحجار والأشجار والدواب والنار، مثل الأصنام والبقر وكل ما صد عن دين الله ولذلك سميت اللات وذو الخلصة طواغيت .

٢- الأحياء العواقل : من الناس والشياطين كالسحرة ومدعي الألوهية أو علم الغيب أو الحكام المشرعين أو من المفسدين كرؤوس المبتدعة وعلماء السوء .

٣- الأمور المعنوية : فيسمى كل ما صد عن دين الله وعبادته طاغوتاً، مثل طاغوت الهوى، وجعل ابن القيم المجاز طاغوتاً والتأويل طاغوتاً، ومثلها في زماننا طاغوت المصلحة والدمقراطية، حيث قُدمت على التوحيد والكفر بالطواغيت.

الثانية والعشرون : الكفر بالطاغوت لا بد أن يأتي به المسلم عن قصد :

لو أن شخصا عبد الله ولكن لم يتبرأ من عبادة ما سواه ، فهذا لا يعتبر من أهل التوحيد ولا آمن بالله وحده بل هو مشرك مؤمن بالطاغوت كافر بالله، لأن الله ﷻ أمرنا بالكفر بالطاغوت ، ولا بد في قبول كلمة التوحيد والكفر بالطاغوت من ترك الشرك قصدا ، وهذا هو الحنيف الذي أثنى الله عليه. وبينا هذه القاعدة في مواضع .

الثالثة والعشرون : صفة الكفر بالطاغوت وحقيقته وكيفيته وبم يحصل:

يحصل الكفر بالطاغوت بستره وتغطيته وعدم تعظيمه ورفعه وإظهاره، وبإنكاره وجحده وببيان حقيقته وهوانه وفضحه، وبعصيانه ومعاندته والامتناع عن طاعته، وبالبراءة منه وبغضه وتكفيره.

فلابد من نفي ما ادعاه هذا الطاغوت لنفسه، وسلب خصائص الإله عنه، وحتى تكون مؤمنا بالله كافرا بالطاغوت لابد أن تستمثل هذه الأفعال في قلبك وجوارحك، فتعصيه إذا أمرك، وتظهر مخالفته فلا تتابعه، وتكفر بحكمه ولا تمتثله، وإذا ادعى صفة من صفات الله كعلم الغيب أو التشريع والحكم أو العبادة، فأنت واجب عليك أن تنفيها عنه وتنكرها، وتظهر كذبه، وتشهد بكفره، وتعتقد بطلان عبادته وحكمه وطاعته، وتكفر بعبادة غير الله ﷻ ، وتتركها وتبغضها، وتكفّر أهلها وتعاديهم، وكذلك تكفر بمتابعة أحد غير رسوله، وتكفر بحكم من سواه .

وقد بين الإمام محمد كيفية الكفر بالطاغوت وصفته في خمسة أمور :

الأول : اعتقاد بطلان عبادتها والكفر بها والحكم عليها بالكفر والشهادة عليهم بذلك والبراءة منها .

الثاني : تركها واجتنابها .

الثالث : بغضها .

الرابع : تكفير أهلها وعابديها .

الخامس : معاداتهم، ويدخل فيها : إزالة الطواغيت والتصدي لها ومقاومتها والقضاء عليها، والتحذير منها، وجهاد أتباعها.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (فأما صفة الكفر بالطاغوت : فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتُكفر أهلها وتُعاديهم، وأما معنى الإيمان بالله فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتُحب أهل الإخلاص وتواليهم وتبغض أهل الشرك وتُعاديهم ، وهذه : ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه: هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾) الدرر ١/ ١٦١ .

وقال أيضاً : (ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله ، من جني أو انسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك ، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك أو أخاك ، فأما من قال أنا لا أعبد إلا الله ، وأنا لا أتعرض السادة والقباب على القبور وأمثال ذلك ، فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت) مجموعة الرسائل والمسائل ٤/ ٣٣ .

فيا أيها الموحد إذا علمت أنه يجب عليك الكفر بالطاغوت، وأن إيمان المرء لا يصح إلا بعد الكفر به، يتعين عليك أن تعرف صفة الكفر بالطاغوت لتقوم به في حياتك، وحتى لا يكون كفرك به مجرد دعوى أو زعماً باللسان من دون عمل، لا تظهر آثاره على الجوارح وفي واقع الحياة .

فائدة : ليس المراد كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام في القلب بل المراد كسرها من القلب أولا . قاله ابن القيم في روضة المحبين .

المسألة الرابعة والعشرون: مقتضيات الكفر بالطاغوت ولوازمه :

١ - الجهاد والقتال وقتل كل طاغوت :

وهذا من أعظم معاني الكفر بالطاغوت وما شرع الجهاد إلا لهذا الأصل قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩، والفتنة هي الشرك والكفر ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ التوبة: ١٢ وأئمة الكفر هم الطواغيت.وقال ﷻ: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ التوبة: ١٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾ التوبة: ١٢٣ ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ الحج: ٤٠ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ النساء: ٧٦ ومن قاتل مع الطاغوت وناصره وأيده ووافقه ضد الموحدين لم يحقق أصل الدين وهو اجتنابه وأصبح من أولياء الطاغوت.

٢ - الولاء والبراء: فمن الكفر بالطاغوت معاداتهم وبغضهم والتبرؤ منهم وممن يعبدهم .قال تعالى : ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾. وتأمل قوله (بدا) الذي يفيد غاية الظهور والوضوح، وتقديم العداوة التي مكانها الجوارح الظاهرة على البغضاء الذي مكانه القلب، وهذا يدل على أهمية إظهار العداوة والبراءة منهم إظهارا لا لبس فيه ولا غموض، إذ لا يكفي إضمار البغضاء لهم في القلب ثم نحن في الظاهر مسالمون لهم متوددون .

ثم تأمل تقديم البراءة من العابدين وشركهم قبل المعبودين، وما ذلك إلا للأهمية، فإن البراءة من العابد وشركه يقتضي البراءة من المعبودين دون العكس.

وقال ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فهذه هي الأسوة التي أمرنا بالاقتداء بها، وهي ملة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلا سفيه: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾.

٣- الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام وعدم الإقامة عندهم ولا السفر إليهم، وهجرهم ومجانبتهم واعتزالهم ومفارقتهم وعدم مخالطتهم.

ومن معاني الكفر بالطاغوت مجانبته واعتزاله كما أمر الله تعالى، ويلزم من اعتزال عبادة الطاغوت اعتزال عابديه فإنه لا يتحقق الإيمان إلا باعتزال عابديه، واعتزالهم بعدم نصرتهم وموالاتهم والوقوف معهم فهذا لا يتم الإسلام إلا به لذا كل من وقف مع الطاغوت ونصره ودخل في طاعته وأقر بولايته وأعانه على الموحدين فهو كافر سواء كان ينتسب للعلم أو كان عاميا .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦. ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ الزمر: ١٧ .

وقال عن إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ مريم: ٤٩ فتأمل ما وهبه الله إياه من النبيين ببركة اعتزاله للطواغيت.

٤- تكفير الطواغيت والمرتدين والمشركين .

قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وقال تعالى مادحا خليله في تكفيره لقومه: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ فلا بد من مخاطبتهم باسم الكفر وتكفيرهم.

٥- التحذير منها ودعوة الناس إلى الكفر بها .

٦- تكسير الطواغيت وهدمها وإزالتها وقد كسر الرسول ﷺ الأصنام، ولم يستبقِ طاغوتاً لا حياً ولا جماداً، فأمر بهدم الأصنام والطواغيت وقتل طواغيت الكفر وأئمته وأمر بهدم القباب وقطع التمائم وكل هذا من الكفر بالطاغوت .

وهذا من لوازم الكفر بالطاغوت ومقتضياته ومما يتضمنه الكفر به أيضاً .

٧- الإغلاظ عليهم :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ التوبة: ١٢٣ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩.

٨- انتفاء موالاتهم أو موادتهم، أو الركون إليهم، أو التحالف معهم وهذه من أعظم لوازم الكفر بالطواغيت : قال تعالى:﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الكهف: ١٠٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ١٤٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة: ٥١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ الممتحنة: ١ ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ المجادلة: ٢٢ ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ هود: ١١٣.

وقال ابن مسعود (جاهد الكفار والمنافقين): بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وليلقه بوجه مكفهر أي عابس متغير من الغيظ والبغض.أوثق عرى الإيمان لسليمان بن عبد الله .

وهذا هو هدي الرسول ﷺ ومنهجه في التعامل مع الطاغوت .

المسألة الخامسة والعشرون : أركان الكفر بالطاغوت وآلاته :

كما أن الإيمان قول وعمل كذلك الكفر بنوعيه المشروع والممنوع قول وعمل.

فالإيمان المشروع هو الإيمان بالله وبقدره وملائكته ورسله وكتبه والبعث .

والكفر الممنوع: الكفر بالله وبرسله وكل ما أمر الله أن نؤمن به .

والإيمان الممنوع: الإيمان بالطاغوت . والكفر المشروع: هو الكفر بالطاغوت .

على هذا فالكفر بالطاغوت يكون : بالقول والاعتقاد والعمل :

أولا : الكفر بالطاغوت المتعلق بقول اللسان وهذا يكون : بالتصريح بكفره والتحذير منه وبشتمه وسبه وتكفيره وتبيين ضلاله وكفره ودعوة الناس للكفر به وتنفير الناس عنه وتعليم الناس ذلك ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ .

ثانيا : والمتعلق بالقلب والاعتقاد وهذا يكون : ببغضه وكرهه وتمني زواله.

ثالثا : الكفر بالطاغوت المتعلق بالعمل والجوارح وهذا يحصل :

بمجانبته ومفارقته واعتزاله واجتنابه وعداوته وعدم الإقامة معه في مجالسه بل والهجرة من عنده، وجهاده بالبيان والبنان واللسان والسنان والأبدان وبالقلم واليد والسعي في إزالته والقضاء عليه وإهانته وتبيين فقره وعوره، فبهذا كله تتحقق صفة الاجتناب الواردة في وصف المؤمنين﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ الزمر: ١٧ .

قال سليمان بن سحمان: (المراد من اجتناب الطاغوت هو بغضه وعداوته بالقلب، وسبه وتقبيحه باللسان، وإزالته باليد عند القدرة ومُفارقته، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق) الدرر ١٠/ ٥٠٢.

فينقسم الكفر بالطاغوت إلى ثلاثة أقسام : بالقلب وباللسان وبالجوارح.

المسألة السادسة والعشرون: الكفر بالطاغوت أصل وكمال :

وتارك الكفر بالطاغوت على درجتين:

الأولى : تارك الأصل وهذا كافر .

الثانية : تارك الكمال وهو عاصٍ .

ويكون الكمال بالمبالغة في اعتزال الطاغوت ، والتفاني في عداوته ومجانبته قدر الاستطاعة ، مع تحمل الأذى في ذلك.

المسألة السابعة والعشرون : الفرق بين الإيمان بالطاغوت وعبادته :

عبادة الطاغوت تتضمن الإيمان به شاملة له، فمن عَبَدَ الطاغوت فقد آمن به ولابد، أما المؤمن به فليس بالضرورة أن يكون عابد له، فقد يقر به دون أن يعبده .

المسألة الثامنة والعشرون : الفرق بين الإيمان بالطاغوت وعدم الكفر به :

عدم الكفر بالطاغوت يشمل الإيمان به وترك الكفر به من غير إيمان ، كمن لا يكفّره، أو لا يتبرأ منه أو لا يتعرض له أو لا يبغضه أو لا يعاديه وهؤلاء لم يكفروا بالطاغوت وليس بالضرورة أن يكونوا مؤمنين به ، لكن يصدق عليهم مسمى الإيمان بالطاغوت من باب اللزوم، فمجرد ترك عداوة الطاغوت والكفر به يستلزم أن يكون صاحبه مؤمناً به .

المسألة التاسعة والعشرون : المخالفون في الكفر بالطاغوت :

١- المؤمن بالطاغوت ، والمصدق به ، والمقر به ، المعتقد فيه .

٢- العابد للطاغوت .

وتقدم على الفرق بين الإيمان بالطاغوت وعبادته وعدم الكفر به.

٣- المخالط للطاغوت غير المعادي له ولا المجانب والمجابه المفاصل له.

٤- المدافع عن الطاغوت والمقاتل عنه .

فيجب تكفير المدافع عن الطاغوت ، ومن يقدسه ويثنى عليه ويسوغ كفره، كحال علماء الطواغيت السوء وعبّاد الطاغوت ودعاة المصلحة الطاغوتية وطاغوت الهوى ومرجئة زماننا من أعداء ملة إبراهيم والمجادلين عن الشرك المجوزين للكفر.

٥- المحارب لمن يكفر بالطاغوت مع اعترافه بأن هذا طاغوت، ولكن ينهى عن معاداته وتكفيره والكفر به وهذا من الكفر الصراح وهذا أخطر الأنواع وأشدها ضرراً على التوحيد وذلك لتلبيسه على الناس كما بين ذلك أئمة الدعوة .

قال محمد بن عبد الوهاب : (دين النبي ﷺ التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل بمقتضاها، فإن قيل: كل الناس يقولونها، قيل: منهم من يقولها ويحسب أن معناها لا يخلق إلا الله ولا يرزق إلا الله وأشباه ذلك، ومنهم لا يفهم معناها، ومنهم من لايعمل بمقتضاها،ومنهم من لايعقل حقيقتها، وأعجب من ذلك من عرفها من وجه وعاداها وأهلها من وجه، وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها،يا سبحان الله العظيم أتكون طائفتان مختلفتان في دين واحد وكلهم على الحق؟ كلا والله،). الرسائل الشخصية ١٨٢ .

٦- المنكرون لعقيدة الكفر بالطاغوت وتكفير المرتدين، القائلون كذباً وزوراً: إن الله لم يتعبدنا بتكفير الناس ، وقد فندنا هذه الشبهة في شرح النواقض .

٧- من يبسط لهم في الموالاة والتودد، ويركن إليهم، ويذود عنهم، ويتوسع في التأويل لهم، وينصرهم على من عاداهم من أهل التوحيد، ثم هو بعد ذلك يحسب أنه يكفر بالطواغيت، فهذا لا يكون مؤمنا بالله كافرا بالطاغوت .

٨- من يصور الكفر بالطواغيت ومعاداتهم وبغضهم والخروج عليهم على أنه فتنة يجب اجتنابها، ثم يتكلف لوي النصوص الشرعية التي قيلت في المسلمين وأئمة المسلمين ليحملها على طواغيت اجتمعت فيهم جميع خصال الكفر والنفاق .

وهؤلاء يظنون أنهم يفرون من الفتنة بزعمهم، لكنهم وقعوا فيها ودخلوها من أوسع أبوابها وحووها من جميع أطرافها علموا بذلك أم جهلوا ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

٩- من يقصر الكفر بالطاغوت على القلب دون العمل والباطن دون الظاهر.

١٠- من يحصر شهادة التوحيد في دائرة النطق أو القول، ويصور للناس أن من ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله، هو كاف لدخوله الجنة والحكم عليه بالإيمان مهما كان منه من عمل، وهذا من ضلالات مشايخ الإرجاء وتلبيساتهم على الناس .

١١- من جرد الدين والعبادة عن حقيقتها وجعلها مجرد شعائر تعبدية، وأخرج منها الحكم بالشريعة والتحاكم لها ومعاداة الكفار وغيرها، وقد بين الرسول ﷺ هذا الخطأ في معتقد عدي بن حاتم وكذا بينه أبو بكر للصحابة في قتال المرتدين .

الثلاثون : علاقة الكفر بالطاغوت بتكفير المشركين ودخوله فيه:

الكفر بالطاغوت يشمل الكفر بالأوثان والكفر بعبادتها وتكفير عبّادها ، والطواغيت المقصود بها في كلام الله ورسوله المعبودات من أحياء وجمادات كذلك يقصد بها الكفار والمشركين أيضا ، والكفر بهم المقصود به البراءة منهم وبغضهم ومعاداتهم وتكفيرهم ، ولا يعتبر الكفر بالطاغوت إلا بالتكفير للكفار والطواغيت .

وقد أمرنا ربنا ﷻ بالتكفير في قوله:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وقال تعالى مادحا خليله إبراهيم عليه السلام في تكفيره لقومه:﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ فلا بد من مخاطبتهم باسم الكفر وتكفيرهم ، والكفر هنا في آية (كفرنا بكم) وحديث (كفر بما يعبد) يشمل الكفر بالعبادة الشركية وتكفير المشرك ، وبهذا يتبين وجه دخول التكفير في الكفر بالطاغوت، خلافا لما يظنه بعض الجهلة من أن الكفر بالطاغوت والبراءة من الكفار لا تدل على التكفير وأنه خارج عنها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: (لو عرف العبد معنى لا إله إلا الله لعرف أن من شك أو تردد في كفر من أشرك أنه لم يكفر بالطاغوت). الدرر ١١ / ٥٢٣ .

المسألة الحادية والثلاثونن: سنة الله في وجود الطواغيت والحق والباطل :

ما من نبي إلا وقد ابتلاه الله تعالى بالطواغيت يقارعهم ويجاهدهم ويبطل شركهم وكفرهم، ولتتمايز بجهادهم النفوس فيُعرف المجاهد الصابر من المنافق الكاذب المتخاذل، كما قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ العنكبوت: ٢ ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ آل عمران: ١٧٩ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ محمد: ٣١ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: ٢١٤ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ يوسف ١١٠ ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام: ٣٤ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ العنكبوت: ١٠.

فيا أهل التوحيد لابد أن يكون لكم طواغيت تبتلون بهم، وتظهرون الحق والتوحيد من خلال مقارعتهم ومجاهدتهم اقتداء بالأنبياء .

المسألة الثانية والثلاثونن : أساليب الطغاة وطرقهم الطاغوتية في تمييع التوحيد والكفر بالطاغوت والولاء والبراء وملة إبراهيم :

إن المشركين إذا ذكر الله وحده وخُص بالعبادة دون غيره، اشمأزت قلوبهم، وكرهوا ذلك، فالتوحيد يؤذيهم ويغيظهم، ووجوههم تكفهر، وقلوبهم تشمئز وتتغير على الموحدين، ولا شيء يسرهم كالإشراك بالله تعالى، ولهذا نراهم كما أخبرنا الله ﷻ عنهم من المواصلة دون سأم أو ملل في حرب الدين الحق وصد الناس عنه، كما أخبر

تعالى عنهم: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ البقرة: ٢١٧ ، ولهذا يجب على من عنده عقل أن يحذر من طاعتهم واتباعهم حتى لا يقع في الردة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران:١٠.

ولهم أساليب كثيرة ينشرونها يصدون بها عن سبيله معروفة لمن تأملها ، أخبرنا الله ﷻ عنها ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ الأعراف ٤٥.

فمن صور وأساليب صدهم عن الدين وحربهم له : رفع شعار الإنسانية بالتسوية بين المسلم والكافر، والوطنية بجعل أحكاما لها محل أحكام الشريعة، فجاؤوا بالوحدة الوطنية وجاهدوا وتبرعوا وعادوا ووالوا وسالموا وماتوا واستشهدوا في سبيل الوطن وابتدعوا له عيداً يحتفلون به، ومثل ذلك القومية والعلمانية والليبرالية والعصرانية والوسطية والتغريب والتعصب المذهبي والتقليد والتعايش السلمي والإخاء والعولمة والحرية ووحدة الأديان والتقريب بينها، والحوار بين المسلم وغيره من المشركين والمرتدين والكفار، ولقاء الحضارات وغيرها ، وترويج هذه بين المسلمين من أعظم غايات الكفار لأن في كل ذلك صرف للمسلمين عن دينهم وعقيدتهم ،وعن الولاء والبراء في الله الذي يقوم على والدين، واستبداله بولاءات جاهلية باطلة لا تقدر على القيام بجهاد الكفار ودفع شرهم. كذلك من الطواغيت التي وضعت لصرف المسلمين عن التوحيد :المحاكم الوضعية القانونية والتشريعات الكفرية ، الأعراف، كذلك الدمقراطية ويتعلل دعاتها كذباً أنهم لايستطيعون الحكم بالشريعة، أو أنهم سيحكمون بها بالتدريج كأن الوحي يتنزل عليهم، وليعلم هؤلاء ومن يبرر لهم أن مجرد ترك الحكم بالشريعة ردة صريحة لا شك فيها .

مبحث: الولاء والبراء

المسألة الأولى: أدلة الولاء والبراء: قال الله تعالى:

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ المائدة: ٨٠ – ٨١.

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩.

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة: ٢٢.

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة ٥١.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ المائدة: ٥٢.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ آل عمران: ٢٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء ١٤٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾

﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ المائدة: ٥٤ .

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ الإسراء: ٧٥ ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ هود: ١١٣.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ .

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٠ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ آل عمران: ١١٨ .

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾ البقرة: ٢١٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران:١٠ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ البقرة: ١٠٩ ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ .

المسألة (٢) : من أعظم لوازم ومقتضيات كلمة التوحيد الولاء والبراء :

دلت كلمة التوحيد على الموالاة والمعاداة بالدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والتلازم، وقد بينا ذلك في كتابنا قواعد الولاء والبراء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) . رواه الطبري ونحوه عند الطبراني .

وقال النبي ﷺ : (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) . رواه الطبراني .

قال ابن عقيل : (إذا أردت أن تنظر إلى محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في الجوامع ولا ضجيجهم بلبيك وإنما انظر إلى موافقتهم لأعداء الشريعة) الآداب لابن مفلح ١/ ٢١٠ .

قال ابن تيمية : (إن الإيمان بالله وبالنبي ﷺ وما أنزل إليه يقتضي عدم ولاية الكفار فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم). مجموعة التوحيد ٢٥٩.

قال محمد بن عبدالوهاب : (لا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم كما تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار وكما تبرأ نبينا محمد ﷺوصحبه من كفار قريش وهذه هي الموالاة للمؤمنين والمعاداة للمشركين التي هي أصل عرى الإيمان وأوثقها) . الدرر ٢/ ٩٥.

قال ابن القيم في النونية :

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ** حبا له ما ذاك في الإمكان

وكذا تعادي جاهداً أحبابه ** أين المحبة يا أخا الشيطان

شرط المحبة أن توافق من ** تحب على محبته بلا نقصان

م (٣) : قيام الولاء والبراء على ركنين :

الولاء يقوم على ركنين : ١/ المحبة ٢/ النصرة وهي الموالاة الفعلية الظاهرة .

البراء يقوم على ركنين : ١/ البغض الباطن ٢/ المعاداة الفعلية الظاهرة .

ولا يتم الولاء والبراء إلا بركنيه الظاهر والباطن ولا يقبل من المسلم توحيده إلا بقيامه بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

ولا يقبل ولاءه للمؤمنين إلا بمحبتهم ومناصرتهم وموالاتهم ظاهراً وباطناً .

ولا تصح البراءة من المشركين إلا ببغض الكفار بالقلب ومعاداتهم وجهادهم والكفر بهم وتكفيرهم بالعمل الظاهر.

والبغض من أفراد البراء وأبوابه ، فالبراء أعم من العداوة.

م (٤): أن البراءة تكون بالقلب واللسان واليد .فهي قول وعمل واعتقاد، ولا تكفي البراءة بالقلب دون ركنها العملي الظاهر القائم على المعاداة .

م (٥) : حكم المعاداة وحكم إظهارها :

لابد من إظهار العداوة للكفار وإبدائها والتصريح بتكفيرهم ، وإظهار الموالاة والمودة والمناصرة للمؤمنين ولا يعتبر الشخص مسلما إذا لم يبغض الكفار ويعاديهم ولا يتم إسلامه ويكتمل إلا بهذا الإظهار فترك معاداة الكفار وبغضهم كفر أما ترك إظهار المعادة فهو معصية وفسق دون الكفر .

قال ابن سحمان : (لا يقول بأن من لم يظهر عداوة المشركين ويظهر بغضهم إلا الخوارج الذين يكفرون بالذنوب ونحن لا نقول بهذا ولا نخرج بمجرد الإقامة بين أظهر الكفار وعدم إظهار العداوة من الإسلام) الجيوش الربانية ١٠٤ .

قال حمد بن عتيق:(من يقيم عند الكفار لأجل مال وولد وبلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ولا يعينهم على المسلمين ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه فهذا لا نكفره لأجل مجرد الجلوس ولكن نقول أنه عاصي) الدفاع عن أهل السنة ١٠ .

م (٦) : صور موالاة الكفار :

محبتهم ومودتهم ، الرضا بهم أو بكفرهم ، تصحيح مذهبهم ومدح طريقتهم، عدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم، ومناصرتهم ومعاونتهم بالمال والبدن والرأي والأرض، الشماتة بأهل الإسلام أمامهم، الدلالة على المسلمين ونقل عورات المسلمين وأخبارهم وأسرارهم إليهم، التجسس والعمالة لهم، الإعراض عن المسلمين والإقبال عليهم، السماح لهم بالدعوة لدينهم وإظهار الفساد وبث الشبه ونشر كتبهم ومجلاتهم وثقافاتهم والسماح لهم بنشر أفكارهم وفسادهم، تمكينهم من إهانة المسلم والاعتداء عليه، عدم إظهار العداوة لهم وقصد مخالفتهم، موافقتهم في الباطن أو الظاهر، إذابة الروابط الدينية مع المسلمين وموالاتهم، إلغاء الفوارق بين المسلم والكافر وإدعاء المساواة بينهما مطلقاً، احترام شعائرهم وشعاراتهم، تنفيذ مخططاتهم وأهدافهم، عدم تربية المسلمين وتعليمهم معاداة الكفار، السماح لهم بإظهار كفرهم بحجة التعبير عن الرأي وحرية الفكر، إتخاذهم بطانة ومباطنتهم، استعمالهم والاعتماد عليهم، الثقة والرضا بهم، الميل إليهم، الدفاع عنهم والذب عنهم، ابتغاء العزة منهم، تسهيل أمورهم وتيسير وتنفيذ مطالبهم، طاعتهم، الدخول في سلطانهم، التشبه بهم، تهنئتهم بأعيادهم، رفع شعاراتهم، التحدث بلغتهم، مخالطتهم ومعاشرتهم ومصاحبتهم والإقامة بينهم، مصادقتهم، تبجيلهم وتعظيمهم واحترامهم وتوقيرهم، الفرح برؤيتهم، الانبساط لهم وإنشراح الصدر لهم، البشاشة لهم، إكرامهم والمبالغة في استقبالهم، السعي في تقويتهم ونفعهم، مناصحتهم، مدحهم والثناء عليهم والإعجاب بهم.

م (٧) : أقسام موالاة الكفار :

الأولى: الموالاة المكفرة : ومن صورها : محبتهم لدينهم ، مظاهرتهم على المسلمين ، الرضا بكفرهم أو ظهورهم على المسلمين أو السعي في ظهورهم ، عدم تكفيرهم ، مساواتهم بالمسلمين وتفضيلهم عليهم ، توليهم مطلقا.

الثانية: الموالاة الصغرى: منها: مداهنتهم، التشبه بهم في دنياهم، البشاشة لهم.

م (٨) : الولاء والبراء ضدان :

فالتوحيد أن يصرف الولاء للمؤمنين والبراء والبغض والعداء للمشركين.

والكفر والشرك أن يصرف البراء والعداوة للمؤمنين، والولاء والمحبة للكفر والكافرين، فبهذا تتبين علاقة البغض التعبدي والبغض الشركي الكفري .

والقاعدة :

١- أن من تجب محبته تجب موالاته ونصرته ومن يجب بغضه تجب معاداته .

٢- ومن تجب محبته يحرم بغضه ومعاداته ومن يجب بغضه تحرم موالاته.

م (٩) : أن الإسلام بدون البراءة من المشركين وشركهم لا يكون مقبولاً، والتوحيد بدون الكفر بالطاغوت لا يقبل، وهذا هو حقيقة لا إله إلا الله، عبادة الله والبراءة من عبادة غيره .

م (١٠) : أن البراءة متعلقة بالشرك وفاعلي الشرك الذين هم أهله، فلا تكفي البراءة من الشرك الذي هو الفعل دون فاعله المشرك ولا العكس، بل لابد من البراءة من الفعل والفاعل والمفعول، من الشرك والكفر ومن فاعل ذلك الذي هو الكافر والمشرك ومن المعبود والطاغوت حياً كان أو جماداً .

م (١١) : أن أهل الشرك على قسمين : أصلي ومرتد ، وكثير من العوام والجهال بحقائق الدين والتوحيد يظن أن البراءة خاصة بالكافر الأصلي دون المرتد.

م (١٢) : أن البراءة لا تتم إلا بأربعة أركان :

١- البغض للكفار وهذا الركن القلبي .

٢- معاداتهم وإظهارها وهذا هو الركن العملي الظاهر .

٣- تكفيرهم والكفر بمعبوداتهم وشركهم وهذا الركن القولي اللساني .

٤- جهادهم وهو من صور معاداتهم .

م (١٣) : من لوازم البراءة من المشركين :

١- إغاظة الكفار : فإغاظة الكفار ومحاولة تحصيل ذلك مطلب شرعي وقد أمرنا الله بذلك وامتدح الله أصحاب هذه الصفة. قال ﷻ: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ التوبة: ١٢٠ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ الفتح: ٢٩ .

وهذا بخلاف حال أهل النفاق رحماء على الكفار أشداء على أهل الدين .

فالشدة على الكفار والغلظة عليهم من لوازم التوحيد قال سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة: ٧٣

فالأصل وجود غيظ أهل الكفر وبغضهم ولا يزول إلا بالقتال والجهاد ، وقد قرر ذلك ابن تيمية في الصارم المسلول .

٢- قصد مخالفة الكفار : ويضاد هذا المبدأ موافقتهم والتشبه بهم .

وهذا من مقاصد الشريعة قال ﷺ : (خالفوا المشركين) رواه البخاري.

م (١٤) : أقوال أهل العلم في وجوب معاداة الكفار والبراءة منهم:

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب :(وأنت يا من منّ الله عليك بالإسلام وعرفت أن ما من إله إلا الله، لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق وأنا تارك ما سواه لكن لا أتعرض للمشركين ولا أقول فيهم شيئاً لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ومعاداتهم).

وقال : (اكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفّرهم أو قال ما عليّ منهم أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى إثماً مبيناً، فقد كلّف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم) .

وقال الشيخ سليمان في أول كتابه الدلائل : (الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستعدى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة .. فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر).

وقال : (وعادى في الله هذا بيان للازم البغض في الله وهو المعاداة فيه أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد، إفادة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب) تيسير ٤٢٢.

وقال عبد الله وأخوه حسين ابنا الإمام محمد: (فمن قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفّرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله أو ارتدوا فهذا لا يكون مسلماً).

قال عبد الرحمن بن حسن " فلا يتم لأهل التوحيد توحيدهم إلا باعتزال أهل الشرك وعداوتهم وتكفيرهم ".

وقال عبداللطيف:" لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هـؤلاء الطواغيت وتكفيرهم ". وقال :" فكيف بمن أعانهم، أو جرهم على بلاد أهل الإسلام، أو أثنى عليهم أو فضلهم بالعدل على أهل الإسلام واختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم وأحب ظهورهم، فإن هذا ردة صريحة بالاتفاق " الدرر ٨/ ٣٢٤ .

ويقول الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن: "ولا يكفي بغضهم بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء " الدرر الجهاد ١٤١ .

وقال عبد الله بن عبد اللطيف :" التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم، وإعانتهم بالمال والبدن والرأي " الدرر ٨/ ٤٢٢.

وقال الشيخ حمد بن عتيق في سبيل النجاة والفكاك: " تأمل تقديم العداوة على البغضاء لأن الأولى أهم من الثانية فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولابد أيضاً أن تكون العداوة والبغض باديتين ظاهرتين بيّنة ودائمة ".

وقال أيضا :" قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم، ارتد بذلك عن دينه " الدرر ٩/ ٢٦٣.

وقال :"إن مظاهرة المشركين، ودلالتهم على عورات المسلمين، أو الذب عنهم باللسان، أو الرضا بما هم عليه، كل هذه مكفرات ، فمن صدرت منه فهو مرتد ، وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين " الدفاع عن أهل السنة ٣١ .

تنيه : توسعت في بيان مسائل الولاء والبراء في كتابي قواعد الولاء والبراء.

الفصل الثامن

الـعـبـادة

المسألة الأولى : تعريفها في اللغة :

العبادة : مشتقة من عَبَدَ يعبد عبادة وعبودية وتعبد ومتعبد ومستعبد .

وترجع لأصلين متضادين، كما ذكر ابن فارس :

الأول : الذل واللين والخضوع والخشوع والاستكانة والطاعة والاستسلام والانقياد والإذعان والإدانة .

ومنه طريق معبد أي مذلل وبعير مذلل ومنه قول ﷻ ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾.

الثاني : الشدة والصلابة والقوة والغلظة .

ويدخل في هذا الأصل معاني وردت في لغة العرب منها :

التعظيم والإكرام . الندم والوجد والحزن . اللبث والبقاء .

الأنفة والامتناع والترك: ومن هذا المعنى قوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ أي تارك عبادته ممتنع عنها غاضب آنف على أحد التفسيرين .

فالعبادة في اللغة : هي الطاعة والذل والخضوع على وجه التعظيم .

العبادة : قد ترادف لفظ الطاعة والإسلام والألوهية والدين والشريعة .

وتطلق العبادة على : أمر الله ودينه ، وعلى فعل العبد لذلك الأمر.

قال الأزهري في التهذيب: (العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع والذل).

وقال: قال الأنباري :(فلان عابد الخاضع لربه المستسلم لقضائه المنقاد لأمره، وقوله:اعبدوا ربكم: أي أطيعوا ربكم، وإياك نعبد إياك نوحد والعابد الموحد).

وقال الطبري في تفسيره : (العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة) .

قال الراغب:(العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل).

المسألة الثانية : معنى العبادة في الشرع :

عرّفت بعدة تعاريف منها :

التعريف الأول : هي كل ما أمر الله ﷻ به ورسوله .

وزاد بعض الأصوليين من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي : أي العمل التعبدي الذي ليس بالعادة والعرف ولا ما يفعله بتحسين العقل .

الثاني: فعل ما أمر الله به امتثالاً وترك ما نهى عنه على وجه الطاعة والامتثال .

الثالث: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وهذا تعريف ابن تيمية في العبودية .

ومعنى اسم جامع أي أن لفظ العبادة اسم يجمع كل ما أحبه الله .

وهي قسمان : فعل واجب مأمور وترك محرم منهي عنه .

وزاد الشيخ حافظ على التعريف والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده .

الرابع: كمال الذل والخضوع مع كمال المحبة ، وهذا تعريف ابن القيم .

المسألة الثالثة: إطلاقات العبادة :

١- تطلق العبادة على أمر الله وشرعه ودينه وخطابه .

٢- تطلق على فعل العبد لذلك الدين والأمر والشرع .

فهي مثل بعض الألفاظ: كالوضوء يطلق على الماء المتوضىء به وعلى فعل الوضوء ، وكذا الصيد يطلق على الحيوان المصاد وعلى فعل الصيد .

والأمر والنهي والتكليف متعلق بأفعال العباد وليس بالأعيان والذوات ، وهذا الأمر مقرر في قواعد الأصول .

المسألة الرابعة: أسماء المعبود بحق أو باطل :

الرب :

يطلق ويراد به الإله المعبود ويطلق ويراد به الخالق . قال تعالى: ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٩٢ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١.

الإله : ومعناه المعبود:

قال تعالى :﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف: ٥٩.

المعبود والمدعو: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ غافر: ٦٦.

الشفعاء : تطلق عل المعبودات المخلوقة الباطلة :

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾ الأنعام: ٩٤ ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا ﴾ الأعراف: ٥٣ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ يونس: ١٨ ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ الزمر: ٤٣ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ الروم: ١٣.

الشريك والشركاء: تطلق عل المعبودات الباطلة التي تعبد مع الله:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ الرعد: ٣٣ ﴿ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ﴾ سبا: ٢٧ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ ﴾ القلم: ٤١ ﴿ فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الأنعام ١٣٦ ﴿ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ الكهف: ٥٢.

الوسائط المقربة : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ الأحقاف: ٢٨ .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ الزمر: ٣.

الأصنام: أكثر ما تطلق على المعبودات الجامدة وهي رموز لمعبودين صالحين .

﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ الأنعام: ٧٤ ﴿ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ الأعراف: ١٣٨ ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥ ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ الشعراء: ٧١.

قال ابن القيم : (وضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وصورته ليكون نائبا منابه، وقائما مقامه وإلا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٢٠ .

الأوثان: وكل معبود يسمى وثنا قال ﷺ:(اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد).

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا ﴾ العنكبوت: ١٧ ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾ العنكبوت: ٢٥ ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ الحج: ٣٠ .

الفرق بين الوثن والصنم : قال الطبري في تفسيره أنهما بمعنى واحد .

وذكر الكلبي في كتاب الأصنام في التفريق بينها سبعة أقوال كلها ضعيفة .

التماثيل : تطلق على الصور المجسمة ، ومنها الأنصاب وهي الأحجار التي يعكف عليها المشركون، وتطلق على الصور غير المجسمة .

﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٥٢، وقال ﷺ : (لا تدعْ تمثالاً إلا سويته).

ومن الآلهة المعبودة الباطلة :

الأنبياء والأولياء من الأحياء والأموات، وقبور الصالحين، والملائكة، والجن الشيطان، والعلماء والأحبار والرهبان، والملوك والرؤساء في التشريع والحكم والطاعة، والأشجار، والأحجار، والحيوانات، والكواكب والشمس والقمر والنار.

المسألة الخامسة : الشيطان هو إله المشركين الحقيقي :

من عبد غير الله ﷻ ودعاه سواء دعا ملكا أو نبيا أو وليا صالحا أو كوكبا أو شجرا أو حجرا أو نارا أو الشمس والقمر أو غير ذلك، فقد عبد الشيطان على الحقيقة ووقعت له وصارت إليه، لأن هذا الشرك من أمر الشيطان ووسوسته، فمن أطاعه فقد عبده، وإن ادعى أنه يعبد الملك، ولذلك تنكر الملائكة هذه الدعوة حين تسأل عن المشركين، هل عبدوكم؟ فينكرون ويتبرؤون ويقولون : ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ يعني أمنوا بالجن وبعبادتهم للجن، فالإيمان هنا بمعنى العبادة فأمنوا أي صرفوا العبادة للجن فصاروا عباداً لهم قال تعالى : ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ النساء: ١١٧ - ١١٨.

السادسة : التوجه والقصد والإرادة والطلب والجعل والاتخاذ بمعنى العبادة :

جاءت اطلاقات في لغة العرب ووردت في الشرع بمعنى صرف العبادة منها :

التوجه والقصد والطلب والجعل والابتغاء الاتخاذ والإسلام والإرادة:

قال تعالى :﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الأنعام: ٧٩﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ الروم: ٤٣﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢٧٢﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١١٢ ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ الروم: ٣٨﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الأنعام: ٥٢﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ق: ٢٦﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الإسراء ٢٢﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ البقرة: ٢٢﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ النحل: ٥١﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ الزمر: ٤٣﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الزمر: ٣﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ التوبة: ٣١.

المسألة السابعة : أنواع العبودية :

١- العبودية العامة: ويشترك فيها كل الخلق المؤمن والكافر، وهذه عبودية الربوبية، دليلها قوله ﷻ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ مريم:٩٣.

٢- العبودية الخاصة : وهي المتعلقة بالمؤمنين وهي عبادة الألوهية ويدل لها قوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ الفرقان: ٦٣ ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ ق: ٨ ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فاطر: ٣٢ ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات: ١١١ ﴿ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الشورى: ٥٢ ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ص: ٤٥.

فالعبودية بنوعيها مثل الربوبية العامة والخاصة ، والإسلام العام والخاص .

المسألة الثامنة : أنواع صرف العبادة :

١- المشروعة : هي العبادة التي شرعها الله والتي تصرف له .

٢- المبتدعة : هي التي لم يشرعها الله ولم يتعبدنا بها ولم يأمرنا بها رسوله.

قال ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).

٣- الشركية : هي التي يعبد بها غير الله ﷻ.

٤- المردودة : هي التي لا تكون خالصة له وإنما يخالطها الرياء .

والعبادات قسمان :

منها المشروعة وهي : الموافقة لأمر الرسول ﷺ وهديه .

ومنها المبتدعة وهي : التي لم يأمر الله ﷻ بها أو جاء الأمر بخلافها .

المسألة التاسعة : مكانة العبادة :

قيام الإسلام على توحيد العبادة لله وحده والبراءة من عبادة غيره .

فعبادة الله وحده هي قطب الدين .

المسألة العاشرة : قيام العبادة على ثلاثة أصول :

الأول : عبادة الله وحده .

الثاني : عبادته بما شرعه لنا رسوله و بمتابعة رسوله .

الثالث : الكفر بعبادة ما سواه .

المسألة الحادية عشرة : لا تقبل العبادة إلا بالتوحيد .

قال ابن عباس :(كل ما ورد في القرآن من الأمر بالعبادة فالمراد به التوحيد).

ومن ذلك قوله ﷻ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي إلا ليوحدون.

قال ابن يتيمة : (العبادة مع الشرك لا تعتبر عبادة) .

تنبيه : اعلم أن الله ﷻ لا يقبل العبادة من عبده إلا إذا كانت كلها خالصة لوجهه الكريم ﷻ ، أما إذا أشرك معه آخر ولو في جزئية أو وجه من أوجه العبادة، فإن الله تعالى لن يقبل منه مطلق عبادته، ما أخلص فيه لله تعالى وما أشرك فيه معه آخر من خلقه، لأن الله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك، فإما أن تكون مطلق العبادة له سبحانه وتعالى وحده، وإما أن تكون إلى غيره من خلقه.

المسألة الثانية عشر : الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة :

العبادة هي: القربة والطاعة وفعل العبادة سواءً صرفت لمستحقها ﷻ أولا .

والتوحيد : أن لا تصرف هذه العبادة الطاعة والقربة لغير الله ﷻ .

المسألة الثالثة عشر : شروط صحة العبادة :

١ - الإخلاص لله والتوحيد، وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥، ولا تقبل العبادة إلا بالتوحيد.

٢ - المتابعة لرسوله ﷺ وهذا مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧.

ودليل الشرطين: ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ الكهف: ١١٠ .

والعمل الصالح الصواب الحسن هو ما كان موافق لهدي الرسول ﷺ وأمره وشرعه ، والخالص هو ما كان لله وحده لا يخالطه شرك ولا رياء .

قال الفضيل عند قوله تعالى: ﴿ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ : (أصوبه وأخلصه، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة) .

ويزيد البعض شرطاً ثالثا لصحة العبادة وهو :

سلامة العقيدة من الشرك والكفر ونواقض الإسلام . والكفر بعبادة ما سواه.

فائدة : أقسام الناس في شروط العبادة الإخلاص والمتابعة على أربعة أقسام :

الأول : قسم أخلص لله ﷻ ، وتابع المصطفى ﷺ .

وهذا القسم هو الذي توفرت فيه شروط العبادة .

الثاني : قسم تابع الرسول ﷺ ، ولكن لم يخلص قلبه لله ﷻ ، فأتى بجانب المتابعة ولم يأت بجانب التوحيد الذي لله تعالى، فلا تقبل عبادته .

الثالث: قسم أخلص لكن بدون متابعة ، وهذا من عبدا لله بغير ما شرع نبيه .

الرابع : قسم لم يخلص ولم يتابع .

المسألة الرابعة عشر : ترك العبادة :

العبادة منها ما تركه كفر كالتوحيد والصلاة .

ومنها ما تركه محرم كالفروض والواجبات والأركان .

ومنها ما تركه مكروه ولا يعاقب عليه كترك المستحبات .

ومن ترك العبادة بالكلية فهو كافر كفر استكبار وإباء :

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠ . وداخرين أي صاغرين، وكان الجزاء هنا من جنس العمل، فحين استكبروا وأبو ولم ينقادوا ويذلوا ويخضعوا لله استكبارا عاقبهم بالإذلال والصغار والهوان.

وتارك العبادة وقع في ناقض الإعراض عن الدين لا يعلمه أولا يعمل به، وفي كفر الإباء والاستكبار والامتناع، وافتقد صاحبه شرط الانقياد الذي هو العمل والإذعان ، ويسمى الإسلام وهو من شروط (لا إله إلا الله).

وخالف في هذا الأصل المرجئة ، فجعلوا تارك الأعمال والعبادة وجنس العمل مؤمن لا يكفر ، لأصلهم أن الأعمال ليست ركن في الإيمان وإنما شرط كمال.

المسألة الخامسة عشر : عبودية القلب تستلزم عبادة الجوارح .

وهذه من أعظم قواعد الدين وأصول الإيمان التي خالف فيها المرجئة.

قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال: ١.

المسألة السادسة عشر : أنواع العبادة من حيث آلاتها:

الأولى : العبادات القولية القلبية الباطنية الاعتقادية: المتعلقة بأقوال القلب : وهي التصديق والمعرفة، والاعتقاد الجازم بصحة وصدق المرسلين .

الثانية: العبادات القولية اللسانية الظاهرة : المتعلقة بقول اللسان مثل : التسبيح والذكر والشكر والدعاء والحلف، وغير ذلك .

الثالثة: العبادات العملية الباطنة القلبية الاعتقادية: التي ترجع لعمل القلب : كالمحبة والإقرار والرجاء والتوكل والخوف والخشية والرهبة والرغبة والإنابة والتوبة والإوابة والصبر والرضا والحياء وغير ذلك .

الرابعة: العبادات العملية الفعلية الظاهرة: وهي التي تكون بالجوارح مثل: الصلاة والسجود والركوع والقيام والحج والطواف والذبح والنذر والصلة وبر الوالدين وإعانة المحتاج .

ويدخل في العملية الظاهرة :

العبادات المالية كالصدقة والزكاة .

المسألة السابعة عشر: أقسام العبادات :

١- عبادات فعلية : بفعل الواجب والمستحب .

٢- عبادات تركية بترك المحرم والمكروه .

المسألة الثامنة عشر: أقسام العبادات والأحكام التعبدية التكليفية .

١- الواجب ٢- المستحب ٣- ترك المحرم ٤- ترك المكروه

المسألة التاسعة عشر : علاقة العبادة بالمسميات الشرعية :

أولا: الفرق بين الطاعة والعبادة :

١ - أن العبادة لا تكون إلا لله أما الطاعة فتكون لله ولغيره مثل طاعة الزوج والوالدين وأولي الأمر . فالطاعة تصرف للمخلوق أما العبادة فلا تصرف إلا لله . فيقال طاعة الله وطاعة الوالدين ولا يقال عبادتهم.

فالله تفرد بالعبادة دون الطاعة والمحبة .

قال ابن تيمية : (باب الطاعة والتصديق ينقسم إلى مشروع في حق البشر وغير مشروع، وأما العبادة والتأله فلا حق فيها للبشر بحال) ١/ ٩٨.

وقرر ذلك أيضا في العبودية .

٢ - أن الطاعة تدخل في العبادة في الجملة، فكل طاعة لله هي عبادة لا العكس لأن الطاعة هي تنفيذ أمر وموافقته وامتثاله، والعبادة أعم فقد يكون سببها فعل مأمور به وامتثال أمر وقد تكون مجردة عن أمر كالتفكر في عظمة الله ومحبته ، وإن كانت عبادة الله أمر الله بها فهي طاعة في الجملة .

قال ابن تيمية في شرح العمدة في كتاب الصيام : (الطاعة موافقة الأمر وهذا يكون بما هو في الأصل عبادة كالصلاة وما كان في الأصل غير عبادة وإنما يصير عبادة بالنية كالمباحات الأكل والنوم بخلاف العبادة فإنها التذلل للإله كذلك فما لم يؤمر به من العبادات وإنما رغب فيه هو عبادة وإن لم يكن طاعة) .

٣- العبادة لابد أن يقارنها الذل والخضوع والمحبة والمعرفة بخلاف الطاعة.

قال ابن تيمية: (الطاعة هي الفعل الواقع على حسب ما أراده صاحب الأمر، أما العبادة فهي المتضمنة لغاية الذل والخضوع مع غاية الحب فمن خضع لشخص مع بغضه له لم يكن عابدا له وكذا إذا أحبه ولم يخضع له). الفتاوى ١٠/ ١٥٣.

٤- أن العبادة يلزم منها أن يكون العابد مطيعا لمن عبده .

قال سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد: (تفسير العبادة بالطاعة من التفسير باللازم، فإن لازم العبادة أن يكون العابد مطيعا لمن عبده بها).

٥- أن الشرك يكون في الطاعة ويكون في العبادة ، والذي في العبادة أشمل وكله شرك أكبر. أما طاعة المخلوق في معصية الله فمنها طاعة معصية ومنها طاعة شركية كفرية مخرجة من الملة .

قال قتادة في آية شرك التسمية المنسوب لآدم: (شركا في طاعته ولم يكن شركا في عبادته، وشركاء في طاعته لا في عبادته).

ثانيا : علاقة العبادة بالإسلام :

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص والبراءة من الشرك وأهله فالإسلام هو بمعنى الانقياد والإذعان والالتزام والتسليم بالمعنى العام وهو بذلك يدخل في عموم العبادة . فلا يوجد شيء من الإسلام إلا وهو داخل فيها كما أن العبادة الشرعية داخلة في الإسلام .

قال ابن كثير في التفسير: (وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور وذلك هو حقيقة دين الإسلام لأن معنى الإسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع).

ثالثا : علاقة العبادة بالإيمان :

الإيمان هو تصديق القلب وإقرار اللسان والعمل بالقلب والجوارح .

وكل ذلك عبادة كما أن من الإيمان عبادة الله وحده، كذلك من عبادة الله الإيمان بالله تصديقا وإقراراً وعملاً وطاعة ويدخل في العبادة أركان الإيمان الستة الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر ومن العبادة الإيمان بتوحيد ربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته.

رابعا: علاقة العبادة بالتوحيد:

التوحيد صفة وحال للعبادة فالعبادة إذا لم تصرف إلا لله فهي توحيد، فيقال العبادة لها صفات أن تكون بالتوحيد وتكون خالصة وعلى وفق الشرع والاتباع .

كما يقال التوحيد الذي هو الشهادتين والإخلاص وتعظيم الله يدخل في العبادة فهو أفضل العبادات وفي الحديث (الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله) .

فالعبادة أعم من التوحيد فكل من وحد الله فقد وعبده وليس كل من عبد الله موحدا فقد يعبد الله ويعبد غيره شركا .

خامسا: علاقة العبادة بالألوهية :

هما لفظان مترادفان كما بينا مرارا.

سادسا: علاقة العبادة بالدين :

الدين أصله من الانقياد والذل وما يتدين به المرء ويلتزم به ، فهو قريب من معنى الإسلام ويدخل في عموم العبادة كما قاله ابن تيمية في العبودية.

وقد يكون الدين على غير وجه التعبد فيقال مثلاً الدمقراطية دين الغرب فهو بمعنى المنهج والطريقة وليس من باب التعبد .

والدين منه الحق وهو دين الإسلام والباطل كدين المشركين .

فالدين يطلق على الإلزام والالتزام وعلى الطاعة والانقياد والخضوع والذل وعلى القهر والاستعلاء والغلبة وعلى الجزاء والمكافأة والحساب وعلى العادة والشأن والسيرة والطريقة .

سابعا : علاقة العبادة والشريعة :

الشريعة هي الطريقة والأمر والدين والحكم وهي بذلك مثل الدين .

والعبادة تطلق على الشريعة والدين وعلى فعل العبد وامتثاله لذلك الدين.

ثامنا: علاقة العبادة بالبر والتقوى والخشوع والإحسان وغيرها.

هذه كلها من الألفاظ الشرعية التعبدية التي هي من العبادة .

ثامنا : علاقة العبادة بالدعاء :

الدعاء داخل في عموم العبادة . والعبادة تفسر بالدعاء ويطلق كل واحد منهما على الآخر.

والدعاء على قسمين : دعاء مسألة ودعاء عبادة :

دعاء المسألة هو الطلب ،مثل أن يقول الإنسان : اللهم أغفر لي وأرزقني .

ودعاء العبادة ، فكل عبادة دعاء وفي الحديث : (الدعاء هو العبادة) رواه احمد والترمذي والحاكم وغيرهم . وهذا من أهمية شأن الدعاء .

والدعاء من أعظم مقامات العبادة وأهمها ويشمل معظم العبادات.

فالصلاة والصوم والركوع والسجود أدعية، فمن ركع كأنه يدعو الله : يقول يارب عبدتك لتغفر لي وتدخلني جنتك.

والدعاء والعبادة من الألفاظ الوجهية ، إذا اجتمعت في الألفاظ أفترقت في المعاني فيكون الدعاء السؤال والطلب والعبادة امتثال الأوامر واجتناب النواهي وإذا افترقت اجتمعت في معانيها وصارت العبادة بمعنى الدعاء والدعاء بمعنى العبادة وهذا جاء في آيات كثيرة .

فائدة : أقسام الناس في العبادة والاستعانة .

ينقسمون لأربعة أصناف :

من حيث من قام بهما أو تركهما أو ترك إحداهما .

قاعدة : التزام شرع الله والانقياد له أعظم مقامات الألوهية ومعاني العبادة .

وسيأتي بيان ذلك .

المسألة العشرون : تفاوت الناس في العبادة وكونها أصل وكمال :

الناس في العبادة متفاوتون .

والعبادة مثل الإيمان تزيد وتنقص وتكون كاملة وناقصة.

المسألة الحادية والعشرون : ضابط العبادة :

ما أمر الله به أو أحبه ورضيه أو رغب فيه ، واختص به.

فكل شيء يحبه الله ويرضاه ، وطلبه منا مما يختص به ، فإن صرْفه لله واجب، وصرفْه لغير الله شرك ، فهذا هو ضابط العبادة ، وضابط الشرك فيها . فالشرك في عبادة الله تعالى بصرف العبادة لغيره فالشرك أن تصرف هذه العبادة لغير الله .

المسألة الثانية والعشرون : جماع العبودية يقوم على أمور :

١- غاية الذل والخضوع والخشوع والإخبات له ﷻ والانكسار والإلتجاء لله وحده لا شريك له وكل ما بعده يعود فيه .

٢- تعظيم الرب وتقديسه وتنزيهه وذكره وحمده وتسبيحه وتنزيهه عن كل نقص ووصفه بكل كمال وأنه ﷻ قادر على كل شيء عالم بكل شيء . والحياء منه .

٣- محبته من كل القلب وتقديم حبه على كل شيء .

٤- الخوف من الله وخشيته ومهابته ورهبته والوجل منه والاشفاق والحذر من عذابه .

٥- الرجاء من أعظم ما يربط القلب بالله . والرغبة وحسن الظن والطمع .

ومن معانيه الثقة بالله وبجوده والاستبشار بفضله والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه والطمع في رحمته وثوابه، وقوة الرجاء من قوة المعرفة بالله وبصفاته، ومن فوائد الرجاء إظهار العبودية والحاجة لله ومحبة الله والالتجاء إليه والتوكل عليه

ودعائه والتقرب إليه بالطاعة وتحصيل معرفة الله وأسمائه وصفاته وانتظار فضل الله وترقب رحمته والتعلق به .

ويدخل فيه حسن الظن الذي حض الله ورسوله عليه في قوله ﷺ : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنه بالله تعالى) رواه مسلم .

وقال ﷺ : (حسن الظن من حسن العبادة) رواه أبو داود .

٦- الرضا بالله وبحكمه وأمره وقدره وشرعه ورسوله .

٧- الاستسلام لله والانقياد له وطاعته والإذعان لأمره وامتثال شرعه، وهذا ركن الإسلام الذي يقوم عليه .

٨- الالتجاء له والتقرب إليه والتودد له والإنابة إليه والتوبة والإوابة، ودعائه والتضرع إليه والاستعانة به والتوكل عليه .

٩- الصبر على شرعه وقدره والجهاد والمجاهدة ودعوة الناس لهذا الأصل وأمرهم به وجهادهم عليه .

١٠- الموالاة في الله والمعاداة والحب والبغض والولاء والبراء .

١١- الحكم بما أنزل الله والتحاكم لشرعه .

المسألة الثالثة والعشرون : قيام العبادة على ثلاثة أعمال :

١- غاية الذل والخضوع .

٢- غاية المحبة .

٣- غاية التعظيم والمهابة والخوف .

الرابعة والعشرون :كل العبادات مبناها على الذل والخضوع والتعظيم :

كل العبادات سوءً القبلية أو البدنية من المحبة والخوف والرجاء والتوكل إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة إلى الإحسان للخلق وإعانتهم وإزالة الضر والأذى إلى الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، يوجد فيها هذا المعنى اللغوي القائم على الذل والخضوع والانقياد والتعظيم والانكسار لله ﷻ، فأي عبادة لو تأملها العبد لوجدها تقوم على الذل لله ﷻ والخضوع له، ووجد الغاية منها إخضاع العبد لربه تعالى والتذلل لخالقه وانكساره لمولاة والتجائه إليه وتعظيمه له .

وكل عبادة فيها معنى الذل والتذلل له والخضوع له، وهذا الذي بسببه شرع ربنا ﷻ العبادات لنا ، وخلقنا قبل ذلك لنعبده ونذل له ونخضع بين يديه ونعظمه، ونتقرب إليه ونتحبب إليه، فكل عبادة شرعها الله لنا وأمر بها لتزيدنا من شرف العبودية والرق والذل والخضوع لربنا العظيم الغني الحميد .

قاعدة : الذل أربع مراتب:

الأولى: ذل الحاجة والافتقار وهي مشتركة بين الخلق المؤمن والكافر .

الثانية: ذل الطاعة والعبودية .

الثالثة: ذل المحبة .

الرابعة: ذل المعصية والجناية .

فإن اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم، إذ يذل له خوفا وخشية ومحبة وإنابة وطاعة وفقرا وفاقة . كما ذكر ابن القيم في المدارج .

المسألة : الخامسة والعشرون : أطراف العبادة :

لا تتم العبادة إلا بقيام المحبة والخوف والرجاء، وقد شبهها البعض بالطائر، المحبة رأسه وجسده، والرجاء والخوف جناحاه، فلا بد أن يجمع العبد بينها فلا يغلب أحدهما على الآخر بل يعبد الله بالرجاء والخوف راجيا ثوابه خائفا عقابه .

وقد أثنى الله ﷻ على من جمع بينهما في مواضع من كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الأعراف: ٥٦ ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ الإسراء: ٥٧ ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ الزمر: ٩.

وقد ضل من غلّب الخوف على الرجاء كالخوارج والوعيديّة.

أو من غلّب الرجاء على الخوف كالمرجئة والوعدية.

أو من غلّب المحبة كالصوفية القائلين نعبد الله لا خوفاً من عقابه ولا طمعاً في جنته وإنما محبة له فخالفوا منهج أفضل الخلق الرسل الذين كانوا يعبدون الله خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه مع محبتهم له وابتدعوا طريقة إلحادية .

إن تغليب جانب الخوف يحمل صاحبه على القنوط من رحمة الله واليأس من روحه، وتغليب الرجاء يحمل صاحبه على الأمن من مكر الله.

وإن كان يستحب أن يغلب الخوف عند الوقوع في المعاصي والصحة، والرجاء عند الطاعة والمرض والموت .

السادسة والعشرون : شمولية العبادة في الإسلام وليست مجرد نسك خاص:

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦.

قال ابن الجوزي : (مقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما تشركون أنتم به) .

فكما أن النسك والشعائر التعبدية لله وحده، كذلك بقية الحياة بجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، بل وحتى المهات يجب أن يكون كل ذلك لله وفي الله وليس للأوطان ولا غيرها من الأوثان التي نصبت في زماننا وفتنت الناس عن دينها ، وما أنزل الله بها من سلطان.

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥ .

تنبيه : الجهل بحقيقة التوحيد والعبادة :

مع مرور الزمن على حملات التضليل بحقيقة هذا الدين، التي تنهض بها العلمانية ومن جهة أخرى الصوفية والمرجئة ، مما أدى إلى تشويه الدين وانحسار كثير من المفاهيم الشرعية عن مدلولها الشرعي الصحيح، ومنها العبادة، حيث حصروه في دائرة أداء المناسك والشعائر التعبدية التي ساحتها المساجد والمعابد وحسب.

فمما يدخل في مسمى العبادة :التشريع والحكم والطاعة والتحاكم فإن كان العبد يتحاكم في جميع شؤون حياته إلى شرع الله ﷻ فهو عبد لله، وإن كان يتحاكم إلى شرع غيره ولو في جزئية من جزئيات حياته فهو عبد لغير الله مشركا به، وداخل في عبادته هذا الطاغوت متخذه ربا وإلاها من دون الله كما بين ذلك ربنا ﷻ في مثل

قولــه تعــالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾ النساء: ٦٠ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ . وسر ذلك أن الحكم والتشريع وسن القوانين يعتبر من أخص خصوصيات الإلهية، فمن ادعاه لنفسه أو لغيره مع الله ﷻ فقد ادعى الألهية وزعمها لنفسه اختصاصا وعملا، وجعل من نفسه ندا لله .

وقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٤٠، فالحكم لله وحده لا يشاركه أحد فيه، وهو عبادة لا نصرفها إلا له وبتوحيد الحكم له يكون الدين قيما غير ذي عوج، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذا الأصل فظنوا أن من حكم بغير ما أنزل الله وتحاكم للطاغوت أنه يبقى مع ذلك مؤمنا وعابدا لله، والله ﷻ نفى الإيمان بالكلية لمن ترك حكم الله ورسوله .

ومما يدخل في مسمى العبادة : الحب والبغض، والموالاة والمعاداة، فمن كانت موالاته ومعاداته، وحبه وكرهه لله تعالى وفي الله، يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويوالي من يوالي الله ورسوله، ويعادي من يعادون ، ويرضى بما يُرضي الله، فهو عبدا لله تعالى ، ومن كان مناط حبه وكرهه، وموالاته ومعاداته لغير الله تعالى، فهو عبد لهذا الغير وداخل في عبادته وتقديسه أقر له بذلك أم لم يقر.

قال ﷺ : (أوثق عُرى الإيمان : الموالاة في الله،والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله) رواه أحمد وغيره .و كون ذلك أوثق عرى الإيمان، فهو لتحقق كمال العبودية وأعلى مراتبها ودرجاتها، وبالتالي فمن أعطى ذلك لغير الله تعالى فقد تحققت عبوديته لهذا الغير بأعلى مراتب العبودية ودرجاتها.

المسألة السابعة والعشرون : الغاية من خلق الخلق عبادة الله :

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فليس ثمة حكمة ولا هدف بعد هذا، فأوضح لنا الحكمة من خلقنا وهو أن نعبده وحده ﷻ، ومما يؤيد هذا الأصل العظيم قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة:٥ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ المؤمنون: ٣٢ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ الأعراف: ٢٠٦ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل:٤٩ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠.

الثامنة والعشرون:شرف العبودية لله ووصف الرسول ﷺ بها في أعلى المقامات:

وصف الرسول ﷺ بالعبودية في أعلى المقامات وأشرفها :

١ – مقام الوحي : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ النجم: ١٠.

٢– الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ الجن: ١٩ .

٣– الإسراء والمعراج : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ الإسراء: ١.

٤– تحدي الكفار بالقرآن: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ ﴾.

التاسعة والعشرون: حاجة الإنسان للعبادة وكونه مفطور على التعبد والتدين:

عبادة الله فوق كل ضرورة ولابد للمخلوق من العبادة ، ومن لم يعبد الله عبد غيره لا محالة .

وحاجة الخلق لعبادة الله أعظم من حاجتهم لربوبية ربهم لهم .

وصلاح الإنسان وحاجته وفرحه وسعادته في عبادة ربه، وبالتوجه لله باتصاله به وإنزال حاجته وفقره بربه تحصل اللذة والسكون والأطمئنان، وليس في الكائنات ما يشبع هذه الغريزة في العبد .

وكما أن الله ﷻ يستحق العبادة لأجل الكمال الذي تفرد به، لأن الكامل لابد أن يعبد ولا يعطل عن العبادة، فإن الناقص المتجرد عن الكمال لا يستحق أن يعبد بل هو في حاجة للعبادة لتكميل نقصه عند غيره ، ويكون بحثه بالالتجاء والطلب والإرادة وهذه هي العبادة، وكل من خلقه الله ﷻ هو عبد لله بالمعنى العام ولو كان مشركاً أو صنماً أو جماداً يدعى من غير الله فهو محتاج إلى الله ﷻ ومضطر لعبادته .

فالألوهية التي هي العبودية تتعلق بالعبد، فلا بد للمخلوق من ألوهية وعبودية لغيره، والتأله والتعبد صفة من صفاته التي لا تنفك عنه وفعلاً من أفعاله ، والمخلوق فطر على العبودية لله، وهذا مقتضى الفطرة والأصل، أو يعبد غيره ويعدل عن عبادة ربه ويشرك وهذا الظلم العظيم الذي لا يغفره الله .

فلا بد للمخلوق من عبادة إما لله وإما لغيره وهل سمي جميع الخلق عبيد الله إلا لذلك، وهذا إبليس أول من ترك عبادة الله والانقياد لأمره فعبد غيره وأطاع هواه وشهوته وصيره الله خادما لفسقة بني عدوه آدم.

الثلاثون : لماذا استحق الله تعالى العبادة دونما سواه ؟:

أوجه استحقاق الله للعبادة ووجوب توحيده بها:

الأول: استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لكمال صفاته وجلاله تقدس ربنا، فالله ﷻ يعبد لكماله من جميع الوجوه، ومن هذا الكمال أنه متصرف قادر خالق عالم بكل شيء، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١ أي أنه لو كان للرحمن ولد كما زعم المشركون لصحت عبادة هذا الولد، لأنه لو كان لله تعالى ولد لكسب صفات والده من صفات الكمال، فاستحق العبادة، ولمّا كان هذا مستحيل، فالولد منتفي عن الله انتفت العبادة عن غير الله وكذلك ليس لله شريك في العبادة لعدم وجود الكمال في غيره ، عليه فلا يمكن أن يعبد إلا الكامل والكامل لابد أن يعبد، ولا كامل مطلقاً إلا الله ، فيجب أن تكون العبادة لله تعالى وحده .

الثاني: استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لجماله ﷻ ، فله الجمال المطلق من جميع الوجوه، والذي لا يتصف بالجمال المطلق لا يمكن أن يعبد .

الثالث : استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لإنعامه ﷻ على خلقه وتفضله على عباده ولعظيم نعمته على خلقه فكل خير منه سبحانه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ النحل: ٥٣ ، فهو المنعم وحده ولإنعامه هذا استحق المحبة والعبادة وأن يدعى ويجأر إليه وحده ، فمن أنعم عليك أحببته، وأي نعمة أعظم من نعمة الذي هداك وأوجدك وفطرك وعافاك وأعطاك كل ما سألت .

الرابع : استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لأنه ﷻ النافع الضار وحده ، فهو القادر أن ينفع ويضر والمتفرد وحده بذلك فيعبد لكمال علمه وقدرته فهو العالم بما يصلح لك وهو القادر على كل شيء والنفع والضر بيده لا يصل العجز إليه بوجه من الوجوه، وغيره لا يمكن أن ينفع أو يضر ، إلا بأمر الله وقدرته تعالى قال ﷺ : (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك).

قال تعالى مبينا هذا الأصل أن النفع والضر بيده وحده وأن المعبودات لا تملكه : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ الفرقان: ٥٥ ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء: ٦٦ ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ الأنعام: ٧١ ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ الحج: ١٢ ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٣ ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٥٦ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ طه: ٨٩ ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء: ٧٢ - ٧٣ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ﴾ يس: ٧٤ - ٧٥.

ولنقف مع بعض الآيات الشاهدة بالتوحيد واستحقاقه ﷻ العبادة وحده وبطلان عبادة ما سواه فهل في شيء من هذه الآلهة والمعبودات الباطلة من يرزقكم وينجيكم من كل شيء ويكشف الضر ويعصمكم ويكلؤكم ويمنعكم من الله؟ ومن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه؟ومع هذا كله فالمشركون الذين بعثت فيهم الرسل مقرون بهذا الأصل، كما أخبر تعالى أنهم مقرون بأن هذه الآلهة لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا فكيف تملكه لغيرها وكيف يعبد شركاء مع الله هل تخلق كما يخلق الله وتملك لنفسها فضلا عن غيرها نفعاً أو ضرا حتى تحصل لعابديها الشبهة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ: ٢٤ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يونس: ٣١ ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الأنعام: ٦٣ ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ الأحزاب: ١٧ ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ الأنبياء: ٤٢ - ٤٣ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ المؤمنون: ٨٦ - ٨٩ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ الرعد: ١٦.

الخامس: استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لكمال غناه ﷻ وفقر كل مخلوق إليه فلا غنى لأحد عنه فهو الغني الحميد والصمد الكريم المجيد.

السادس: استحق ربنا ﷻ أن يُعبد لكمال رحمته بخلقه ولطفه بهم ولعلمه بما يحتاجونه وما ينفعهم، ولا يمكن أن توجد هذه الصفة ولا ما سبقها من الصفات في أي مخلوق ولا في أي معبود سوى الله ﷻ. ألا تراه سبحانه استنكر على من اتخذ الشفعاء عنده والوسائط المقربة إليه بأنه يرحم ويقدر ويعلم بدونها، وأن لازم اتخاذها أن الله تعالى لا يعلم إلا بها وأن هذه الآلهة المعبودة والشفعاء تنبئه بما لا يعلم

في أرضه وسمائه فقال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يونس:١٨ وأخبر سبحانه أن هذه الصفات الناقصة في الحقيقة موجودة في هذه المعبودات والشفعاء البطلة ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ الزمر:٤٣ ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ يس:٢٣ ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ يونس: ١٠٦ - ١٠٧ .

السابع : استحق ربنا ﷻ أن يُعبد أنه وحده الخالق وغيره لا يخلق فمن يخلق يجب أن يُعبد ومن لا يخلق لا يستحق أن يُعبد .

لذلك كله استحق ربنا أن يحب ويجل ويعظم ويرجى ويهاب ويخاف منه ومن كانت هذه حاله وجب أن يدعى وحده ويلتجئ إليه وحده ويتوكل عليه دون غيره سبحانه. واستحق الله تعالى العبادة دونما سواه والإفراد بالألوهية والتوحيد ، لأمور لا توجد في غيره ﷻ ومن لم تكن فيه هذه الصفات فإنه لايستحق أن يعبد .

فائدة : أدلة أن المعبود لابد أن يكون خالقا :

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ فاطر: ٤٠ ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الأحقاف: ٤ ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٣ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ الزمر: ٣٨ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ الحج: ٧٣ ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الرعد: ١٦ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢ ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ فاطر: ٣ ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ غافر: ٦٢ ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ الطور: ٣٥ ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ الواقعة: ٥٩ ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ الصافات: ١٢.

فمن أين أتت لهذه العقول الفاسدة شبهة الشرك وآلهتهم لاتخلق شيئا بل لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تجيب .

قال ابن القيم :(فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر) مختصر الصواعق ٧٢ .

المسألة الحادية والثلاثون : أسباب العبادة الشركية التي نفاها الله ﷻ :

قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون عباد الأوثان الملك والشراكة والمظاهرة والمعاونة والشفاعة ، وقد بينها الله تعالى في آية سبأ في قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾.

فالمشرك إما أن يظن أن هناك مالكاً غير الله سبحانه وأنه يوجد من يملك شيئاً خارجاً عن ملك الله .

أو يظن أن الله إنما تتم قدرته بقدرة الشريك ، فالكون بينه وبين غيره شراكة فيكون مالكا مع الله.

أو يظن أن الله سبحانه يحتاج لمن يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو معين.

وإما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة، ولا يرحم حتى يسترحمه الشافع والواسطة وكذا لا يسمع ولا يكفي وحده .

أو يظن أن للمخلوق حق عليه فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق ويتوسل إليه به.

وكل هذه الأمور تنقّص للربوبية وهضم لحقها . ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به فيضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة .

فالشرك ملزوم تنقيص الرب سبحانه والتنقيص سمة كل مشرك.

قال ابن القيم : (وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع ، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع إما مالكاً لما يريده عابدة منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً للمالك كان معيناً له وظهيراً فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى ، فنفي الملك والشركة والمظاهره والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر) . انتهى كلامه رحمه الله .

الثانية والثلاثون : طرق عبادة غير الله من القبور وغيرها وطلب شفاعتها :

الطريق الأول: طريق العوام وهم من يطلب من معبوده أن يشفع له عند الله ويقربه عنده ويتوسط له ويتقبل منه حسناته وهذا حال معظم المشركين .

الطريق الثاني : طريق الفلاسفة ممن يعتقد أن المعبود يحصل النفع منه والشفاعة بمجرد التقرب إليه والقرب منه، وهي بدورها تتلقى من الإله الأعظم فهو ينزل فيه بركة الله والفيض من الإله، والأرواح تفيض على من زارها بحسب يقين عابدها وتعلقه واستعداد نفسه لتقبّل ذلك الفيض وأن ذلك مثل الشعاع الذي ينعكس في المرأة من نور الشمس .

المسألة الثالثة والثلاثون: الفرق بين عبادة الخالق وعبادة المخلوق :

١- أن صلاح الإنسان وحاجته وفرحه وسعادته في لا إله إلا الله، فهي كلمة التوحيد ودعوة الحق، وبالتوجه لله وحده تحصل اللذة والسكون والاطمئنان بذكره، وليس في الكائنات ما يشبع هذه الغريزة في العبد حتى ولو وجد نوع من اللذة والمودة في التعلق بغير الله فهو مفسدة لصاحبه قال تعالى: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢ ففساد الآلهة والمعبودات الباطلة الظالمة من جهة الألوهية والربوبية معاً. وصلاح الإنسان بربه وتلذذه باتصاله به وحاجته وفقره لربه دائمة لا تنقطع بخلاف المخلوق فربما يتلذذ ويستصلح بالقرب منه تارة ويتأذى منه تارة أخرى ولهذا قال الخليل ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ ﴾ الأنعام: ٧٦.

٢- أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع ولا هدى ولا ضلال ولا نصر ولا خذلان بل ربه هو الذي خلقه ورزقه فإذا مسه ضر لم يكشفه غيره ولا ينفعه المخلوق ولا يضره إلا بإذن الله وهذا الوجه أظهر من السابق ولهذا خوطب الناس به في القرآن أكثر من السابق وجعل هذا طريقاً لذلك . وهذا الوجه يقتضي التوكل على الله والاستعانة به ودعائه دون غيره ومحبة الله وعبادته .

٣- أن تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه كالتضرر بالطعام إذا زاد عن قدره وكذا من أحب شيئا لغير الله فإن مضرته أكثر من منفعته ويوم القيامة يتعادى الأخلاء، وحزن العبد إذا فاته ما يحب مضرة له فصارت المخلوقات وبالاً عليه إلا الله وهذا يحقق معنى حديث (الدنيا ملعونة).

٤- أن اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من المخلوق نفسه فما علق العبد رجائه وتوكله بغير الله إلا خاب ظنه فيه ولا استنصر بالمخلوق إلا خذله ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ مريم: ٨١ - ٨٢ . وهذا بخلاف عبادة الله والاستعانة به فإن فيها غاية النفع بالعبد وصلاحه وكفايته فمن توكل على الله واستعان به كفاه .

٥- أن إحسان الرب لعبده لكمال كرمه ورحمته وليس للرب مصلحة في ذلك ونفع له تعالى، وهذا بخلاف المخلوق فإنه لا ينفع أحدا ولا يحبه إلا لرجاء نفع من الله أو من ذلك المخلوق ومن تدبر ذلك منعه أن يرجو المخلوق أو يطلب منه شيئاً .

٦- أن غالب الخلق يطلبون إدراك حاجتهم بك وإن كان ذلك ضرر عليك فإن صاحب الحاجة لا يطلب إلا قضاء حاجته .

٧- أنه إذا أصابك مضرة فالخلق لا يقدرون على دفعها إلا بإذن الله، ولا يقصدون دفعها إلا لغرض لهم في ذلك، فلو حاول الخلق أن ينفعوك أو يضروك لم يفعلوا ذلك إلا بأمر قد كتبه الله عليك وبإذن الله، فلا تعلق بهم رجائك وخوفك .

جماع ما سبق أنك إذا كنت غير عالم بمصلحتك ولا قادر عليها ولا مريد لها كما ينبغي، فغيرك من الناس أولى أن لا يكون عالماً ولا قادراً ولا مريداً وأن تكون أجهل بحال غيرك وأعجز عن نفعه، والله سبحانه وحده هو العالم القادر المتفضل بإنعامه وعطائه ولذلك جاء دعاء الاستخارة . وكل مخلوق لا يتحرك إلا بإرادته ولابد له من مراد يريده ولا يحصل المراد إلا بأسباب ، فالعبد مجبول على قصد الشيء وإرادته والاستعانة بكل ما يحصل مراده .

المسألة الرابعة والثلاثون: مفاسد عبادة غير الله :

١- أن فيها التجاء وتوجه وافتقار لغير الله .

٢- أن فيها إهانة العبد لنفسه حين يترك عبادة الله إلى عبادة مخلوق مثله.

٣- تضييع لمعنى العبودية لله التي هي أشرف صفات العبد وأعلى مقاماته .

٤- أن فيه هضم لحق الربوبية وإبطال لمقتضياتها وترك تعظيم الرب وسؤاله .

٥- نسبة الألوهية للمخلوق ووصفه بالربوبية والكمال واستحقاق للعبادة .

٦- تنقص جناب الربوبية وذلك بترك عبادته لأن غيره أنفع وأقدر وأجوب.

٧- أن فيها شكاية الرب الرحيم على المخلوق، وكأن حال الداعي يقول تركنا دعاء الله لعدم فائدته ولجئنا إلى من يرحمنا ويقدر على كشف ضرنا ويعلم بحالنا.

٨- أن فيه إساءة الظن بالله وعدم تقديره.

٩- أن فيه تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك باعتقاد أنه محتاج لواسطة تشفع عنده، كما أن فيه تشبيه المخلوق بالخالق وذلك بأعطائه صفات الألوهية وأنه يدعى.

١٠- أن دعاء وعبادة غير الله من الشرك المخرج عن الإسلام والكفر البواح .

١١- تفويت الخير من الله والثواب وإجابة المطلوب .

١٢- خسران رضا الله تعالى والجنة وإيجاب سخطه والنار.

١٣- أن من دَعا غير الله فقد عظم وخضع وذل وأنكسر وافتقر لمخلوق مثله، لأن الداعي يقبل على مدعوه بقلبه ووجه رغبة إليه ورهبة منه ورجاء له.

١٤- من دعا غير الله ﷻ فإنه لم يعط الله تعالى حقه في اسمه الرحيم والعليم والقدير ولم يعط هذه الأسماء حقها .

١٥- أن دعاء غير الله تعالى واعتقاد أن هذا مما أمر الله به وشرعه في غاية الافتراء والكذب على الله ﷻ، ومن أشنع الظلم والعدوان والافتراء على الله ﷻ. وعدم تقدير الله سبحانه وفيه سوء أدب مع الله ﷻ وغير ذلك من اللوازم الشنيعة.

١٦- أن في دعاء الأولياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم عدوان عليهم فمن دعا الرسول ﷺ أو غيره فقد اعتدى عليه وهذا عدوان وظلم للمدعو، ولذلك كل مدعو يتبرأ من المشركين به، فهذا عيسى يتبرأ من عباده، قال تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ المائدة: ١١٧، والملائكة تتبرأ من عابديها ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ سبأ: ٤٠.

الخامسة والثلاثون: بطلان وفساد وضياع كل عبادة ودعوة سوى دعوة الله:

وصف الله ﷻ المعبودين المدعوين من دون الله وعابديهم الداعين لهم وحال الدعاء بصفات تنبئ عن بطلان وخسارة أعمالهم وأنهم خسروا الدنيا والآخرة ولم يستفيدوا شيئاً لا استجيب لدعائهم ولم يسلموا من الكفر والشرك .

فأثبت الله ﷻ بطلان وضياع دعائهم وتشفعهم، وأن ضرره أقرب من نفعه، وبين أوجه الضر فيها وهي كثيرة . كما وصف حال المعبود المدعو بأنه لا يستجيب ولا يسمع ولا يملك شيئاً وأنه مخلوق وأنه غافل أو ميت، ووصفهم الله بأنه ليس لهم إذن في الشفاعة وليس لهم ملك ولا مشاركة ولا إعانة، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يغيرون ما قدره الله وأنهم يصيرون أعداء لهم يوم القيامة ويتبرؤن من عبادهم، كما وصف الله ﷻ الداعي بالخاسر الغير مستفيد والضائع الهالك ، وهذه الصفات تجعل دعاء غير الله في بطلان وخسارة وضياع فيجب تركه عقلا وشرعا .

السادسة والثلاثون: مفهوم العبادة عند المتكلمين والصوفية القبورية المشركة :

لا تسمى العبادة عند المتكلمين والقبورية والصوفية المشركة عبادة إلا مع اعتقاد النفع والضر في المعبود وإعطائه بعض صفات الربوبية .

أيضا لا يعتبرون الدعاء والاستغاثة من العبادة فالعبادة في السجود والصلاة.

قال كيران الفاسي : (العبادة شرعاً غاية التذلل والخضوع لمن يعتقدون له الخاضع بعض صفات الربوبية).

وقال القضاعي في البراهين : (العبادة لا يدخل فيها شيء من التوسل والاستغاثة والدعاء بمعنى النداء إذا كان لمن لا يعتقده ربه فليس من العبادة).

المسألة السابعة والثلاثون : انقلاب العادات والمباحات لعبادات :

قد تصير العادة عبادة وذلك بالنية ومن هذا الباب قول الرسول ﷺ : (وفي بضع أحدكم صدقة) فإعفاف الإنسان من المباحات والعادات ومع ذلك يثاب عليه المسلم إذا عف به عن الحرام .

ومن ذلك قول أبي هريرة ﷺ : (إني لأحتسب على الله نومتي وقومتي) .

ومثال ذلك الأكل بنية التقوى على العلم والعبادة والفطر لتقوى على الجهاد .

المسألة الثامنة والثلاثون : العبادات مبناها على التوقيف لا الابتداع :

البدعة هي ما أحدثه الناس مما لا أصل له في الشريعة .

وفي البدع طعن في الله ورسوله ودينه حيث يلزم منه أن الدين والشريعة ليست بكامله ولم يشرع الله ما يصلح لهم والله ﷻ يقول:﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

وقال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري .

وقال ﷺ : (من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها) .

قال ابن عباس :(اتبع ولا تبتدع) .

وقال ابن مسعود ﷺ: (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة) .

وليس في الإسلام بدعة حسنة وما يستدل به المبتدعة من قول عمر ﷺ عن صلاة التراويح (نعمة البدعة هذه)، فلا حجة فيه لأن التراويح فعلها الرسول ﷺ فليست بدعة، ثم فعل عمر من السنة فيكون بهذا مراده بالبدعة الحسنة في اللغة .

ومن أمثلة البدع: الاحتفال بالمولد النبوي والعيد الوطني وصلاة الرغائب والصلاة والصدقة عند القبور والبناء عليها وزخرفة المساجد وغير ذلك .

قاعدة : رؤوس الفرق المبتدعة في الإسلام خمس :

١- الجهمية في تعطيل الصفات .

٢- الخوارج في الكبائر .

٣- الرافضة في الصحابة.

٤- القدرية في القدر .

٥- المرجئة في الإيمان .

الفصل التاسع

الإسـلام

شريعة الله عز وجل ورسوله ﷺ

المسألة الأولى : تعريف الإسلام في اللغة :

الإسلام : مشتق من الفعل سَلِم يسلم إسلاماً وتسليماً واستسلاماً ومسالمة.

وفعل سلِم في اللغة يدور على معنيين :

١- برء ونجا ووقى وخلص :

ومن هذا المعنى اسم الله ﷻ السلام ، فهو المبرأ السالم الخالص من العيوب والنقائص، والمسلّم لغيره المخلص والواقي والمنجي، وسميت الجنة دار السلام لسلامتها وخلوصها من الآفات،وسلمك الله وقاك ونجاك .

٢- انقاد وأذعن وأطاع والتزم وامتثل وأخذ :

ومن هذا الإسلام وهو الانقياد والطاعة لله ، وامتثال أمره والتزامه، والإذعان له وإظهار الخضوع والقبول وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ ، وهذا الذي يحقن الدم فإن كان معه تصديق ومحبة وإقرار بالقلب سمي إيماناً .

وقوله ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ البقرة: ١٣١ : أي : انقدت واستسلمت.

وهذا المعنى الإذعان والانقياد يعود في النهاية للمعنى الأول فإن الإسلام الذي هو الانقياد، سُمي بذلك لبراءته من الامتناع ولأنه يسلم ويخلص من الإباء والترك والاستكبار . ذكر ذلك الأزهري وغيره من أئمة اللغة .

مسألة : الإسلام يستعمل على وجهين :

١- متعدٍ: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ آل عمران: ٢٠ وحديث: (أسلمت نفسي إليك).

٢- لازم : كقوله : ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ البقرة: ١٣١ .

وقوله : ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ آل عمران: ٨٣ .

وأسلم إذا تعدى فمعناه الإخلاص وإذا كان لازما فبمعنى الانقياد، ومعنى الإسلام لازماً يعود ويرجع إلى معناه المتعدي . الفتاوى لابن تيمية ٧/ ٦٣٥ .

مسألة: معاني الإسلام :

الإسلام: له معنيان في الشرع تدور على اشتقاق أصل الكلمة اللغوي:

الأول : الانقياد والاستسلام لأمر الله .

الثاني : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وعنوانه قول (لا إله إلا الله) .

وهذا الإخلاص بالتوحيد داخل في الانقياد والاستسلام .

مسألة : أقسام الإسلام :

الأول : الإسلام الكوني القدري الربوبي : طوعاً وكرهاً وهذا لا ثواب فيه يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ آل عمران: ٨٣ ، أي خضع وانقاد .

الثاني : الإسلام الشرعي الديني الأمري الألوهي: وهو اتباع الأمر والانقياد للشرع الذي أمر الله عباده به ، وهذا الإسلام الذي يثاب العبد عليه ويحمد عليه ولأجله قامت السموات والأرض ، وينقسم إلى إسلام عام ، وإسلام خاص وهو شرع نبينا محمد ﷺ ، وقد قرر هذا المعنى شيخ الإسلام في كتاب الإيمان .

المسألة الثانية : المراد بالإسلام في الشرع :

التعريف الشرعي للإسلام يحمل نفس المعنى اللغوي القائم على الانقياد.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: (يقال فلان مسلم فيها قولان :

أحدهما : هو المستسلم لأمر الله . والثاني : هو المخلص لله العبادة) .

وقال الرازي في تفسيره : الإسلام في أصل اللغة يأتي لثلاثة معانٍ:

١ – الانقياد والمتابعة ٢ – السلم والسلامة والبراءة ٣ – الإخلاص في العبادة .

وأفضل من عرف الإسلام وأتى بحقيقته وأوضحه وفسره وبين مبادئه وأصوله وقواعده وأركانه، بتعريف جامع مانع الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله :

هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

فجمع بتعريفه الحقيقة الشرعية للإسلام وأصوله، ووافق تعريفه معانيه في اللغة التي ذكرها اللغويون من : الإخلاص والانقياد والسلامة والبراءة .

شرح تعريف الإسلام :

أولا: الاستسلام لله بالتوحيد :

ومعناه : الإذعان والانكسار والذل والخضوع لله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

والاستسلام لله بتوحيده في ربوبيته: بأن يعتقد ويقر ويؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه ، وأنه القادر على كل شيء والعالم بكل شيء مما يثمر تعظيمه .

والاستسلام لله بتوحيده في أسمائه وصفاته: باعتقاد الكمال المطلق المقدس له وحده من جميع الوجوه، وتنزيهه عن كل نقص وعيب، وإثبات كل ما أثبته الله لنفسه من دون تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تكييف .

والاستسلام لله بتوحيد ألوهيته : يتحقق بالذل لله والخضوع له وطاعته والانقياد له بعبادته وحده لا شريك له والكفر بكل ما يعبد سواه والبراءة منه، والقيام بحقه والالتزام بدينه وامتثال شرعه وحكمه وأمره وعدم مخالفة ذلك.

فائدة: لا يقبل استسلام لله ولا إسلام وانقياد بلا توحيد، فلو استسلم العبد لله ولغيره لكان مشركاً ولا يعتبر مسلماً، فالمسلم الحق هو من لا يعبد إلا الله ولا يعظم إلا الله، فكما أنه ليس له رب سوى الله فكذلك لا معبود له ولا إله غير الله .

فائدة : قيام الاستسلام لله بالتوحيد على القول والعمل :

يكون بالقول والاعتقاد والعمل ولا يكفي أحدها، ولا يسمى المسلم مسلماً بما في قلبه من التوحيد، بل لابد من قوله التوحيد بلسانه وعمله التوحيد بجوارحه ظاهراً، حتى يتحقق منه وصف الإسلام المقتضي للاستسلام الذي هو الآخر عمل وقول، فمن لم يقم به الركن العملي فليس بمستسلم، ومن ثم ليس بمسلم والإسلام هو أمر عملي ظاهر كما سيأتي وليس في الباطن .

فائدة : لا يكون التوحيد بدون استسلام :

كما أن الاستسلام بلا توحيد لا يقبل وصاحبه يعتبر مشركاً غير مسلم، كذلك التوحيد بلا استسلام لا يقبل ويعتبر صاحبه كافرا مستكبرا. وتقدم في الانقياد كلام ابن تيمية .

ووجه إدخال الاستسلام على التوحيد، ليتبين الجانب التعبدي الانقيادي القائم على العمل الظاهر وليس مجرد الباطن ، وهذا من سعة فقه الإمام صاحب التعريف .

فائدة: الاستسلام القدري القهري لا يدخل في العبادة وليس هو المقصود بالإسلام الشرعي كما سيأتي .

ثانيا: الانقياد له بالطاعة : هذا يعتبر الركن الثاني للإسلام :

ومعناه : فعل الواجبات والأوامر وترك المحرمات والنواهي.

وبعبارة أخرى عبادة الله وطاعته التي هي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والتروك الظاهرة والباطنة .

والانقياد هو الخضوع والذل والامتثال وليس مجرد القبول والإقرار فهذا لا يكفي .

والانقياد يقوم على ركنين : ركن قلبي باطني ، وركن عملي ظاهر .

وهذا الركن العملي هو الفيصل بين أهل السنة والمرجئة، وهي مسألة الأعمال ودخولها في الإيمان وكفر تاركها بالكلية ، فالإسلام والدين بلا انقياد يجعله دينا أجوف لا فائدة منه ولا هيبة له ولا معنى فيه ولا ثمرة به لأن القول بدون عمل يصدقه ويحققه هو كعدمه .

فائدة : لا تقبل الطاعة بدون انقياد :

فالانقياد والطاعة قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل ويفسر كل منهما الآخر، فطاعة الله بدون انقياد يورث البدع وعدم المتابعة لرسوله وامتثال شرعه وأمره وفعل ما أمر، كما أن الانقياد لله بدون طاعة يورث الكبر والإباء والاستكبار عن عبادته والإعراض عن دينه، والعكس كذلك .

فائدة : دخول أركان الإسلام في الانقياد بالطاعة :

أركان الإسلام ومبانيه القائمة على الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبمجموعها يحصل الانقياد بالطاعة الذي هو

الإسلام، وبالشهادتين اللتين هما التوحيد يحصل صحة الإسلام وركنه الأول وهو الاستسلام لله بالتوحيد .

فائدة : دخول توحيد المتابعة في الانقياد بالطاعة :

توحيد المتابعة القائم على شهادة (أن محمداً رسول الله) : لأن عبادة الله لا تقبل إلا إذا كانت موافقة لما جاء به رسوله، وقدمنا الكلام عن الانقياد للرسول ﷺ .

ثالثا: البراءة من الشرك وأهله :

وسيأتي الكلام عن هذه المسألة في فصل مستقل .

مسألة : الألفاظ المرادفة للفظ الإسلام :

الطاعة – الاستسلام – العبادة – الانقياد – الإذعان – الامتثال – الالتزام – الشريعة – الدين .

فكل هذه العبارات يجتمع فيها معنى الانقياد والتسليم والاستسلام والإذعان، فهي ألفاظ لمعنى واحد وتتقارب كثيرا في الدلالة .

المسألة الثالثة: أدلة الإسلام من القرآن والسنة :

ورد الإسلام في آيات كثيرة من كتاب الله منها قوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ لقمان: ٢٢ ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ آل عمران: ٨٣ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ

لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ النساء: ١٢٥ ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤ ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ غافر: ٦٦ ﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ الحجرات: ١٧ ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ الزمر: ٥٤ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران: ١٩ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ الأنعام: ١٢٥ ﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ التوبة: ٧٤ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الزمر: ٢٢ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت: ٣٣ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧ ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٨٠ ﴿ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ الفتح: ١٦ ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٨.

وهذه الآية من أعظم الآيات التي بينت الإسلام وفسرته وذكرت شيئاً من خصائصه وأن الله تعالى اجتبانا واصطفانا به .

ثانيا الأدلة من السنة المفسّرة للإسلام :

١- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم .

وقد وردت روايات له بدل لفظ الشهادة وهي :

(إيمان بالله ورسوله) (أن يوحد الله) (أن يعبد الله) .

٢- عن عمرو بن عَبَسَه السلمي ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال ما الإسلام؟ قال : (أن تسلم قلبك لله ﷻ وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك) . قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان) قال: وما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت) . رواه أحمد.

٣- حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً وفيه : (فتجيء الأعمال يوم القيامة .. ثم يجيء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام . فيقول الله تعالى : (إنك على خير ، بك اليوم آخذ وبك أعطي). رواه أحمد.

٤- قال ﷺ:(بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) مسلم.

٥- قال ﷺ : (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد.

٦- قال ﷺ : (الإسلام ذلول لا يركبه إلا ذلول) رواه أحمد والهروي .

المسألة الرابعة : أقوال السلف وأهل العلم في حقيقة الإسلام :

قال الطبري في تفسيره : (الإسلام هو : إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له).

وقال أيضا : (الطاعة له وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه في العبودية والألوهية).

وفي تفسير الألوسي روح المعاني قال على بن أبي طالب ﷺ : (الإسلام هو التسليم، والتسليم اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل، وأن المؤمن من يعرف إيمانه في عمله والكافر يعرف بإنكاره).

وقال قتادة : (الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به رسوله من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياؤه لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به). أخرجه الطبري .

وقال أبو العالية : (الإسلام الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع). أخرجه الطبري .

وقال البغوي : (أسلمت وجهي: انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وخص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان فإذا خضع خضعت الجوارح).

وقال ابن قتيبة : (الإسلام هو الدخول في السلم أي الانقياد والمتابعة).

وقال المروزي : (هو خضوع لله بالطاعة) .

وقال القرطبي : (الإسلام في الشرع الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية) .

قال ابن رجب: (الإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده لله).

قال ابن تيمية: (**الإسلام يجمع معنيين** :

أحدهما : الانقياد والاستسلام فلا يكون مستكبرا .

والثاني : إخلاص ذلك وإفراده فلا يكون مشركا) . ٧/ ٦٣٥ . والصارم .

وقال في قاعدة التوسل : (**ودين الله الذي هو الإسلام مبني على أصلين** :

الأول : أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيء .

الثاني: أن يعبد الله بما شرعه على لسان رسوله ﷺ .

وهذان هما حقيقة قولنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة وتعظيما ومحبة وخوفا ورجاء وإجلالا وإكراما ، والله ﷻ له الحق لا يشاركه فيه غيره) .

وقال ابن تيمية في التدمرية: (**فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده** :

فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً .

ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته .

والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر . والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده ، فهذا دين الإسلام الذي لايقبل الله غيره). الفتاوى ٣/ ٩١ .

وقال في التدمرية: (أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة) .

وقال : (إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه) ١٠/ ٤٩.

وقال : (وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دونما سواه، فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح) الفتاوى ٧/ ٢٦٣.

كما أن الإيمان بمحمد ﷺ لا يتم ولا يصح إلا بركنين تصديقه والانقياد له بالتزام شريعته .

وقال ابن القيم : (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل) طريق الهجرتين ٤٤٩.

وقال ابن كثير ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ : (أمَر الله المؤمنين أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره وقال ابن عباس أدخلوا في الطاعة).

وقال محمد بن عبد الوهاب في الدرر ٢/ ٢٢: (أصل الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والموالاة فيه وتكفير من تركه .

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله والمعاداة فيه وتكفير من فعله).

وقال : (أن التوحيد يكون على القلب بالاعتقاد وبالحب والبغض ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تكفّر فإذا اختل واحدٌ من هذه الثلاث كفر وارتد) .

وقال عبدالرحمن بن حسن : (الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى و ينقاد له بالتوحيد والطاعة كما قال تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وإحسان العمل لابد فيه من الإخلاص ومتابعة ما شرعه الله ورسوله) .

وقال : (أصل الإسلام وأساسه أن ينقاد العبد لله تعالى بالقلب والأركان مذعناً له بالتوحيد) .

المسألة الخامسة: إطلاقات الإسلام إلى عام وخاص :

الأول : الإسلام العام :

وهو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً، ويشترك فيه الجميع وهو التوحيد وعبادة الله وحده والكفر بالطاغوت وقول لا إله إلا الله وعموم الانقياد لشرع الله تعالى والامتثال لأوامره والالتزام بدينه، قال تعالى عن الأنبياء : ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾. وفي وصية يعقوب لبنيه بالإسلام والتوحيد: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة: ١٣٣ .

وقال ﷻ عن نوح في سورة يونس ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وإبراهيم : ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

وموسى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ يونس: ٨٤.

وقال عن الحواريين أصحاب عيسى : ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٥٢ .

وقال عن بلقيس وسليمان ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ النمل: ٤٤.

الثاني : الإسلام الخاص :

وهو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وبعث به، واختص به من الدين والشريعة والمنهاج من الفرائض والواجبات والمنهيات .

يدل له قوله تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران ٨٥ .

وقال سبحانه : ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣.

مسألة: الإسلام العام هو دين جميع الرسل والأنبياء وهو التوحيد وقول لا إلـه إلا الله والاختلاف إنما هو في الشرائع :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ الحج: ٣٤ ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ الشورى: ١٣.

وأورد الله ﷻ القسمين التوحيد والشريعة في آية:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ الحج: ٣٤.

ويدل لهذا الأصل قوله ﷺ : (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) رواه البخاري . فالتوحيد واحد والشرائع شتى .

المسألة السادسة: أنواع الإسلام : حقيقي وحكمي :

الإسلام الحقيقي :

هو القائم بالمسلم المؤمن والذي يوافق باطنه ظاهره، ويدخل به صاحبه الجنة، وهو ضد الكفر ويعتبر مسلماً حقاً وحكماً ويترتب عليه أحكام الآخرة.

الإسلام الحكمي الاسمي:

وهو الذي نحكم على صاحبه وفاعله بالإسلام الظاهر دون الباطن، والذي تجري به أحكام الدنيا من النكاح والميراث والجنائز الذبائح وعصمة الدم وغيرها.

وهذا يثبت بالإقرار بالشهادتين أو إظهار شعائر الإسلام .

فمعنى حكمي : أي أن صاحبه قد أتى بما يحكم بإسلامه ونجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا فهو الحكم على الظاهر .، ولو لم يكن في الحقيقة مسلماً عند الله بل يكون مرتداً كافراً أو مشركاً أو منافقا، كما كان الحال مع المنافقين زمن النبي ﷺ.

ولا يعني حكمنا عليه بالإسلام أننا لا نكفره متى فعل مكفراً وظهر منه كفراً.

قال الثوري وابن المبارك : (الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام ولا ندري كيف هم عند الله) الإبانة الصغرى ص: ١٢٢

وقال البربهاري : (وإذا لم يفعل شيئاً – من النواقض – فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة).شرح السنة ٧٣ .

ويدل لهذا الأصل قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) متفق عليه.

وقوله تعالى :﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ التوبة: ٥.

فجملة : ﴿ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ (وحسابهم على الله) :

تدلان على الإسلام الحكمي، وأن الحقيقي هو ما يحاسب عليه الله بالجنة ويقبله، وإذا لم يقبله فإنه يبقى حكمنا على صاحبه بالإسلام لقوله التوحيد ويعصم دمه في الدنيا وأما في الآخرة فمصيره النار لكفره ونفاقه باطنا، كما يدل لهذا الأصل خبر الذي أسلم فقتله أسامة بن زيد .

وقوله : (إلا بحقها) : يدل على أن من فعل كفراً وأظهره أو علمنا به فإن قوله لكلمة التوحيد لا تعصم دمه، وكذا لو زنا وهومحصن أو قتل فإنه يقتل ويهدر دمه .

المسألة السابعة : لا يقبل الإسلام إلا بإيمان يصححه :

وهذه قاعدة مقررة لا يكون إسلام إلا بإيمان ولا يكون إيمان إلا بإسلام.

فلابد للإسلام حتى يكون عند الله مقبولاً من إيمان يصححه، وهو أصل الإيمان وليس الإيمان الكامل، كما أنه لابد للإيمان حتى يقبل من إسلام يصححه وليس الإسلام المطلق الكامل، وتقدم بيان ذلك.

ويدل لهذا الأصل الموجب لاجتماع الإيمان والإسلام قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ .

وحديث جبريل عند مسلم : ما الإسلام؟ وما الإيمان؟

وفي آخره : هذا جبريل جاء: يعلمكم أمور دينكم . مما يدل على أنه لا بد من اجتماع الإسلام مع الإيمان ولا يكفي أحدهما عن الآخر .

المسألة الثامنة: مراتب الإسلام :

الأولى : الظاهر من القول والعمل وهو المباني الخمسة .

الثانية : أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن وهذا الإسلام الحقيقي .

قال ابن تيمية في الإيمان والصارم: (الإسلام يجمع معنيين :

الأول: الانقياد والاستسلام .والثاني: إخلاص ذلك وإفراده .وله معنيان :

الأول: الدين المشترك وهو عبادة الله لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء.

والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشريعة والمنهاج .وله مرتبتان :

إحداهما : الظاهر من الأقوال والعمل ، وهو المباني الخمسة .

والثانية : أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن) .

المسألة التاسعة: كفر من زعم صحة دين اليهود والنصارى وأنهم مسلمون :

من الكفر البواح المجمع عليه اعتقاد صحة أي دين غير دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ المبني على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة والزكاة والحج والصوم . وقد بينت هذه المسألة في شرح نواقض الإسلام الثالث.

يدل لهذا الأصل قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران:٨٥ وقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ النساء:١١٥. وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر:٧. وآيات كثيرة في هذا الباب .

وقوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) رواه مسلم. وحكم عيسى عليه السلام آخر الزمان بشريعة محمد ﷺ .

وقوله ﷺ : (لو أن موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه الترمذي.

وقد أجمع العلماء على كفر من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى .

إلا أن هذا الأصل العظيم وجد من يسعى لهدمه من المتسمين بالمفكرين وأدعياء السلام والحوار والتعايش ولقاء الحضارات والتقريب بين الأديان، وأن اليهود والنصارى من زمن الرسول ﷺ إلى يومنا مسلمين بنص القرآن وليسوا كفاراً وأنهم ناجون من النار وأن اليهودية والنصرانية أديان سماوية مُتبعة يجوز اتباعها والبقاء عليها . وعقدوا لكفرهم هذا وردتهم المؤتمرات واللقاءات لتأصّيل هذا الكفر البواح والردة الصراح والعياذ بالله منهم ومنها .

المسألة العاشرة : خصائص الإسلام ومزاياه:

١- أنه دين عالمي للعرب والعجم والإنس والجن .

٢- أن الله تعهد بحفظه ونصرة أتباعه واصطفى أصحابه.

٣- أنه ناسخ لجميع الأديان .

٤- أنه دين يسر وسماحة، وموافق للفطرة، ويلائم جميع الأحوال والأزمان.

٥- أنه لا يقوم إلا بالجهاد والكفر بالطاغوت وعداوة الكفار وولاء المؤمنين.

٦- أنه حنيف عن الشرك .

٧- أنه لا يصح إلا بالعمل والانقياد .

٨- أن الله شهد بأنه هو الدين الذي عنده ، وأن الله رضيه وأتمه وأكمله .

٩- أن الله الذي سمانا مسلمين وليس غيره .

١٠- أن الدخول اجتباء من الله وفضل ومنة .

١١- أن أهل الإسلام أهل الشهادة على كل الأمم .

وهذه السمات والفضائل وغيرها ذكرها ربنا في آية الحج ، قال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وفي غيرها من كتابه .

قاعدة : الدخول في الإسلام فضل من الله واجتباء .

إن من القواعد المقررة أن الدخول في الإسلام أو الولادة عليه أمر متعلق بكرم الله للعبد وفضل واجتباء منه واصطفاء أن جعلنا مسلمين من أمة محمد ﷺ ومن خير أمة وأتباع أفضل رسول ومتدينين بأكمل دين وشريعة ويدل لهذا الأصل قوله تعالى في آية : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ الآية الحج: ٧٨ فله الحمد وحده .

المسألة الحادية عشرة : علاقة الإسلام بالمسميات الشرعية :

١- علاقة الإسلام بالعبادة : العبادة أعم من الإسلام، فالإسلام هو بمعنى الانقياد والالتزام والتسليم،وهو بذلك يدخل في عموم العبادة. وقريب منه الطاعة .

قال ابن كثير في تفسيره: (وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور ، وذلك هو حقيقة دين الإسلام ، لأن معنى الإسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع) .

٢- علاقة الإسلام بالدين .

الدين: من دان بكذا إذا التزم به وانقاد له فهو يحمل نفس معنى الإسلام، إلا أن الدين ينقسم إلى دين حق وهو الإسلام ودين باطل وهو كل دين غير الإسلام سواء كان ديناً باطلاً من أصله أو كان ديناً صحيحاً أصله ثم حُرِّف وبعد ذلك نسخ كدين النصارى واليهود .

ومما يدل على أن الدين قسمان قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ آل عمران: ٨٥﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦ولا يقال لكم إسلامكم ولي إسلامي، إذ الإسلام مصطلح خاص بدين الله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩.

٣- علاقة الإسلام بالشريعة :

الشريعة بمعناها الخاص وعند الإطلاق اسم لكل ما جاء عن الله ورسوله من الأخبار والأحكام في الأمر والنهي والعقائد وما يتعلق بأحكام الدين عموماً.

إلا أن إطلاق الشريعة على الأوامر والأحكام العملية أكثر.

والشريعة من عند الله ﷻ فهي أمره وفعله، فيوصف الله ﷻ أنه شرع للناس.

ولكل رسولٍ شريعة وشريعة نبينا ﷺ هي الإسلام ، والرسل ليست شرائعهم الإسلام الخاص بمحمد ﷺ، لكنهم دعوا للتوحيد الذي يوافق الإسلام العام.

ويقال في الشريعة مثلما يقال في الدين : حيث توجد شرائع باطلة كما قال عنها سبحانه ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

٤- علاقة الإسلام بالتوحيد :

التوحيد جزء من الإسلام والإسلام أعم منه فهو يتضمن التوحيد والانقياد بالطاعة بفعل الفرائض من الصلاة وما تحتها وترك المحرمات .

وإن كانت الطاعات والقربات والفرائض فعلها من لوازم التوحيد وليست من مدلولاته التطابقية ولا التضمنية وإنما اللزومية، فهو خارج عن مدار التوحيد وماهيته إلا أنه لازم له .

المسألة الثانية عشرة : علاقة الإسلام بالإيمان وحالات ذكر الإسلام :

ذهب بعض أهل السنة إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، والصحيح أنهما يختلفان .

كما اختلفوا في أيهما الأفضل والأكمل . والصحيح أن الإيمان أفضل .

يدل له أنه لما سُئل النبي ﷺ أي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان) رواه أحمد.

ثم اختلفوا في التفريق بين الإسلام والإيمان على أقوال أصحها :

أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة والانقياد والكلمة والشهادتان .

والإيمان هو ما في القلب من التصديق والإقرار والمحبة .

ومما يدل على ذلك حديث: (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد وما يفهم من حديث جبريل.

مسألة : الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في اللفظ افترقا في المعنى ، وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعنى وفسر كل واحد منهما بالآخر .

ومن الأدلة على وجود التفريق بين الإسلام والإيمان :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ الحجرات: ١٤ ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الذاريات: ٣٦ ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الأحزاب: ٣٥ .

وقول الرسول ﷺ :حين قيل له فلان مؤمن قال : (أو مسلم).

وقوله ﷺ : (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد في المسند.

وحديث جبريل في التفريق بين الإسلام والإيمان وغير ذلك .

مسألة : حالات ذكر الإسلام :

يذكر الإسلام عاماً مطلقاً ويذكر مقيداً مع الإيمان فيكون له معنىً خاصاً وهو أعمال الجوارح والانقياد .

فإذا أطلق فهو دين الله الذي اختاره لعباده وارتضاه لهم وتناول جميع الطاعات فرضها ونفلها الظاهرة والباطنة وفعل جميع ما يحب الله وترك جميع ما يكرهه الله وينهي عنه وأما إذا قيد فبحسب ما قيد به .

المسألة الثالثة عشرة : مراتب الدين :

الإسلام والإيمان والإحسان .

أعلاها الإحسان له ركنان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ثم الإيمان:وأركانه ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والقدر .

ثم الإسلام : وله خمسة أركان .

وقد وضح هذا الأمر حديث جبريل وقوله ﷻ: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣٢.

وسميت مراتب : لكونها ليست في منزلة واحدة بل بعضها أفضل من بعض .

المسألة الرابعة عشر : أركان الإسلام :

للإسلام خمسة أركان هي الواردة في حديث جبريل ويسميها أهل العلم مباني الإسلام ويزيد عليها بعض أهل العلم ركناً سادساً وهو الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإليك أركان الإسلام :

الأول : التوحيد : الشهادتان :(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله).

الثاني : إقام الصلاة .

الثالث : إيتاء الزكاة .

الرابع : صوم رمضان .

الخامس : الحج .

وتارك التوحيد كافر وكذا الصلاة ، وأما الزكاة والحج والصوم فيكفر الممتنع عنها أما تاركها تهاوناً والمقصر فيها فكفره محل خلاف. وسيأتي مزيد بيان للمسألة.

فائدة : سر حصر بناء الإسلام على الخمس :

قيل لأن هذه الأركان الخمسة أظهر شرائع الإسلام وأعظمها ، وبالقيام بها يتم استسلام العبد وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده .

قال ابن تيمية : (والتحقيق أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً ، والذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين وهي هذه الخمس، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب المصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس بل إما أن تكون فرضاً على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما أن تجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له عليه كبر الوالدين وصلته الأرحام وحقوق المسلمين والزوجين والجار والفقراء ونصرة المظلوم وإذا أبرءوا منها سقطت) .

المسألة الخامسة عشر : لا يصح الإسلام إلا بالكفر بالطاغوت :

لا يصح الإسلام ولا يقبل ولا يعتبر إلا إذا قام فيه الكفر بالطاغوت المتضمن البراءة من أديان المشركين والكافرين ومعاداة أتباعها وتكفيرهم وبغض كل كفر وشرك والبراءة منه .

وهذه هي ملة إبراهيم التي أمرنا الله تعالى بإتباعها وهي الكلمة الباقية إلى يوم الدين وتقدم تقرير هذا الأصل في مواضع .

وقد قرن الله تعالى بين ملة إبراهيم مع الإسلام وترك الشرك في مواضع .

كما فسر العروة الوثقى بالإسلام في لقمان وفي موضع سورة البقرة بالكفر بالطاغوت مما يدل على أن الإسلام لا يقبل بدون الكفر بالطاغوت .

فائدة : جعل الله ﷻ الإسلام هو العروة الوثقى :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ لقمان: ٢٢، وفي الآية الأخرى في سورة البقرة أخبر أن المستمسك بالعروة الوثقى هو من كفر بالطاغوت وآمن بالله ، وهذا من أعظم ما يفسر حقيقة الإسلام ويبيّن معناه، وأنه بمعنى الإيمان والتوحيد والكفر بالطاغوت .

المسألة السادسة عشرة : قيام الإسلام والرضا به على الانقياد والعمل :

الانقياد ركن في الإسلام والإيمان وشرط في تحقيق التوحيد .

والانقياد يعني العمل الظاهر وليس مجرد الانقياد القلبي كما تزعمه المرجئة فالإسلام قائم على العمل يزول بشرطه، بل إن من القواعد المقررة أن من لم ينقد للشريعة ويذعن بالطاعة للرسول ﷺ فإنه لم يتحقق فيه الرضا بالإسلام والذي هو شرط للقبول عند الله وفي الحديث : (رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً) ، فلا يتحقق الإسلام فضلاً عن الرضا به إلا بالقبول والانقياد له .

والرضا يتم بالقبول والانقياد والمحبة والفرح ، فبمجموع هذه الأوصاف يكون الرضا، وإلا فهو منتفٍ ولو ادعاه صاحبه . كما أن الإسلام يشمل فعل الواجبات والقربات وامتثال الأوامر وترك المحرمات والمنهيات، وهذا هو الانقياد .

ومن قال من أهل العلم : الإسلام الكلمة فالمراد الذي يدخل العبد به في الإسلام هو الكلمة وهو قول الشهادتين، لا أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها ولا أن العبد لا يؤاخذ بعدها بتركه الأعمال ومباني الإسلام .

قال ابن تيمية : (الإسلام دين والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح) .

والإيمان بمحمد ﷺ لا يصح إلا بركنين: تصديقه والانقياد له بالتزام شريعته.

المسألة السابعة عشرة : الإسلام يتبعض ويستثنى منه ويزيد وينقص :

الإسلام منه الكامل ومنه الواجب والمجزئ ومنه الناقص مع صحته فهو مثل الإيمان يزيد وينقص ويتبعض .

يصح الاستثناء منه إذا لم يقصد الشهادتين وأصل الإسلام أما كماله من فعل الواجبات وترك المحرمات فيقع الاستثناء فيه .

المسألة الثامنة عشرة : مسمى اليهودية والنصرانية :

هذه من المسميات المبتدعة في دينهما ، فإن الله تعالى لم يرض لهم غير الإسلام :

عن سلمان ﷺ: قلت: يارسول الله ما تقول في دين النصارى؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا خير فيهم ولا في دينهم). رواه الحاكم وقال الذهبي في السير جيد الإسناد .

قال أنس ﷺ: (رغبت اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم ، وابتدعوا اليهودية والنصرانية وليست من الله ،وتركوا ملة إبراهيم:الإسلام) أخرجه الطبري .

مبحث : الدين والملة والشريعة

تعريف الدين :

الدين يطلق على الإلزام والالتزام وعلى الطاعة والانقياد والخضوع وعلى ما يتدين به العبد من حق أو باطل وعلى القهر والاستعلاء والغلبة وعلى الجزاء والمكافأة والحساب وعلى العادة والشأن والسيرة والطريقة .

فيقال دِنته ودِنت له أي أطعته (تدين لهم بها العرب) أي تطيعهم وتخضع لهم.

و(الكيِّس من دان نفسه) قال أبو عبيد: أي أذلها واستعبدها، وقيل حاسبها .

ويقال دِنته: جزيته، ويوم الدين يوم الجزاء.ومنه:كما تدين تُدان.

وتقول:ما زال ذلك ديني وديدَني أي عادتي. ويقال: دِنتُه أي سُسْتُه وملَكْته.

والدين: ما يتدين به الرجل ويلتزمه ويخضع له وينقاد له .

والدين لله هو طاعته والتعبد له والذل له .

قال ابن تيمية : (الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده).

مسألة : يتعدى الدين بنفسه وبالباء واللام :

فيقال: دانه إذا حكمه وقهره وملكه وغلبه .

ودان بكذا إذا التزم طريقة وعادة ومذهباً . ودان له أي خضع له وأطاعه .

مسألة : الدين قريب من معنى العبادة والإسلام والطاعة والانقياد والملة.

وبينها فروق يسيرة بينتها في موضعها .

والدَّيان : من أسماء الله ومعناه الحكَم القاضي والحسيب المجازي ، والقهار.

مسألة: الدين يضاف إلى الله وإلى العبد :

قال ابن تيمية رحمه الله : (الدين مصدر والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، يقال دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه، كما يقال دانه إذا أذله، فالعبد يدين لله أي يعبده ويطيعه، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع).الفتاوى ١٥/ ١٥٨.

ودليل إضافة الدين للعبد : ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ النور: ٢٥ ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ﴾ النور: ٥٥ ﴿ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ النساء: ١٧١ .

ودليل إضافة الدين لله: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ آل عمران: ٨٣ .

مسألة: المراد بالدين في كثير من الآيات هو الحكم والتشريع :

إن أخص ما يدخل في مسمى الدين ومعناه : الحكم والقضاء والتشريع والعرف، وكذلك الطاعة والاتباع والانقياد والخضوع والذل لسلطة عليا قاهرة.

وعليه : فإن من يدخل في طاعة الله تعالى، وينقاد إلى حكمه وشرعه، ويتبع ما أنزل على نبيه ﷺ فهو داخل في دين الله الإسلام، وهو عابد له سبحانه وتعالى.

ومن يعرض عن طاعة الله تعالى وعن حكمه وشرعه، ويطيع غيره ويحتكم إلى حكم غيره وشرع غيره ولو في جزئية من جزئيات حياته فهو داخل في دينه، وعابد له من دون الله، ولو زعم بلسانه أن دينه الإسلام وأنه من المسلمين.

وعليه فهذه القوانين الوضعية السائدة والحاكمة في أمصار المسلمين، هي دين وإن لم يسمها أهلها بذلك، ومن دخل فيها أو تابع الطغاة عليها، أو رضي بها فهو في غير دين الله وهو في دين الطاغوت وإن زعم الإسلام وتسمى بأسماء المسلمين. ثم إن كل منهاج أو نظام أو دستور أو قانون لا يقوم على أساس الإسلام والطاعة لله ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ ، فهو دين باطل وطاغوت يتعين البراءة منه والكفر به.

تنبيه : لكي يدرك المرء في أي ملة هو وعلى أي دين، أهو في دين الله وطاعته وشرعته أم في دين غيره ، فلا بد له من أن يتعلم أوامر الله فيمتثلها ونواهيه فيجتنبها.

مسألة : التدين ضرورة فطرية :

ما من امرئ في الوجود إلا وله دين يدين به ومعبود يعبده، حتى ذاك الملحد الذي يكفر بوجود الله تعالى وبالأديان السماوية وغيره، له دين يدين به وينهجه في حياته، وله آلهته الخاصة به التي تشرع له فيتبعها ويعبدها من دون الله، ففر بزعم التحرر من عقدة الأديان من الدين الحق إلى الدين الباطل، ومن العبودية الحقة التي توافق الفطرة البشرية إلى العبودية الباطلة الدخيلة.

مسألة : علاقة العبادة بالدين :

الدين أصله من الانقياد والذل وما يتدين به المرء ويلتزم به ، فهو قريب من معنى الإسلام ويدخل في عموم العبادة كما قاله ابن تيمية في العبودية.

وقد يكون الدين على غير وجه التعبد فيقال مثلاً الدمقراطية دين الغرب فهو بمعنى المنهج والطريقة وليس من باب التعبد .

مسألة : الدين منه الحق وهو دين الإسلام ومنه الباطل كدين المشركين :

ويدل لهذا الأصل أن الدين قسمان قوله ﷻ: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦، ولا يقال لكم إسلامكم ولي إسلامي، أما الإسلام فمصطلح خاص بدين الله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران: ١٩ أي الدين المقبول.

مسألة : دخول التوحيد والشرك في الدين :

أخبرنا الله ﷻ أن الدين له وحده وأمرنا بتوحيد الدين لله وأن نجعله خالصا له فلا ندين لغيره ولا نمتثل ونلتزم بأي دين غير دين الإسلام :

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ النحل: ٥٢ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ الصف: ٩ ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ الزمر: ١١ ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ الزمر: ١٤ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الروم: ٣٠ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٢ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران: ١٩ ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ التوبة: ٣٦ ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ التوبة: ٢٩ ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

وأمر ﷻ بالقتال حتى يكون الدين لله وحده ولا يكون فيه شرك : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩ ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٣ والفتنة هنا الشرك .

وأنكر ﷻ على من جعل لله شريكا يشرع ويسن الدين ومن أطاع غيره وجعل له رباً يسن له الأحكام ويحلل ويحرم ويشرّع له الدين في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٧ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠.

قال ابن تيمية : (والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله، وجب القتال حتى يكون كله لله) . الفتاوى ٢٨/ ٥٤٤.

قال الإمام الطبري: (يكون الدين لله: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره) .

وذكر سبحانه الأديان الكفرية الشركية في مثل قوله :

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم ﴾ آل عمران: ٢٤ ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ غافر: ٢٦.

وأخبر عن حرب الكفار لدينه وتركهم له: ﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ الأنعام ٧٠ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٧ ﴿ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ التوبة: ١٢ ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ الأنفال: ٤٩ ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ الممتحنة: ٩ ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣.

فائدة: قد تكون الملة كفرية شركية: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ يوسف: ٣٧ ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ص: ٧ ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾.

مبحث : دين الله هو ملة إبراهيم وهو الإسلام

أثنى الله ﷻ على إبراهيم، وأمرنا باتّباع ملته، وجعل السفاهة في تركها، وأخبرنا أنها تقوم على التوحيد والإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت والجهاد :

فقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾البقرة:١٣٠﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾النحل١٢٣﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الحج: ٧٨.

مسألة : أهمية ملة إبراهيم عليه السلام وأنها على الفور وليست على التراخي :

اعلم أن ملة إبراهيم التي هي إخلاص العبادة لله والكفر بالطاغوت أول ما يجب على المسلم معرفته والعمل به، ولا تنظر إلى ما يزعمه بعض المنتسبين للعلم من أن ملة إبراهيم آخر مرحلة في الدعوة فلا يُبدأ بالكفر بالطاغوت وأنه يعارض الدعوة بالحكمة والحسنى، فدعوا لتوحيد الكلمة دون كلمة التوحيد، واعتذروا بمصلحة الدعوة وخوف الفتنة، ونسو أن أعظم فتنة الشرك وكتم التوحيد والتلبيس في الدين، ولكي يتبين لك الحق وضلال هؤلاء تدبر هديه ﷺ من أول ما بُعث بقوله في المدثر ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ حيث كان مظهرا الكفر بالطاغوت مع لينه وخُلقِه ولا تعارض بينهما، فهو القائل زمن الاستضعاف لعمرو بن عبسه:(**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان**) رواه مسلم، فانظر كيف أنه لم يقل أرسلت بالتسامح والإخاء، أو بصلة الأرحام فقط، مما يدل على أنه ﷺ لم يترك يوما واحدا عيب الشرك وأهله.

قال ابن القيم في الزاد في جهاده:(دخل الناس في الدين وقريش لا تنكر، حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة).

مبحث : الشريعة

الشريعة هي الطريقة والأمر والدين والحكم والمنهج.

والشريعة والدين والإسلام بمعنىً واحد .

مسألة : مقاصد الشريعة :

جاءت الشريعة بخمسة مقاصد وأمر الإسلام بحفظها وهي :

حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض والنسل ، والمال .

ومن مقاصدها الولاء والبراء ومخالفة الكفار وهي داخلة في حفظ الدين .

قال ابن تيمية : (وإذا كانت مخالفة الكفار سبباً لظهور الدين ، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فتكون مخالفتهم من أعظم مقاصد الشريعة) الاقتضاء ١٩٣ .

مسألة الشريعة قسمان :

الشريعة الإسلامية وهي ما كان مصدرها من الله وهي دين الإسلام كما في قوله:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ .

الشرائع الكفرية الشركية وهي ما كان من غير الله وقد ذكرها الله ﷻ بقوله:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١

مسألة : دين الإسلام يطلق على التوحيد والشريعة :

الإسلام بمعنى التوحيد وهو دين كل الرسل .

ودليله :﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾.

وقد يسمى الإسلام بمعناه العام الذي هو التوحيد شريعة كما في قوله :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الشورى: ١٣.

وبمعنى الشريعة الخاصة ، فلكل أمة جاءها رسول شريعة تخصهم .

ودليلها : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المائدة: ٤٨ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ الجاثية: ١٨.

وورد القسمان في الآية ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ الحج: ٣٤ .

مبحث : الالتزام بالدين

المسألة الأولى تعريف الالتزام :

الالتزام من لزم الشيء إذ صاحبه وداوم عليه. وهو بمعنى الامتثال والانقياد.

وعرفه بعض أهل العلم بأنه : إيجاب الإنسان أمراً على نفسه إما باختياره وإرادته أو بإلزام الشرع إياه فيلتزمه امتثالاً وطاعة لأمر الشرع .

وقد عرّف بعض علماء الأصول التكليف بأنه : التزام مقتضى خطاب الشرع .

قال الشاطبي في الموافقات : (ومن شرط تعلق الخطاب إمكان فهمه لأنه إلزام يقتضي إلتزاماً) .

وقد عرف علماء الأصول المحرم بأنه: ترك المنهي عنه امتثالاً أو ترك ما يعاقب على فعله امتثالاً، والواجب ما يثاب فاعله امتثالا .

فالامتثال هو الالتزام وهو قصد الفعل والتقرب لله به وبطاعته والانقياد له .

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات : (الإلزام ضربان : إلزام بالتسخير من الله تعالى أو من إنسان وإلزام بالحكم والأمر).

فالالتزام هو وصف عملي ظاهر ، زائد عن الإقرار ، وهو بمعنى الانقياد .

المسألة الثانية : حكم الالتزام ومكانته وحكم تاركه :

الالتزام شرط في اعتبار الإسلام وصحة التوحيد . وتارك الالتزام كافر .

فالتزام الشريعة وأوامر الله وفرائضه وامتثالها، هو الذي قام عليه الدين وهو مدار العبادة وهو أصل الإسلام الذي يعود للاستسلام والانقياد والالتزام .

قاعدة: ضد الالتزام الامتناع ، وهو كفر وسيأتي الكلام عنه في آخر الكتاب.

المسألة الثالثة : درجات الالتزام :

يقال في الالتزام كما يقال في درجات الانقياد . أصل الالتزام تاركه كافر أما من عنده الأصل وقصر في كمال الالتزام فهو غير كافر لترك الكمال .

المسألة الرابعة: الأدلة الدالة على وجوب الالتزام:

ورد الإلزام والالتزام في نصوص الشرع في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ الفتح: ٢٦.

وقوله : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ هود: ٢٨ .

وقوله : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ الإسراء: ١٣.

وقال ﷺ : (من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة) رواه الترمذي .

وقال ﷺ : (تلزم المسلمين وإمامهم) رواه البخاري .

المسألة الخامسة: كلام أهل العلم في حقيقة الالتزام ومكانته:

قال ابن رشد في البيان والتحصيل : (حتى يقولوا لا إله إلا الله أي حتى يسلموا فيقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويلتزموا سائر قواعد الإسلام) .

قال ابن يوسف المواق الغرناطي : (إن نطق الكافر بالشهادتين ووقف على شرائع الإسلام وحدوده ثم التزمها قُبِل إسلامه وإن أبى من التزامها لم يقبل منه إسلامه) منقول عنه من مواهب الجليل شرح مختصر خليل.

قال الخرشي : (ولا يتقرر الإسلام إلا بالنطق بالشهادتين مع التزام أحكامها).

قال ابن سعدي عند تفسير آية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:(من ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر ومن تركه مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين).

قال المعلمي:(جانب الالتزام هو المغلب في شهادة لا إله إلا الله)من رفع الاشتباه.

وقال الشنقيطي في تفسيره عند آية ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ : (فمن كان امتناعه عن الحكم بما أنزل الله لقصد معارضته ورده، والامتناع عن التزامه ، فهو كافر ظالم فاسق وكلها بمعنى المخرج من الملة) .

قال ابن القيم: (ولم يحكم لهؤلاء اليهود الذين شهدوا له بالرسالة بحكم الإسلام، هذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده ولا معرفة القلب مع ذلك بل لابد فيه من **عمل القلب وهو حب الله ورسوله وانقياده لدينه والتزام طاعته ومتابعة رسوله** وهذا بخلاف من زعم: أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإقراره). مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤.

وقال في عدة الصابرين: (من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي ... وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهراً وباطناً).

وقال أيضا في الصلاة : (إذا حكم بغير ما أنزل الله أو فعل ما سماه الله ورسوله كفراً، وهو ملتزم للإسلام وشرائعه فقد قام به كفر وإسلام) .

قال ابن حجر في فتح الباري : " فإن من لازم الإيمان بالله ورسوله التصديق بكل ما ثبت عنهما والتزام ذلك فيحصل ذلك لمن صدق بالشهادتين".

وقال:" إن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام " .

وقال:" فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه".

قال ابن القيم في المفتاح عن الإيمان والإسلام:" لابد فيه من عمل القلب وهو حب الله ورسوله وانقياده لدينه **والتزام** طاعته ومتابعة رسوله ".

وقال في زاد المعاد: " **والتزام** طاعته ودينه ظاهراً وباطناً ".

وقال : " الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه **والتزام** بعض شرائعه يوجب التزام جميعها، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات، إذ لو كان الشرع تابعا للهوى والشهوة لكان في الطبع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرع له ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ". البدائع ٤/ ١٢٢.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن **للالتزام** والانقياد ".

وقال : (لا يكون مؤمنا إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار وإلا فلو أقر ولم يلتزم بالعمل لم يكن مؤمناً) الفتاوى ٧/ ٣٨٩ .

وقال: (لفظ الإقرار يتضمن الالتزام ثم إنه يكون على وجهين الإخبار في مقابل التصديق، وإنشاء الالتزام في مقابل **الامتناع عن الطاعة والانقياد** كما استعمل الإقرار في نفس معنى **التزام الطاعة والانقياد**) . الفتاوى ٧/ ٥٣٠ .

وقال : (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن ، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهو بمنزلة أمثاله من العصاة ... ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر). منهاج السنة ٥/ ١٣١.

الفصل العاشر

أركان الإيمان

تمهيد : حقيقة الإيمان ومسائل الأسماء والأحكام

وقد بينت هذا الباب في كتاب مستقل .

الركن الأول : الإيمان في الله

العقيدة في الله تعالى تبحث في جانبين :

الأول : باب الإيمان :

الركن الأول من أركان الإيمان وهو : الإيمان بالله .

الثاني : باب الإسلام والتوحيد:

الركن الأول من أركان الإسلام وهو : شهادة أن لا إله إلا الله .

ويتضمن: توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

والجانب الأول اعتقادي باطني والجانب الثاني عملي ظاهر .

ما يتضمنه الإيمان بالله :

الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

وقد بينت هذا الركن في حقيقة التوحيد.

الركن الثاني : الإيمان بالرسل والنبوات

وقد بينت هذا الركن في بيان شهادة أن محمدا رسول الله.

الركن الثالث : الإيمان بالملائكة

م (١) : التعريف بهم :

الملائكة جمع مَلَك وملئك ، ولفظة ملائكة مشتقة من الألوكة وهي الرسالة ، فهم رسل الله لخلقه .

م (٢) : مادة خلقهم :

خلق الله الملائكة من نور .

والدليل حديث عائشة عند مسلم : (خلقت الملائكة من نور) .

م (٣) : متى خلقوا :

خلقهم الله قبل الأنس ، في الستة الأيام التي خلق فيها السموات والأرض.

م (٤) : صفاتهم:

الملائكة خلق من خلق الله الصالحين ، والملائكة لا يتناكحون ولا يتكاثرون ولا يأكلون ولا ينامون ولا يموتون إلا عند النفخ في الصور ، ولهم أجنحة ويقدرون على التشكل والتصور على هيئة البشر.

وهم كثيرون جدا .

لا يمكن رؤيتهم على هيئتهم التي خلقوا عليها إلا للرسل، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته الحقيقة مرتين .

والله تعالى اصطفاهم وجعلهم عنده ، وجبلهم على طاعته فلا يسئمون ولا يعصونه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة: ٣٠ ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦ ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ فصلت: ٣٨.

م (٥) : يجب الإيمان بهم ومحبتهم .

كفر منكرهم :

من أنكر وجود الملائكة فهو كافر مكذب بالقرآن .

ومن أبغضهم أو استهزأ بهم فهو كافر عدو لله ، كمن يبغض ملك الموت ويسبه أو الفتان أو جبريل فهو كافر والعياذ بالله والدليل قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٩٨.

م (٦) الملائكة تحب المؤمنين ويستغفرون لهم ويبغضون المشركين .

وهي تجاهد مع المؤمنين ضد الكفار .

م (٧) : زعم الكفار أنهم بنات الله: ﴿ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ الإسراء٤٠ ، ومن اعتقد هذه العقيدة فهو كافر بالله.

م (٨) : أعمالهم:

لهم وظائف وكّلهم الله بها ، فمنهم الموكل بالوحي للرسل وهو جبريل، ومنهم الموكل بالقطر وهو ميكائيل، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور ، وحملة العرش، ورقيب وعتيد بالكتابة على البشر، والحفظة للبشر، والسيارة ، والملائكة المتعاقبة بالليل والنهار ، وملك الموت ، وملائكة الرحمة والعذاب ، ورضوان ، ومالك خازن النار، وزبانية النار التسعة عشر، وغيرهم كثير لا يعلمهم إلا الله .

مبحث : الإيمان بالجن

م (١) : التعريف بهم :

الجن من خلق الله ، الذين لا تعرف حقيقتهم .

وسموا بالجن لاستتارهم عن الإنس وعدم القدرة على رؤيتهم .

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأعراف: ٢٧.

والشياطين أعداء الإنس ، وجعلهم الله تعالى فتنة للإنس.

وهم لا يستطيعون التسلط على المؤمن ، وإنما تسلطهم على الفجار.

واختلف أهل العلم في أصلهم :

فقيل إبليس هو أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس، واختار هذا ابن تيمية ، وقيل إنه من الجن والشياطين فقط من نسله . والله أعلم .

والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر ، وكافرهم في النار ومؤمنهم في الجنة على الصحيح بدليل قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ الرحمن: ٥٦.

وإبليس سمي بذلك لأنه أبلس من رحمة الله وطرد.

والشياطين كلهم كفار سموا بذلك لأنهم شطنوا أي ابتعدوا عن الخير وشاطوا من الكفر .

والجان وإبليس ليسوا من الملائكة كما توهم البعض . والدليل قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ الكهف: ٥٠.

م (٢) : مادة خلقهم :

خلق الله الجن من نار .

قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ الرحمن: ١٥.

م (٣) : متى خلقوا :

خلقوا قبل آدم بيومين في الأيام الستة التي خلق الله فيها هذا العالم .

قال تعالى :﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ الحجر: ٢٧ .

م (٤) : صفاتهم:

الجن لهم عقول وشهوة ويتناكحون ولهم ذرية، ويأكلون، ولهم دواب ، ويقدرون على التشكل بصور الإنس والحيوانات ، ويطيرون ، ويقدرون على التلبس بالإنس ويوسوسون عليهم ، ويجرون من عروق بني آدم ، ويشاركون الإنس في الأكل والبيت والنساء إذا لم يسموا .

ومنهم من يسترق السمع ، ومنهم السحرة ومنهم الغيلان .

والجن يموتون ، والدليل: ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ فصلت: ٢٥ .

الجن من المكلفين كالإنس .

والرسول مبعوث إليهم ودعاهم إلى الإسلام ، وليس من الجن أنبياء .

دخول الجني في بدن الإنسان وتلبسه به وصرعه له : ومما يدل على ذلك :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥.

وجاءت امرأة للنبي ﷺ ومعها صبي به لمم ، فقال النبي ﷺ : (أخرج عدو الله أنا رسول الله) فبرىء الصبي . رواه أحمد .

الإبل خلقت من الجن:

والدليل قول النبي ﷺ : (لا تصلوا في عطن الإبل فإنها من الجن خلقت ، ألا ترون إلى عيونها وهبابها إذا نفرت) رواه أحمد .

ويجب الإيمان بهذا الحديث وكون الإبل خلقت من الجن حقيقة لا مجازا كما قال البعض .

كفر منكرهم :

من أنكر وجود الجن فهو كافر مكذب بالقرآن .

قال ابن بطة : (فمن أنكر أمر الجن وكون إبليس والشياطين والمردة وإغوائهم بني آدم فهو كافر بالله جاحد بآياته مكذب بكتابه) الإبانه ١٤١ .

مسألة : لماذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة دون الجن :

١- لأنهم عالم غيبي فوجب التصديق به .

٢- أنه يتعلق بهم أحكام كثيرة تتعلق بالبشر كإبلاغ الوحي وقبض الروح.

٣- أنهم مقربون من الله والله تولاهم وأحبهم فوجبت علينا موالاتهم .

٤- أنا لا نشعر بهم ، وهذا بخلاف الجن ، ولذلك لم يكن الإيمان بهم من أركان الإيمان ، وإن كان الذي ينكر وجودهم كافر لتكذيبه بالقرآن .

الركن الرابع : الإيمان بالكتب

م (١) : الكتاب من الكتب وهو الشيء المجموع ومنه كتيبة الجيش ، والكتابة والكتب سميت بذلك لاجتماع الكلام والأخبار والأحكام .

م (٢) : المقصود بالكتب :

هي الكتب التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه التي تبين مراده وشرعه.

والكتب تنسب إلى الله تعالى لأنه هو المتكلم بها فكتب الله هي من كلامه.

م (٣) : اتفقت الكتب على الدعوة للتوحيد والأخبار والأخلاق واختلفت في الشرائع .

م (٤) : من الكتب التي ذكرها الله تعالى لنا :

القرآن والإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

والتوراة كتبها الله تعالى بيده المقدسة.

م(٥) : يجب الإيمان بالتوراة والإنجيل مع الإيمان بأنها منسوخة بالقرآن وأن التحريف قد دخلها وحفظ الله القرآن وتكفل بحفظه .

م (٦) : لا يجوز مطالعة ما بأيدي اليهود والنصارى من الكتب ويدل لذلك ما رواه أحمد والنسائي من إنكار النبي ﷺ على عمر لمّا رأى بيده ورقة من التوراة .

م (٧) : كيفية الإيمان بالكتب وما يكون عليه:

١- يكون بالتصديق بها ، وأنها منزلة من عند الله وأنها كلامه .

٢- محبتها وتعظيمها وعدم تدنيسها .

٣- العمل بما لم ينسخ منها .

٤- الإيمان بأن القران آخر الكتب وأكملها وأفضلها وقد نسخ ما قبله من الكتب وأغنى عنها .

٥- من زعم أنه يجوز العمل بما في التوراة والإنجيل اليوم فهو كافر بالقرآن وأنه ناسخ لها .

م (٧): التوراة والإنجيل لا يجوز أن تدنس ولا تداس، ، وهذا لا يعارض اعتقاد نسخها وحرمة النظر فيها ، وقد ثبت عند أبي داود أن النبي ﷺ لما أُتيت له التوراة رفعها على وسادة إكراما لها ، وذلك لمّا أراد النظر في حد الرجم .

م (٨) : يجب عدم التفريق بينها فكلها من عند الله فيجب الإيمان بها ، مع كون الكتب الموجودة اليوم سوى القرآن دخلها التحريف ونسخت بالقرآن.

قال تعالى عنه : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٨٤.

م (٩) : القرآن آخر الكتب ومهيمن على ما سبقه .وهو ناسخ لما قبله .

قال تعالى عنه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة: ٤٨ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩.

أن الله تعالى تكفل بحفظه فلا يصل إليه التحريف ولا الزيادة والحذف .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩.

الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر والبعث

م (١) : أسماء اليوم الآخر : لعظمته له أسماء كثيرة وقانا الله شره ، منها.

القيامة ، البعث، الساعة ، الحاقة ، القارعة ، الحشر ، التغابن ، وغيرها .

م (٢) : سمي باليوم الآخر :لأنه آخر يوم من أيام الدنيا واليوم الذي بعده هو يوم القيامة، ثم دخول الجنة أو النار . وآخر يوم في الدنيا تطلع الشمس من مغربها .

م (٣) : يشمل اليوم الآخر أربعة أمور :

أولاً :الموت وفتنة القبر وعذابه ونعيمه وما جاء في ذلك .

والأصل فيه حديث البراء بن عازب ﷺ .

ثانياً : أشراط الساعة وتنقسم إلى

١- أشراط صغرى : مضت أولها بعثة الرسول ﷺ ، وصغرى لم تأت بعد منها أن تلد الأمة ربتها والملحمة الكبرى وقتل اليهود والقحطاني وانحسار الفرات.

٢- كبرى: تأتي بعد طلوع المهدي أولها الدجال فنزول عيسى فخروج يأجوج ومأجوج والدابة والنار والدخان والخسوفات والريح وطلوع الشمس من مغربها .

ثالثاً : ما يحصل في عرصات يوم القيامة اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة:

١- النفخات في الصور ، وما يعقبها ويتخللها من تبدل الأرض غير الأرض وتشقق السماء وتناثر الكواكب وتكوير الشمس .

٢- البعث من القبور ورجوع الأرواح للأجساد والنشر والحشر والحساب والميزان والشفاعة والحوض والصراط.

رابعاً : الجنة والنار وما يتبع ذلك من رؤية الله ﷻ .

م (٤) : لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله . والدليل قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٨٧ .

م (٥) : إنكار البعث وقيام الساعة من الكفر الناقل عن الملة ، وفيه طعن في عدل الله وكماله ، والدليل في مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ سبأ: ٣.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ التغابن: ٧ .

وقد وقع في إنكار البعث طوائف من المشركين والفلاسفة .

م (٦) : إنكار البعث داخل في عموم الشرك : فهو من الكفر بالربوبية، لأن البعث من أفعالها، وقد جمع المشركون بين الشرك وتكذيب الرسل وإنكار البعث.

م (٧) : دل على البعث والحساب العقل والسمع .

ولما سمع أعرابي ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ قال: الزائر لا يمكث فهناك منزل بعدها.

م (٨) : العقيدة في الجنة والنار :

أنهما دار الوعد والوعيد دار الجزاء الثواب والعقاب والنعيم والعذاب .

الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، والنار يدخلها الكفار والعصاة لكن لا يخلدون.

وهي مخلوقة الآن ولا تفنى خلافا للمعتزلة . وثبت دخول طوائف فيهما قبل يوم القيامة ، كما سمع الرسول خفق نعلي بلال والشهداء، وعرض فرعون على النار.

وجاءت الأخبار في وصفهما نسأل الله من فضله الجنة ونعوذ بالله من النار .

مبحث : خلق العالم في ستة أيام :

المقصود بالعالم السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الملائكة والجن والناس والحيوانات والنبات والشمس والكواكب وغيرها . أما العرش والماء والكرسي والقلم فكانت مخلوقة قبل الأيام الستة، واليوم منها مقداره ألف سنه.

ودليل مقدار اليوم منها بألف سنة جاء في سورتي السجدة والحج.

أما بداية الخلق في الأيام الستة : فقد بدأ ﷻ الخلق يوم الأحد، فالأحد أول يوم والاثنين الثاني إلى الخميس وهو الخامس في الخلق وانتهى بالجمعة، فكان آخر ما خلق الله في هذا العالم آدم ﵇ ، خلقه في آخر ساعة من يوم الجمعة، وسميت الجمعة لأنه اجتمع خلق كل شي فيه والسبت انقطع الخلق فسمي سبتا أي قطعا .

أما أول ما خلق الله ﷻ من المخلوقات العرش، ثم استوى عليه بعد أن خلق العالم في الستة الأيام بنص الآية : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الفرقان: ٥٩. وقد جاء في حديث عمران بن حصين عند البخاري (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء) . مما يدل على أسبقية العرش لكل المخلوقات الموجودة في هذا العالم قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ هود: ٧. وأما قبل خلق العرش فلم يكن الرب معطلا عن الخلق وبقية أفعاله وصفاته لكن لم يذكر لنا شيء مما خلق، خلافا للجهمية، ثم خلق القلم وأمره بالكتابة قبل أن يخلق العالم بخمسين ألف سنة كما في الحديث عند مسلم وغيره.

الركن السادس : الإيمان بالقضاء والقدر

م (١) : تعريف القضاء والقدر ومعناهما شرعاً :

تقدير الله تعالى للأشياء في الأزل وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له ، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها .

م (٢) : الفرق بين القضاء والقدر :

القضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا .وإذا اجتمعا افترقا في أوجه دون أوجه، فيشتركان في معانٍ ويفترقان في معانٍ.

فيجتمعان في العلم والمشيئة والتقدير العام . ويختص القدر بالتقدير السابق والقضاء الخلق بعده، فالقدر تقدير والقضاء إيقاع ذلك التقدير، فالقضاء بعده .

م (٣) : علاقة القضاء والقدر بالربوبية وبالأسماء والصفات وبالألوهية :

القدر داخل في أفعال الله وصفاته وذلك أن مراتب القدر العلم والكتابة والمشيئة والخلق كلها صفات وأفعال لله فيدخل بذلك في توحيد الربوبية والصفات.

أما علاقته بالإلوهية :فلأن القدر يجب الرضا به والتسليم فيه وعدم السخط على ما قدر الله، وهذه كلها داخلة في التأله والعبادة فيشملها توحيد الإلوهية .

م (٤) : أدلة القدر : منها أدلة عامة على القدر ومنها الخاصة ببعض مراتبه :

يدل على القضاء والقدر الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل والحس .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان: ٢.

حديث جبريل :(**وتؤمن بالقدر خيره وشره**)، وقوله ﷺ: (**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل**) رواهما مسلم.

م (٥) : مراتب القدر :

القدر يقوم على أربعة أركان ومراتب مترابطة: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق.

وهذه المراتب هي المدخل لفهم باب القضاء والقدر، ولا يتم الإيمان إلا بها.

م (٦) : الفِرَق المخالفة في القدر :

المخالفون في العلم طائفتان :

الطائفة الأولى: الفلاسفة: حيث أنكرت صفة الشمول في علم الله، فقالت الله يعلم بالكليات لا بالجزئيات فسقوط الورقة مثلاً لا يعلم بها .

الثانية: غلاة القدرية: أصحاب معبد وغيلان :حيث أنكرت أزلية العلم فأنكرت أن يكون العلم سابقاً فلا يعلم الله عندهم بالشيء إلا إذا وقع .

المخالفون في الخلق والمشيئة :

القدرية المعتزلة : حيث تنكر تعلق المشيئة والخلق بأفعال العباد فالله تعالى عندهم لم يخلق أفعال العباد ولم يريدها وإنما العباد هم الذين خلقوا أفعالهم.

وسموا قدرية : لأنهم ينفون القدر عن الله ويثبتونه لأنفسهم (للمخلوق).

ويسمون بمجوس هذه الأمة لكونهم يثبتون خالقاً مع الله .

الجبرية الأشاعرة: وهي التي لا تثبت للعبد قدرة ولا فعل أو تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة وتسميه الكسب كما تنكر تأثير الأسباب وحقيقتها.

وسمو جبرية : لأنهم ادعوا أن الله أجبرهم وأنهم مجبورون وليست لهم إرادة .

ويسمون بالقدرية المشركة : لأنهم خالفوا في القدر ولم يوحدوا الله في الشرع والأمر، بل عارضوا الشرع بالقدر، فقالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ .

م (٧) : خلاصة الواجب اعتقاده في القدر :

١- يجب على العبد أن يؤمن بمراتب القدر الأربع :

فيؤمن بأن الله يعلم كل شيء وعلمه سابق شامل، وأن الله كتب كل شيء، وأنه تعالى شاءه وأراده وأنه خالق كل شيء لا موجود إلا والله قد خلقه وقدره .

٢- وأن من جملة ما خلقه الله وقدّره أفعال العباد خيرها وشرها الطاعة والمعصية ، مع كون الله أعطى العبد اختياراً وإرادةً وقدرة تابعة لمشيئة الله وخلقه.

٣- ومما يدخل في الإيمان بالقدر التقادير التي كتبها الله في اللوح المحفوظ وتقدير الميثاق والتقدير العمري والسنوي واليومي والتكليفي.

٤- الإرادة على قسمين :إرادة كونية قدرية لابد من وقوعها، وقد لا توافق المحبوب . وإرادة شرعية يحبها الله ، وقد لا تقع .

٥- الهداية قسمان: هداية الدلالة وهي عامة. وهداية التوفيق خاصة بالمؤمن . والضلال والخذلان والهداية والتوفيق لها جانب من الله وجانب من العبد بالسبب .

٦- وجوب الإيمان أن القدر من الغيب ، فلا يعلمه أحد لا ملك ولا نبي .

٧- أن الله خلق وقدر الشرور والمعاصي والمال الحرام وأنها موجودة بحكمته.

٨- أن القدر الذي هو فعل الله لاشر فيه،وإنما الشر ينسب للمقدور المخلوق.

وبهذا يحصل الجمع بين حديث: (والشر ليس إليك) عند مسلم .

وحديث جبريل عند مسلم : (وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

فالشر في المفعولات المقدورات المخلوقة وليس في أفعال الله وقدره.

٩- كل ما يفعله الله ويقدره فهو حاصل بحكمته فأفعاله معللة بحكمته.

١٠- مما يدخل في القدر الواجب تصديقه أن القدر قسمان: مثبت مطلق لا يتغير وهو ما في اللوح المحفوظ، وقدر معلق وهو ما في صحف الملائكة .

١١- أن الله تعالى منزه عن الظلم، وإن كان قادراً عليه، والظلم وضع الشيء في غير موضعه .

١٢- أن القدر يشمل الأسباب والمسببات، فالله خالق للسبب والمسبب ، خالق للنار وإحراقها، وأن الأسباب لها تأثير حقيقي في مسبباتها بقدرة الله .

١٣- أنا لا نوجب على الله تعالى شيئاً بعقولنا إلا ما كتبه على نفسه فضلا منه.

١٤- وأن العقل يعرف حسن الشيء وقبحه في كثير من الأفعال ، ولكن العقاب والثواب بالشرع لا بالعقل ، فالعقل تابع للشرع وليس مستقلاً في الحكم .

١٥- وأن الاستطاعة على قسمين : شرعية قبل الفعل ومعه بمعنى الصحة والسلامة، واستطاعة قدرية وتكون مع الفعل وهي بمعنى التوفيق والإعانة .

١٦- أن الله لا يكلف عباده إلا ما يطيقون.

١٧- وأنه ليس كل ما أراده الله فقد أحبه ، مثل إرادة الله وجود الكفر.

١٨- وأنه ليس كل ما أمر الله به فقد أراده ، مثل أمر الله إبراهيم بذبح ابنه .

١٩- وأنه يجب على العبد أن يرضى بالقدر ويصبر على ما قدره الله من مصائب، ولا يرضى بالمعاصي وإن كانت من قدر الله .

٢٠- وأن القدر يحتج به في المصائب لا في الذنوب والمعائب .

٢١- وأن لا نعارض القدر بالعقل ، فهو من الغيب والسر الذي يحير العقول، مما يوجب الإيمان والتسليم لا الاعتراض والخوض بالباطل فيه .

الفصل الحادي عشر : مباحث في العقيدة

مبحث الغيبيّات

علم الغيب : مما اختص الله تعالى به علم الغيب .

ومن أنكره وقال الله لا يعلم بالأمر إلا إذا وقع أو لا يعلم بدقائق الأمور فهو كافر كما تقوله القدرية والفلاسفة . ومن أثبته لغير الله فهو كافر كما تزعم غلاة الصوفية والرافضة والسحرة والكهان .

ومن الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب: قوله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ النمل: ٦٥ ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الأنعام: ٥٠.

أقسام الغيب : الغيب المطلق كوقت قيام الساعة.

الغيب النسبي ، وهو ما أخبر به الله أو كشفه لبعض خلقه .

وينقسم الغيب إلى غيب في الماضي كخلق السموات وأخبار الأمم السابقة .

وغيب في الحاضر والمستقبل .

أمثلة للغيبيات : الملائكة ، الأنبياء السابقون وكتبهم وأخبارهم ، وأخبار الأمم الماضية ، الجن ، خلق السموات والأرض في ستة أيام ، العرش والكرسي واللوح والقلم ، الميثاق ، الروح ، الموت ، عذاب القبر وفتنته ، أشراط الساعة من الدجال والدابة وخروج يأجوج مأجوج ونزول عيس وطلوع الشمس من مغربها ، اليوم الآخر من البعث والحساب والميزان والحوض والصحف والصراط والشفاعة ، والجنة والنار، القدر ، بعض صفات الله تعالى ورؤيته ، معجزات الرسل ، معراج الرسول ﷺ ، والكرامات الرؤى .

مبحث : الروح

لا يعرف حقيقتها وكنهها إلا الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥.

الروح متعلقة بالبدن ، ولها خمسة تعلقات :

١- تعلق روح الجنين بجسده .

٢- تعلق روح الشخص ببدنه بعد الولادة .

٣- تعلقها حال النوم .

٤- تعلقها بعد الموت في البرزخ .

٥- تعلقها بالجسد بعد البعث يوم القيامة وهو أكمل التعلقات .

والواجب الإمساك عن الكلام فيها ، ومما نعتقده فيها :

- الروح مخلوقة حادثة وليست قديمة ولا تفنى .

- والموت هو مفارقة الروح الجسد وليس انعدام الروح وهلاكها وفنائها.

- الروح تتنعم وتتعذب في الحياة وبعد الموت .

- كل حي له روح ومنهم : الملائكة والجن والحيوانات والبشر.

- كل روح لها جسد واحد تسكن فيه ، ومن قال بتناسخ الأرواح وأنها تتنقل في الأجساد فهو كافر .

- الميت قد يسمع بعض أصوات الأحياء كقرع نعال المشيعين وبعض الأحياء قد يسمع بعض أصوات الأموات كسماع الحيوانات صوت المعذبين .

مبحث : الرؤى

هي ما يراه النائم . والرؤية من الله والحلم من الشيطان .

قال النبي ﷺ : (الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان) متفق عليه .

علاقة الرؤيا بالنبوة : قال النبي ﷺ : (رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) رواه مسلم وأحمد .

ووجه كون الرؤية ستة وأربعين جزءا من النبوة : لأنه أوحي للنبي ﷺ ثلاث وعشرون سنة منها ستة أشهر كان الوحي يأتيه بالرؤية فصارت جزءا من ستة وأربعين من زمن الوحي .

والرؤية توافق النبوة ومن دلائلها . والرؤيا من الإلهام الذي يجعله الله لعباده .

إمكانية رؤيا الرسول ﷺ على صورته : قال النبي ﷺ : (من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي) متفق عليه .

رؤيا الله تعالى في المنام :

رأى الرسول ﷺ ربه في المنام ، قال : (أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى) رواه أحمد والترمذي .

ويجوز أن يراه الصالحون ويرون نورا ويرونه يخاطبهم.

قال ابن تيمية : (وما زال الصالحون يرون ربهم في المنام ويخاطبهم) تلبيس الجهمية ١/ ٧٣ .

فوائد الرؤيا : الرؤيا فيها دلائل ومنها فوائد وتعليم وتحذير .

والمؤمن يطلب تعبير رؤياه ويخبر بها من يحب .

مبحث الولاية والأولياء والكرامات

الأولياء هم أهل الإيمان وتقوى الله .

قال تعالى في سورة يونس : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

والأولياء مأخوذة الولاية وهي القرب والنصرة .

وأولياء الله كما يتفاوتون في الإيمان يتفاوتون في الولاية .

والولي ليس معصوما ، ولا يسقط عنه شيء من الشرع ، ولا يغلى فيه.

وقد غلت الصوفية فيهم فرفعوهم إلى منزلة الألوهية فعبدوهم ودعوهم من ون الله بعد موتهم، وأكثر أولياء الصوفية من السحرة الطواغيت .

وليس من شرط الولاية الكرامة .

قد يوجد ولي ولا تحصل له كرامة وقد تحصل الكرامة لضعيف الإيمان .

المؤمن لا يسعى لإظهار كرامته إن حصلت له بل يخفيها طلبا للإخلاص .

خوارق العادات :

١- المعجزات التي تكون على يد الأنبياء .

٢- الكرامات التي تحصل على يد المؤمن من الله تعالى ، ومنها الفراسة .

والكرامة لا تصل إلى درجة المعجزات في الإعجاز .

الفرق المخالفة في الكرامة :

المعتزلة تنكرها. والصوفية تغلو فيها.

٣- الأحوال الشيطانية ، على يد السحرة من الشياطين .

مبحث : عقيدة أهل السنة في الصحابة :

تعريف الصحابي : هو من لقي النبي ﷺ وآمن به ومات على الإيمان.

عددهم : يتجاوز المائة ألف .

حقوقهم :

١- محبتهم .

٢- توقيرهم .

٣- الترضي عنهم .

٤- اعتقاد عدالتهم وصدقهم فيما نقلوه لنا من السنة والدين .

٥- الأخذ بقولهم واجتهادهم .

٦- الدفاع عن أعراضهم ، وقتل متنقصهم من الروافض وغيرهم .

فضلهم :

أفضل الخلق بع الأنبياء أصحاب نبينا محمد ﷺ .

والصحابة ﷺ لا يبلغ أحد من التابعين ومن بعدهم فضل أقلهم :

قال ابن بطة الإبانة ١٦٩ : (ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلا رأى النبي ﷺ وشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن لم يره ولم يشاهده ولو أتى بأعمال الخلق أجمعين).

وقال الإمام أحمد في الرد على من فضل عمر بن عبد العزيز على معاوية: (أصحاب رسول الله لا يدانيهم أحد) السنة للخلال ٦٦٦.

قال ابن عيينة : حب الصحابة واعتقاد فضلهم من السنة . السنة لعبدالله .

عدالة الصحابة :

الصحابة عدول ويجب اعتقاد عدالتهم وتصديقهم فيما نقلوه لنا من الدين .

حجية قول الصحابي :

يجب الأخذ بقولهم وعدم الاجتهاد مع وجود قول لأحدهم ولا معارض له منهم ، لأن قولهم حجة .

تفاضلهم :

أفضلهم الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان والسابقون إلى الإسلام أفضل ممن تأخر إسلامه ، ومن أسلم قبل فتح مكة وهاجر أفضل ممن أسلم بعد الفتح .

وجنس المهاجرون أفضل من جنس الأنصار .

ويدل على تفاضلهم قول النبي ﷺ لخالد لما نال من عبد الرحمن بن عوف (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل جبل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) رواه البخاري.

تنبيه : يجب اعتقاد خلافة الخلفاء الراشدين وأن عليا ليس أفضلهم ولا أحق منهم بالخلافة ، ومن زعم ذلك فقد أزرى بالصحابة كلهم وبالنبي ﷺ لما أمر بأن يؤمهم الصديق في الصلاة واستخلافه فيها .

الموقف من الفتنة التي كانت بين الصحابة ﷺ :

وجوب الإمساك عما جرى بين الصحابة من الفتنة في معركة صفين والجمل، وعدم الخوض فيه ، وقد كان أفضلهم من اعتزل الفتنة ثم علي ثم معاوية والحق مع

علي ومعاية لم يخالف عليا وإنما طلب بتسليم قتلة عثمان وكان مجتهدا متأولاً فأخطاء وقد اصلح الأمر وأطفأ الفتنة الحسن بن علي عام الأربعين بعد ستة أشهر من خلافته فتنازل لمعاوية ﷺ أجمعين.

الفرق الضالة فيهم :

من يتنقصهم وهم الرافضة .

من يغلو فيهم وهم الصوفية .

من يتنقص آل البيت وهم النواصب.

سب الصحابة ﷺ وبغضهم :

ولهذه المسالة حالتان :

الأولى : إن طعن في معظم الصحابة فهذا كافر بالاتفاق لأن الطعن فيهم طعن في صاحبهم وهو الرسول ﷺ الذي أختار صحبتهم، كما أنه طعن في الشريعة لكونهم هم الذين نقلوها كما وأنه طعن في الله عز وجل إذ لم يختر لرسوله صحبة طاهرة .

الثانية : سب أحد الصحابة ﷺ ، وهذا له حالات :

١- من طعن في أبي بكر وعمر فإنه يكفر ولا يلتفت إلى من خالف في تكفيره .

٢- من قذف أمهات المؤمنين وطعن فيهن فهو كافر بلا خلاف لأن الطعن فيهن طعن في عرض رسول الأمة وأذية له ﷺ وبالخصوص عائشة فإنه لا خلاف في كفر قاذفها ، لأنه آذى الرسول ﷺ وكذب الله تعالى.

٣- من طعن في واحد من الصحابة غير المشهود لهم بالجنة كما تطعن الزيدية في معاوية. فهذا محل خلاف بين أهل العلم على أقوال:

الأول: أن سبّ الواحد ليس بكفر، وإنما يوجب التعزير والتأديب والهجر.

الثاني: أن سب الواحد كفرٌ وزندقة ، بشرط أن يعلم أنه صحابي ، وذلك لأنـه مكذبٌ للقرآن في عدالتهم ، ومكذبٌ برضا الله عنهم، وهذا رواية عن الإمـام أحمـد وأبي زرعة الرازي والفريابي .

الثالث: إن كان السب بلعنهم في ديانتهم وكفرهم فإنه يكفر، و إن سب خلـق بعضهم كجبن أو بخل ونحوه فهذا لا يكفر .

أوجه كفر ساب الصحابة :

١- أن في السب تكذيب للقرآن الـذي نـص عـلى فـضلهم والـترضي عـنهم وتزكيتهم والثناء عليهم .

٢- أنه فيه تضليل الأمة المحمدية وأنها شر الأمم وأن سابقيها هم شرارها .

٣- أن في سبهم طعن في الله ﷻ إذ لم يختر لرسوله صحبة طاهرة .

٤- الطعن فيهم طعن في صاحبهم وهو الرسول ﷺ الذي أختار صحبتهم.

٥- أن في سبهم طعن في القرآن والسنة ، لأنها لم تنقل إلا عنهم .

٦- أن في سبهم طعـن في الـشريعة والـدين كلـه لأنـه لم يـصل إلينـا إلا عـن طريقهم . وحكا السمعاني الإجماع على كفر من سبهم من الرافضة لأجل هذه العلة.

الأدلة على كفر ساب الصحابة منها :

١- قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الفتح: ١٨ .

٢- وقولـه تعـالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ الفتح: ٢٩. فلا يغاظ منهم إلا كافر لا حظ له في الإسلام .

٣- وقال النبي ﷺ : (إن الله اختار ليّ أصحاباً ، وجعل ليّ منهم أنصاراً، ووزراء وأصهاراً ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً) رواه الحاكم وصححه.

٤- وقال ﷺ: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق) رواه البخاري .

٥- عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) متفق عليه.

٦- وأخرج الترمذي وأحمد : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه).

٧- وروي عنه ﷺ : (لعن الله من سب أصحابي) رواه اللالكائي والطبراني وابن عدي في الكامل والخلال في السنة وابن بطة .

٨- وقال ﷺ : (من أبغض واحدا منهم أدخله الله النار) (فلا صلاة له) أخرجه ابن بطة وابن عساكر، وفي سنده أحمد بن نصر وهو ضعيف.

٩- وعن علي ﷺ قال قال لي النبي ﷺ (ياعلي أنت وشيعتك في الجنة، وإن قوما لهم نبزا يقال لهم الرافضة إن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون)، قال علي يتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . أخرجه الطبراني في الأوسط وابن أبي عاصم عبدالله ابن أحمد والآجري وابن بطة واللالكائي وغيرهم بأسانيد ضعيفة .

١٠- أن في سبهم طعن في الإجماع وتكذيب له وقد نقل الإجماع على عدالتهم علماء لا يحصون . منهم : ابن عبد البر في الاستيعاب ابن كثير في تاريخه البغدادي في الكفاية النووي في شرح مسلم ابن الصلاح في المقدمة وغيرهم.

كلام أهل العلم في كفر ساب الصحابة :

قال الفريابي شيخ البخاري حين سئل عمن يشتم أبا بكر ﷺ قال : (كافر قيل فيصلى عليه قال لا. وسئل كيف يصنع به وهو يقول لا إله إلا الله قال لا تمسكوه بأيديكم أدفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته) السنة للخلال والإبانة لابن بطة.

قال الإمام مالك عن الرافضة عليهم لعائن الله : (إنما هؤلاء قوم أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلا صالحا كان أصحابه صالحين) الصارم ١٠٨٨.

وقال مالك : (الذي يشتم أصحاب الرسول ﷺ ليس له سهم أو قال نصيب في الإسلام) . الإبانة ١٠٣.

ونقل ابن بطة في الإبانة عن بعض السلف قوله: (الرافضة أشهد إنهم لمشركون) . الإبانة ١١٠.

وقال سحنون : (إذا شتمهم فقال إنهم على ضلال قُتل) السنة لأبي زمنين.

وفي الفتاوى البزازية:(الرافضي إذا كان يسب الشيخين ويلعنهما فهو كافر) .

قال ابن بطة : (قال المروذي : سألت أبا عبدالله عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة ؟ فقال : ما أراه على الإسلام) الإبانة الصغرى ١٠٢.

وقال الأوزاعي: (من شتم أبا بكر فقد ارتد عن دينه وأباح دمه) الإبانة ١٠٣.

وقال بشر : (من شتم أصحاب الرسول ﷺ فهو كافر). الإبانة ١٠٣.

قال الذهبي في الكبائر : " فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين " .

قال الخطيب البغدادي في الكفاية عن أبي زرعة : " إذا رأيت الرجل يتنقص أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة فمن جرحهم فقد أراد إبطال الكتاب والسنة " .

وقال الكرخي: (لو أن رجلا في قلبه على أصحاب محمد ﷺ لكان كافرا) السنة للخلال ٦٦٦.

قال ابن تيمية : (من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد الرسول ﷺ إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره فإنه مكذب لما نصه القرآن من الرضى عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين) الصارم ١١١٠ . وقال ابن تيمية في الصارم :" وأما من سبهم سباً لا يقدم في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم).

قال الألوسي في صب العذاب على من سب الأصحاب : " أجمع علماء ما وراء النهر على استباحة دماء الروافض واستحلال أموالهم وفروج نسائهم ".

قال صديق حسن في الدين الخالص :" والعجب من علماء الإسلام والسلاطين كيف تركوا الرافضة على هذا المنكر فإن هؤلاء المخذولين لما أرادوا

الشريعة ومخالفتها طعنوا في الحاملين لها الذين لا طريق لنا إليها إلا من طريقهم فيظهرون السب لخير الخلق ويضمرون العناد للشريعة" .

وفي فتاوى السبكي : (من أبغض صحابي لصحبته كان كافراً قطعاً) .

عقيدة أهل السنة في آل البيت :

آل البيت : هم بنات النبي ﷺ وأزواجه وأبناء علي وجعفر وعقيل وأبناء العباس . وليس آل بيته خاص بذرية الحسن والحسين.

ولأهل بيت النبي ﷺ حقوق فلهم منا التقدير والحب والإكرام والتصدير في المجالس لقرب نسبهم من النبي ﷺ وإكرام له .

ولا نعتقد فيهم العصمة ولا نرفعهم فوق منزلتهم ونعاقب المذنب منهم وتقام عليهم الحدود ويقتل المرتد منهم ونكفره ولا نتولاه .

مبحث : منهج أهل السنة : في الإمامة والطاعة والجماعة الاجتماع والاتباع

من عقيدة أهل السنة وجوب الإمامة وتنصيب خليفة ووجوب طاعة الأمراء وعدم الخروج عليهم إلا إذا رأينا كفرا بواحا .

ومن عقيدتهم: وجوب الاجتماع وعدم الافتراق والاختلاف والابتداع .

ومن عقيدة أهل السنة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد .

الفصل الثاني عشر : نواقض الإيمان ومنقصاته

١- الردة ونواقض الإسلام.

٢- الشرك .

٣- الكفر حقيقته وأنواعه.

٤- النفاق.

٥- الفسق والكبائر.

٦- البدعة .

وقد بينا هذه الأبواب في شرح النواقض .

الفهرس

الفصل الأول : التعريف بالتوحيد وأقسامه وحقيقته

الفصل الثاني : توحيد الربوبية

الفصل الثالث : توحيد الألوهية

الفصل الرابع توحيد الأسماء والصفات

الفصل الخامس : شهادة أن لا إله إلا الله

الفصل السادس : شهادة أن محمداً رسول الله (توحيد المتابعة)

الفصل السابع : الكفر بالطاغوت

الفصل الثامن : العبادة

الفصل التاسع : الإســـلام شريعة الله ﷻ ورسوله ﷺ

الفصل العاشر : أركان الإيمان

الفصل الحادي عشر : مباحث في العقيدة

الفصل الثاني عشر : نواقض الإيمان ومنقصاته :